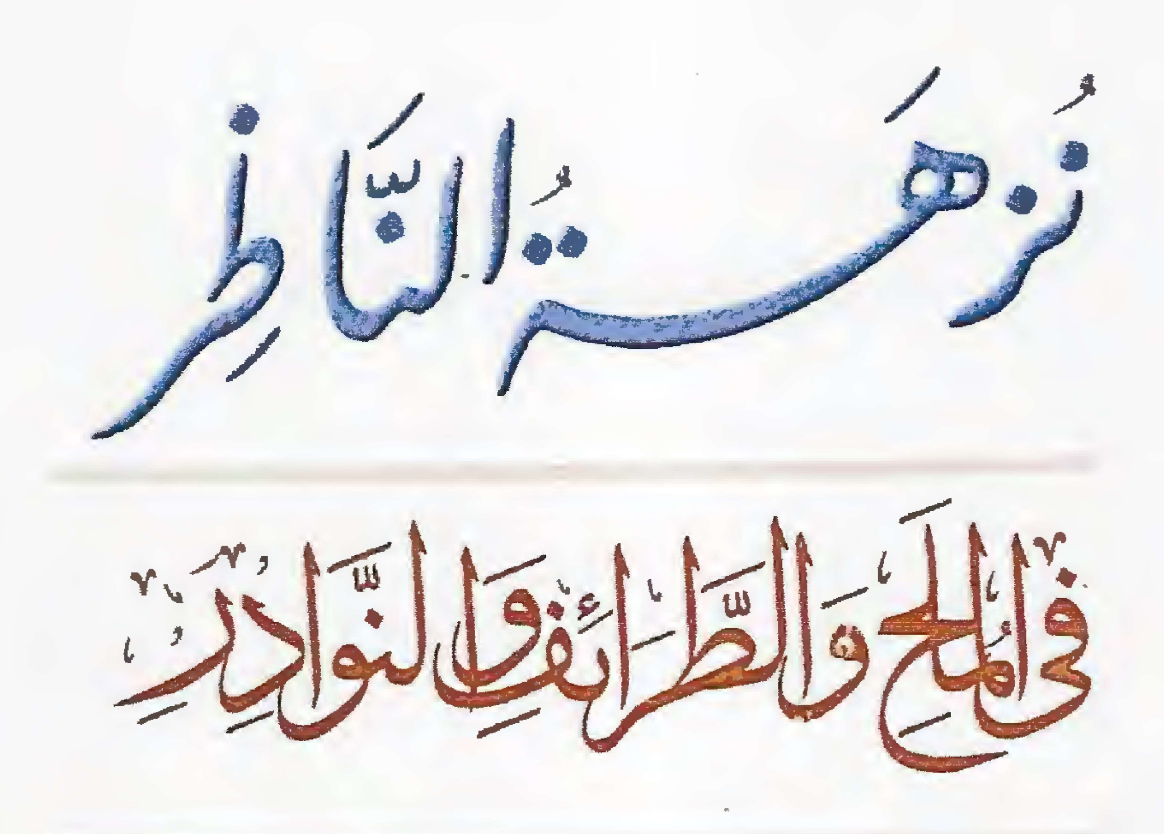
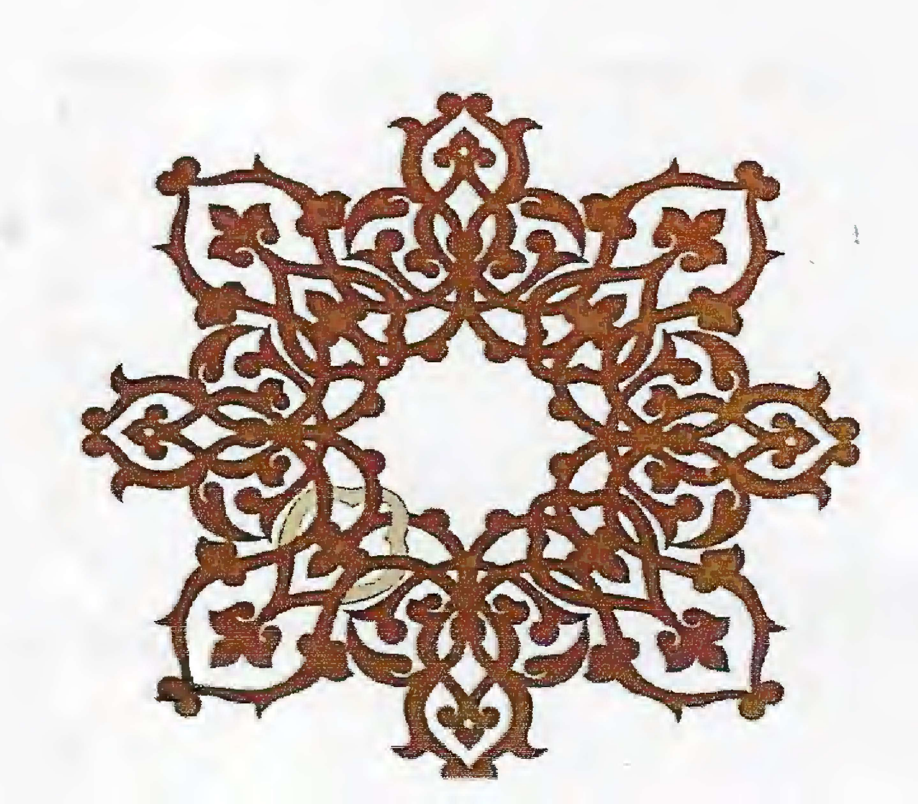


د. إبراهيم بدر شهاب الخالدي







د. إبراهيم بدر شهاب الخالدي

نزهة الناظر

في الملح والطرائف والنوادر

((من كانت فيه دعابة فقد برئ من الكبر))

علي بن أبي طالب

مقدمة

ثمة مواقف أدبية وعلمية واجتماعية ظريفة مستملحة، لا تخلو من الطرافة والفكاهة التي تبتهج لها النفوس، حفظها لنا التاريخ وجمعتها لنا كتب الأدب، وقد صيغت بأسلوب أدبي شيق جذاب، يداعب عقل القارئ تارة ويخاطب ضميره تارة أخرى، ويثير دهشته تارة ثالثة، وهي بجملتها تنبئ عن ذكاء وجرأة وسعة أفق. والذي يطلع على قصص السلف الصالح يجد الكثير من القصص والنوادر والمُلح التي تتهلل لها الأسارير، وفيها مع ذلك من الدروس والعظات والعبر الكثير. ولا يستغني أهل الأدب ولا الناس عموماً عن معرفة ظريف المضحكات، وشريف المفاكهات، وتوظيفها في حياتهم الاجتماعية.

وقد ظهرت في التراث العربي كثير من الشخصيات الفكاهية، اشتهر منها أشعب، وأبو دلامة، وأبو العِبَر، وأبو العيناء، وغيرهم، تنسب إليهم الكثير من الطرائف والنوادر المشهورة. وتناول كثير من الأدباء العرب

الفكاهة في كتبهم، لما لها من مزايا وفوائد نفسية واجتماعية كثيرة، واتخذ التأليف في هذا الباب صورتين: فريق من الكتاب عرض للفكاهة في ثنايا كتبه، كما فعل الجاحظ في كتاب الحيوان، وأبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة، وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه: الأغاني.. الخ.

وهناك فريق آخر من الكُتَّاب، أفردوا الفكاهة بكتب خاصة، منهم: الجاحظ في كتابه: البخلاء، وأبو الطيب محمد بن إسحاق الوشاء في كتابه: الموشى أو الظَّرف والظُّرفاء، وأبو منصور الثعالبي في كتابه: لطائف اللطف، وأبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي في كتابيه: أخبار الحمقى والمُغفلين، وأخبار الظُّراف والمُتماجنين، والخطيب البغدادي في كتابه: التطفيل وحكايات الطُّفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم. وهذه الكتب لا تخلو من فوائد علمية وأدبية؛ بل هي سجل صادق لتاريخنا السياسي والاجتماعي في زمانها.[1]

أما عملنا في هذا الكتاب فقد اقتصر على جمع وانتقاء بعض هذه الملح والطرائف والأخبار الظريفة مما حوته كتب الأدب ومما أفرزته تجارب الحياة؛ لما فيها من فوائد جمة ووظائف عديدة، وقد فردناها على صفحات هذا الكتاب.

د. إبراهيم بدر شهاب

---

(١) جاد أرهمي، العرب وأدب الفكاهة، موقع مدونة عالم المعرفة، على الشابكة الدولية.

الفصل التمهيدي

قبل الدخول إلى عالم الملح والطرائف والنوادر مما حواه هذا الكتاب منها، رأينا أنه من المستملح التعريف بأهم المصطلحات الواردة في هذا المجال، وبيان أهمية الطرائف والنوادر والفكاهة عموماً ومجالاتها وفوائدها، وبيان موقف الإسلام من الضحك والمفاكهة.

مفردات العنوان ومعناها اللغوي والاصطلاحي

المُلحة: من مَلُحَ الشيءُ مَلاحَةً بهُجَ وحسُنَ منظره، فهو مَلِيح. وأملح المتكلم: أتى بكلام مليح، والملحة: الكلمة المليحة، وتجمع على مُلَحْ ومِلاح ومُلاح.[1]

النادِرة: الطرفة من القول، جمعها نوادِرُ، وهي كتابات وأقوال وأحاديث تتميّز بالطرافة والتسلية، ونوادر الكلام: غرائبه وطرائفه، وما شذ منه وخرج عن المألوف، وما كان منه فصيحاً مستجاداً[2].

الظرف: هو حسن العبارة، والظريف هو البليغ الجيد الكلام. وقيل: الظرف في الوجه: الحسن، وفي القلب: الذكاء، وفي اللسان: البلاغة[3].

---

(١) المعجم الوسيط، مادة: مَلَحَ.

(٢) المنجد، مادة: نَدَرَ.

(٣) المعجم الوسيط، مادة: ظَرُفَ.

الطرفة: الطرفة[1] قريب من الظرف، وشي طريف، أي طيب غريب، وفي لسان العرب: -خير الكلام ما طرفت معانيه، وشرفت مبانيه، والتذته آذان سامعيه- وأطرف فلان إذا جاء بِطُرْفَة. ويقال: أطرفت فلانا أي أعطيته شيئا لم يملك مثله فأعجبه، والطارفُ والطَريف المستحدث، وهو ضد التّالد والتليد، والاسم «الطُرفة» بالضم.

وفي المعنى الاصطلاحي، الطرفة: فكرة وجيزة تتناول بعد ما بيّن الأشياء والطبيعة، أي تجري في حلبة يتقابل عند طرفيها الواقع من ناحية، ومُثل لكمال من ناحية أخرى[2].

الفكاهة: من فَكِهَ الرجل فَكِهاً وفكاهة، إذا كان طيب النفس مزّاحاً. وفاكَهَهُ: مازحه، ومن المجاز القول: فكهتهم بملح الكلام تفكيهاً، إذا أطرفتهم بها.[3]

النُّكتة: من معاني النكتة في اللغة في: الأثر الحاصل من نكتِ الأرض، والنقطة في الشيء تخالف لونه، والعلامة الخفية، والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر.. الخ.[4]

---

(١) مختار الصحاح، مادة: طَرَفَ.

(٢) جاد أرهمي، العرب وأدب الفكاهة، موقع مدونة عالم المعرفة، على الشابكة.

(٣) المعجم الوسيط، مادة: فكه.

(٤) المعجم الوسيط، مادة: نَكَتَ.

والنكتة في رأينا، عبارة موجزة غالباً، تهدف إلى الإضحاك عن طريق مقارنة بين متناقضين أو متماثلين، وربطهما بموقف أو شخص أو سلوك، يتم فيها الحط من شأن أحدهما أو إبراز مزايا أحدهما على حساب الآخر، وكلما زاد الفارق أو التشابه بينهما زادت قوة النكتة على الإضحاك.

أهمية الطرائف والنوادر وفوائدها

إن الضحك أمر مهم بالنسبة للإنسان، تنزع إليه النفس الانسانية، فتجد فيه طمأنينة وراحه وتنشرح به الصدور. فالضحك طبيعة بشرية تلقي على الحياة ستاراً من اللاواقعية، فترفع عن الانسان هموم حياته، وتدفعه للتفاؤل والنظر بفرح الى المستقبل[1].

والضحك تعبير صادق عن الطيبة ورضا النفس، وله تأثير كبير في تلطيف المزاج، ورقة الطبع، وفي كتاب (الضاحكون) اقر أحد علماء الطب الألمان المبادئ التالية:

١-كلما ضحك الإنسان أضاف مدة إلى عمره.

٢-إن نزول مهرج ببلدة أجدى على صحة العامة فيها من عشرين حملاً من الأدوية.

٣-الضحك يؤثر في الجسم والعقل معا، ويساعد على الهضم، ويقوي دورة الدم، ويزيد إفراز العرق، ويرفع القوة في كل عضو من أعضاء الجسم.

---

(١) جاد أرهمي، مرجع سابق.

٤-إذا جلست إلى الطعام فليكن حولك أهل فكاهة وطرب.

وفي بعض الروايات: أن يحيى بن زكريا عليه السلام لقي عيسى عليه السلام وهو يضحك فقال له: مالي أراك لاهياً، كأنك آمن؟ أي من غضب الله) فقال عيسى: ومالي أراك عابساً كأنك آيس؟ أي من رحمة الله. فقال يحيى: لن نبرح حتى ينزل علينا الوحي، فأوحى الله إليهما بأن أحبكما إليَّ الطلقُ البسام[1].

وقد عُرف النبي ﷺ بكونه من أفكه الناس وأظرفهم. ففي حديث أنس على ما جاء في لسان العرب: إن النبي كان من أفكه الناس. وعن عائشة، وقد سئلت: كيف كان رسول الله إذا خلا في بيته؟ قالت: كان ألين الناس، وكان رجلاً من رجالكم، إلا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً. وعن عبد الله بن الحارث الزبيدي أنه قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

وجاء في روايات الإسلام عن صفات المؤمن: يجب أن يكون المؤمن هشّاً بشّاً، وكان الإمام علي مشهوراً بالدعابة وخفة الروح والفكاهة، حتى قال فيه من لم يستسغ الفكاهة: "لولا دعابة فيه" وذلك حين جاء ذكر الخلافة في أول دورها. وعن علي ؓ: "من كانت فيه دعابة فقد برئ من الكبر".

---

(١) شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، دار القلم، بيروت، ص: (٤٧٢).

ويورد القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" ما يُستحسن أن يُجمع الكلام من الفكاهة، ويوصي بأن يقتصر في الكلام على النادرة المستطرفة، والنكتة المستظرفة، واللمعة المستحسنة، والفقرة المستغربة في المكاتبة، دون الإطالة المملة. وإلى ذلك يشير بعض الشعراء[1]:

أقد طبعك المكدود بالجد راحةً ... يلهو وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يُعطى الطعامُ من الملح

مجالات الفكاهة ووظائفها

للفكاهة منافع عدة ووظائف جمة كما سبق، إذ لا يستطيع غيرها أن ينوب عنها في تحقيق هذه المنافع أو تلك الفوائد، فالفكاهة لا تهدف دائما للإضحاك فقط، بل انها تقوم إلى جانب ذلك بوظائف النقد، والدعوة إلى الإصلاح، والتواصل الاجتماعي، والترفيه كذلك. وفيما يلي بيان بهذه الوظائف:[2]

١. **الوظيفة التربوية**: حيث أثبتت عدة دراسات حديثة أن الفكاهة تعمل على تفريغ شحنة الانفعالات السلبية المتراكمة بفعل أحداث

---

(١) جعفر الخليلي: الفكاهة عند العرب وفي الإسلام، مجلة العربي ع ١٧٨ سنة ١٩٧٢، ص ٧٢-٧٥.

(٢) خليل عبد اللطيف أدب الفكاهة سرعة الخاطر وحضور البديهة، صحيفة الفرات الإلكترونية، الأحد/ ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٨

الحياة اليومية، كما أنها تعدّل السلوكات السلبية في المجتمع عن طريق السخرية منها وإثارة الرأي العام حولها.

٢. **الوظيفة التواصلية:** الضحك ييسر التفاعل بين الأفراد والجماعات، فيتحقق التواصل نتيجة تلطيف غضب الآخرين وتفادي هجومهم السلبي، فيتحول ذلك إلى حالة إيجابية ونوع من المشاركة الوجدانية.

٣. **الوظيفة التبليغية:** بالفكاهة يمكن أن ننقل أفكاراً وآراء إلى الآخرين ونعرفهم بها، وهم في حالة استماع وتتبع ذهني لا يتوافر لهم أثناء الموعظة أو المحاضرة أو الندوة.

٤. **الوظيفة الترفيهية:** ترويح القلوب والنفوس، فالقلوب إذا كلت عميت، كما جاء في الحديث الشريف، والدأب أو الاستمرار في الجد يجعل النفس تمل وتسأم، وبعض المباح من اللهو يجعلها تنجلي وتشرق، حيث يتبدد التعب المتراكم بفعل استمرار العمل ومواصلة التفكير الجاد.

كيف تحقق الفكاهة وظائفها؟

إن الفكرة الأساس للفكاهة والضحك هي انتقاد النقص، والحط من قيمته، والسخرية منه، سواء أطال هذا النقص السلوك، أم الأخلاق أم المؤسسات المدنية، أم الأشخاص، إلا أن تبني هذه الفكرة على إطلاقها

قد يؤثر في تحقيق بعض الوظائف والأهداف التي يسعى الفنان الداعية لبلوغها، ومن أجل ذلك فلا بد من تقييد هذه الفكرة بما يلي[1]:

١. تجنب انتقاد خَلق الإنسان بدل خُلقه.

٢. تجنب استعمال ألفاظ الشتم، والسباب، والسخرية، والاستهزاء.

٣. تجنب توظيف أسماء أشخاص أو أسماء هيئات بعينها في موضع السخرية والاستهزاء.

٤. تجنب النكت والملح التي تتناول الأنبياء المقدسات الدينية، أو أشخاص مرتبطين بها (أئمة، أو علماء، أو فقهاء...إلخ). ولا سيما إذا كانت بأسلوب التهكم والاستخفاف.

٥. تجنب الفكاهة العرقية القائمة على التمايز القومي بما يثير النزعة القبلية، العرقية، الاقليمية، الطائفية.

موقف الإسلام من الضحك

لبيان موقف الإسلام من الضحك والفكاهة عموماً نورد هنا رأي الدكتور يوسف القرضاوي في إجابة عن سؤال وجه إليه في هذا الأمر، فقال[2]: الضحك من خصائص الإنسان، فالحيوانات لا تضحك: لأن الضحك يأتي بعد نوع من الفهم والمعرفة لقول يسمعه، أو موقف يراه،

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) يوسف القرضاوي ، فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ج٢/ ٤٤٥.

فيضحك منه. ولهذا قيل: الإنسان حيوان ضاحك، ويصدق القول هنا: أنا أضحك، إذن أنا إنسان.

والإسلام -بوصفه دين الفطرة- لا يتصور منه أن يصادر نزوع الإنسان الفطري إلى الضحك والمرح والانبساط، بل هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمة طيبة، ويحب للمسلم أن تكون شخصيته متفائلة باشّة، ويكره الشخصية المكتئبة المتطيرة، التي لا تنظر إلى الحياة والناس إلا من خلال منظار أسود قاتم.

على أن حاجة الإنسان السوي إلى اللهو حاجة فطرية. ونجيب الذين اعترضوا على حِل الألعاب المختلفة بأنها لهو، وهو مذموم، بما أجاب الإمام الغزالي عمن قال: إن الغناء لهو ولعب بقوله: (هو كذلك، ولكن الدنيا كلها لهو ولعب... وجميع المداعبة مع النساء لهو، إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد، وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال، نقل ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة.

ومن الناس من استدل بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان]. على أن كل لهو حرام. وهذا غير صحيح، لأن الآية الكريمة لم تذم اللهو في ذاته، وإنما ذمت من يشتري اللهو ليضل عن سبيل الله، ويتخذها هزواً، فالمذموم هنا هو المقصود من وراء اللهو، وليس اللهو ذاته.

يؤيد هذا أن القرآن قرن اللهو بالتجارة ـ وهي مشروعة قطعاً ـ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)﴾ [الجمعة].

وأسوة المسلمين في ذلك هو رسول الله ﷺ فقد كان ـ برغم همومه الكثيرة والمتنوعة ـ يمزح ولا يقول إلا حقًا، ويحيا مع أصحابه حياة فطرية عادية، يشاركهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم. ورأيناه يمزح مع تلك المرأة العجوز التي جاءت تقول له: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: "يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز"، فبكت المرأة حيث أخذت الكلام على ظاهره، فأفهمها: أنها حين تدخل الجنة لن تدخلها عجوزًا، بل شابة حسناء. وتلا عليها قول الله تعالى في نساء الجنة: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)﴾ [الواقعة].

وجاء رجل يسأله أن يحمله على بعير، فقال له عليه الصلاة والسلام: "إنا حاملوك على ولد الناقة"، فقال: يا رسول الله، وماذا أصنع بولد الناقة؟ -انصرف ذهنه إلى الحوار الصغير- فقال: "وهل تلد الإبل إلا النوق"؟ وقال زيد بن أسلم: إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك، قال: "ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض" ؟ قالت: والله ما بعينه بياض، فقال: "بلى، إن بعينه بياضا". فقالت: لا والله، فقال ﷺ: "ما من أحد إلا بعينه بياض" وأراد به البياض المحيط بالحدقة.

وكان أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان في خير قرون الأمة يضحكون ويمزحون، اقتداءً بنبيهم ﷺ واهتداء بهديه. حتي إن رجلاً مثل عمر بن الخطاب -على ما عرف عنه من الصرامة والشدة- يروى عنه أنه مازح جارية له، فقال لها: خلقني خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام! فلما رآها ابتأست من هذا القول، قال لها مبينًا: وهل خالق الكرام واللئام إلا الله عز وجل؟!

ومن هنا نقول: إن الضحك والمرح والمزاح أمر مشروع في الإسلام، كما دلت علي ذلك النصوص القولية، والمواقف العملية للرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وما ذلك إلا لحاجة الفطرة الإنسانية إلى شيء من الترويح، يخفف عنها لأواء الحياة وقسوتها، وتشعب همومها وأعبائها. وفي هذا قال الإمام علي رضي الله عنه: "إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة". وقال: "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمي"! كما أن هذا الضرب من اللهو والترفيه يقوم بمهمة التنشيط للنفس، حتى تستطيع مواصلة السير والمضي في طريق العمل الطويل، كما يريح الإنسان دابته في السفر، حتى لا تنقطع به.

فمشروعية الضحك والمرح والمزاح لا شك فيها في الأصل، ولكنها مقيدة بقيود وشروط لا بد أن تراعى:

أولها: ألا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس، كما يفعل بعض الناس في أول نيسان - إبريل - فيما يسمونه " كذبة نيسان". ولهذا قال ﷺ: "ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك القوم، ويل له، ويل له، ويل له". وقد كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًا.

ثانيًا: ألا يشتمل علي تحقير لإنسان آخر، أو استهزاء به وسخرية منه، إلا إذا أذن بذلك ورضي. قال تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]. وجاء في الحديث الصحيح: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" (رواه مسلم). وذكرت عائشة أمام النبي ﷺ إحدى ضرائرها، فوصفتها بالقصر تعيبها به، فقال: "يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" قالت: وحكيت له إنسانًا - أي قلدته في حركته أو صوته أو نحو ذلك - فقال: "ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا". (رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح).

ثالثا: ألا يترتب عليه تفزيع وترويع لمسلم. فقد روي أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فقام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلي حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: "لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا".

وعن النعمان بن بشير قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير، فخفق رجل علي راحلته -أي نعس- فأخذ رجل سهمًا من كنانته فانتبه الرجل، ففزع، فقال رسول الله: "لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا" رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات. والسياق يدل علي أن الذي فعل ذلك كان يمازحه. وقد جاء في الحديث الآخر: "لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادا" رواه الترمذي وحسنه.

رابعاً: ألا يهزل في موضع الجد، ولا يضحك في مجال يستوجب البكاء، فلكل شيء أوانه، ولكل أمر مكانه، ولكل مقام مقال. والحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب.

قال الشاعر:

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن   بمقدار ما يُعطى الطعامُ من الملح

وروى الأصمعي أنه رأى امرأة بالبادية تصلي على سجادتها خاشعة ضارعة فلما فرغت، وقفت أمام المرآة تتجمل وتتزين، فقال لها: أين هذه من تلك؟ فأنشدت تقول:

ولله مني جانب لا أضيعه   وللهو مني والبطالة جانب!

قال: فعرفت أنها امرأة عابدة لها زوج تتجمل له.

وقد قال أبو الطيب المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

خامسًا: أن يكون ذلك بقدر معقول، وفي حدود الاعتدال والتوازن، الذي تقبله الفطرة السليمة، ويرضاه العقل الرشيد، ويلائم المجتمع الإيجابي العامل.

والإسلام يكره الغلو والإسراف في كل شيء، ولو في العبادة، فكيف باللهو والمرح؟! ولهذا كان التوجيه النبوي: "ولا تكثر من الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب" فالمنهي عنه هو الإكثار والمبالغة. وقد ورد عن علي ﷺ قوله: "أعط الكلام من المزح، بمقدار ما يُعطي الطعام من الملح". وهو قول حكيم، يدل علي عدم الاستغناء عن المزح، كما يدل على ضرر الإفراط فيه. والمبالغة هي التي يخشي من ورائها الإلهاء عن الأعباء، أو تجريء السفهاء، أو إغضاب الأصدقاء، ولعل هذا المراد من حديث "لا تمار أخاك ولا تمازحه" رواه الترمذي. فالمبالغة في المزاح كالمماراة، كلتاهما تؤدي إلى إيغار الصدور. وقال سعيد بن العاص لابنه: "اقتصد في مزاحك، فالإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وتركه يقبض المؤانسين، ويوحش المخالطين".

وخير الأمور هو الوسط دائمًا وهو نهج الإسلام وخصيصته الكبرى، ومناط فضل أمته على غيرها. وهو الصراط المستقيم الذي ندعو الله أن يهدينا إليه، ويثبتنا عليه في الأقوال والآراء والأعمال والمواقف، اللهم آمين.

الفصل الأول

المُلح والنوادر



الفصل الأول

المُلح والنوادر

تواضع النبوة

روي أن الرسول ﷺ كان في سفر مع جماعة من أصحابه، فلما حان موعد الطعام عزموا على أن يعدوا شاة يأكلونها، فقال أحدهم: علي ذبحها، وقال الآخر علي سلخها، وقال الثالث: علي طبخها، فقال النبي ﷺ: وعلي جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله، نعفيك من العمل. فقال: علمت أنكم تكفونني، ولكني أكره أن أتميز عليكم. وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: دخلت السوق مع رسول الله ﷺ ليشتري سراويل، فوثب البائع إلى يد النبي ليقبلها، فجذب يده و منعه قائلا له: هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجل منكم، ثم أخذ السراويل، فأردت أن أحملها فأبى وقال: صاحب الشيء أحق أن يحمله.

خطبة قس بن ساعدة

يعد قس ين ساعدة الإيادي[1] من أشهر خطباء العرب في الجاهلية، ومن أشهر خطبه التي يتنبأ فيها بنبوة سيدنا محمد ﷺ قوله: يا أيها الناس

---

(١) هو من بني إياد أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية كان أسقف نجران، ويقال إنه كان أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في=

اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطرٌ ونبات، وأرزاقٌ وأقوات، وآباءٌ وأمهات وأحياءٌ وأموات، جمعٌ وأشتات وآياتٌ، وأرضٌ ذات رتاج، وبحارٌ ذات أمواج، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تُركوا هناك فناموا؟ أقسم قسٌّ قسماً لا حانث فيه ولا آثماً، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونبياً قد حان حينه وأظلكم أوانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه.

ثم قال تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية، يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد، وأين ثمود وعاد، وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد؟ أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً، وأطول منكم آجالاً، وأبعد منكم آمالاً؟. طحنهم الثرى بكلكله، ومزقهم بتطاوله، فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية! كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس والد ولا مولود. ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر ورأيت قومي نحوها تمضي الأصاغر والأكابر

=كلامه "أما بعد" وكان يذهب إلى قيصر الروم، زائرا، فيكرمه ويعظمه وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي ﷺ، قبل الوحي، ورآه في عكاظ. كان يعرف النبي ﷺ وينتظر ظهوره ويقول: إن لله دينا خير من الدين الذي أنتم عليه. وكان النبي يترحم عليه ويقول: يحشر يوم القيامة أمة وحده.

أيقنـت أني لا محالـة حيـث صـار القـــــوم صـــــائر		لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر

تربية نبوية

كان الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي في الصلاة، إذ عطس رجل من القوم في الصلاة، فقال له معاوية: يرحمك الله، وهو يصلي، فلم يرد عليه؛ فقال معاوية: فرماني القوم بأبصارهم، فقال: واثكل أماه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! أي: لماذا تنظرون إليَّ هكذا؟! قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم يصمتونني -يعني: يريدون أن يسكتوني- قال: فسكتُّ: فلما قضى النبي ﷺ صلاته، (فبأبي هو وأمي، والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه) والله ما كهرني -يعني: لم ينهرني- ولا ضربني ولا شتمني، وإنما قال لي: إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن. (رواه مسلم).

بنو أنف الناقة

أنف الناقة لقب جعفر بن قريع السعدي من تميم في الجاهلية، ومن نسله شعراء فحول، وكانوا يَفرُقون[1] من هذا الاسم، حتى إن الرجل منهم

---

(١) يفرقون: يخافون ويتضايقون.

حين يُسأل ممن هو؟ يقول: من بني قريع، فيتجاوز جعفراً أنف الناقة بن قريع بن عوف، ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب، إلى أن مدحهم الحطيئة بقوله:

قوم هم الأنف، والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا؟!

فرفع بهذا البيت قدرهم ومحا عنهم العار والشنار، وعلا ذكرهم بين الناس، فصار الواحد منهم إذا سئل عن قبيلته يقول: أنا أنفيّ، ويرفع بها صوته مفتخراً[1].

ذكاء القاضي الباقلاني

روي أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما وصل إلى مدينته عرف ملك الروم خبره ومكانته من العلم، ففكر الملك في أمره، وعلم أنه إذا دخل عليه لن يصنع كما تصنع رعيته حين يدخلون عليه، يدخلون وهم ركوع، أمر حاشيته أن يُقَصّروا من طول الباب، بحيث لو دخل عليه الباقلاني يضطر إلى خفض رأسه وحنى جسمه كهيئة الركوع، فيذلّ أمام ملك الروم وأمام حاشيته.

---

(١) يعود سبب تسميتهم بهذا الاسم، إلى أن أباهم قد عقر مرة ناقة وقسمها على أولاده ولم يبق سوى واحد حضر متأخراً، ولم يكن لدى الأب سوى الرأس فأعطاه له، فربطه الولد بحبل من أنفه، وجره إلى بيت أمه، فسماه من رآه من الناس أنف الناقة، فصارت هذه التسمية كنية له ثم لأولاده من بعده، إذ دُعوا ببني أنف الناقة. وكثيراً ما تجر الأسماء على أصحابها العار بين قبائل العرب.

فلما وصل القاضي إلى عند الملك ورأى الباب الصغير فطن لهذه الحيلة، عندها أدار القاضي ظهره للباب وحنى ظهره ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد أستقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه وأدار وجهه حينئذ للملك، فأدرك الملك فطنته ووقعت له الهيبة في نفسه.

حوار بين الباقلاني وملك الروم

عندما طلب ملك الروم من الخليفة أن يرسل إليه أحد علمائه ليسأله، بعث له بالقاضي أبا بكر الباقلاني وكان أذكى علماء الإسلام في عصره. فلما دخل المجلس وكان مع الملك حاشيته من الرهبان ورجال الكنيسة بادره بالسؤال: هل كان نبيكم يغزو؟

قال الباقلاني: نعم.

قال الملك: فهل كان ينتصر؟

قال: نعم

قال الملك: فهل كان يُهزَم؟

قال: نعم

قال الملك: عجيب! أنبيٌّ ويغلب؟!

فقال الباقلاني: أصلب عيسى عليه السلام؟

فقال الملك: نعم.

فقال أبو بكر: عجيب، أربٌ يصلب؟!

أتعلم مكانه مني؟

قال زيد بنُ عُمر: سمعت طاووسًا يقول: بينا أنا بمكّة إذ رُفعتُ إلى الحجاج بن يوسف، فثنى لي وسادًا فجلستُ. فبينا نحن نتحدث إذ سمع صوت أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتّلبية، فقال الحجاج: عليّ بالملبّي.

فأُتي به، فقال: ممن الرّجل؟ قال: من أهل اليمن.

قال له الحجاج: فكيف خلّفت محمد بن يوسف -يعني أخاه- وكان عامله في اليمن.

قال: خلّفته جسيمًا خراجاً ولاجاً.

قال: ليس عن هذا سألتك، وإنما أسألك: كيف خلّفت سيرته في الناس؟

قال: خلفتُه ظلومًا غشوماً عاصياً للخالق مُطيعاً للمخلوق.

فازورّ [1] من ذلك الحجاج وقال: ما أقدَمك على هذا، وقد تعلم مكانه مني؟

فقال الأعرابي: أفتراه بمكانه منك أعزّ مني بمكاني من الله تبارك وتعالى، وأنا وافدٌ بيته وقاضٍ دَيْنه ومصدّق نبيّه ﷺ؟

قال: فوَجَم لها الحجاج ولم يُحِرْ له جوابًا حتى خرج الرّجل بلا إذن[2].

(١) ازورّ: مال وانحرف، كناية عن الغضب.

(٢)العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٤٢٣

هنا يباع السمك

كتب بائع السمك بخط عريض جميل على باب محله عبارة: (هنا يباع السمك). فجاءه أحد أصدقائه فرأى العبارة مكتوبة على باب المتجر، وقال: العبارة جميلة والخط كذلك، ولكن لماذا كتبت كلمة (هنا)؟ أرى أنه لا ضرورة لها، سيما وأنك تبيع السمك هنا وليس هناك. فقام صاحب المحل وحذف كلمة (هنا) وبقيت العبارة هكذا (.. يباع السمك).

في اليوم التالي زاره صديق ثان فقرأ: (يباع السمك)، فأثنى على العبارة والخط الجميل، ولكنه اقترح حذف كلمة (يباع) فالمحل معروف لبيع السمك. فقام صاحب المحل وحذف كلمة (يباع).

وفي اليوم الثالث زاره صديق آخر، فاستنكر كلمة (السمك) مكتوبة هكذا وحدها، وقال لصاحبه: إن رائحة السمك تملأ الشارع من أوله إلى آخره، فلا مبرر لهذه الكلمة على باب المحل.

فما كان من التاجر إلا أن عمد إلى محو الكلمة، وبقيت اللافتة بيضاء بلا كتابة. وبعد يومين أو ثلاثة زاره صديق رابع، وقال: لم لا تكتب على هذه اللوحة عبارة: (هنا يباع السمك)؟!

رضا الناس غاية لا تدرك

حكى الكاتب الشاعر الرحالة (ابن سعيد) عن نفسه ـ فيما بين القرن السادس والسابع الهجري ـ أنه كان يتحدث إلى أبيه يوما في اختلاف مذاهب

الناس، وأنهم لا يوافقون أحدا فيما اختار، ولا يرضون منه ما ارتضي. فقال أبوه: متى أردت أن يوافقك كل واحد على ما تصنع دون أن يعترض عليك، أتعبت نفسك باطلا، وطلبت غاية لا تدرك..

واستطرد الأب يضرب لولده مثلا، يدله به على صواب رأيه، فقال: إن رجلا من عقلاء الناس كان له ولد، فقال له ذات يوم: يا أبي، ما للناس ينتقدون عليك أشياء، وأنت عاقل، لو سعيت في مجانبتها سلمت من النقد. فقال له الأب: يا بني، إنك غِرٌّ، لم تجرب الأمور، وإن رضا الناس محال، وأنا أقفك على حقيقة ذلك..

وعمد الأب إلى حماره، وقال لولده: اركب هذا الحمار، وأنا أتبعك ماشيا. ففعلا، وبينما هما كذلك إذ سمعا رجلاً يقول: انظروا ما أقل أدب هذا الغلام، يركب هو وأبوه يمشي!

وبعد مرحلة، قال الوالد لولده: اركب الحمار معي. فما أن رآهما أحد السابلة، حتى قال: يا لقسوة الأب وابنه كيف يركبان الحمار معاً، وفي آن واحد منهما كفاية!.

وبعد مرحلة، قال الوالد لولده: انزل بنا فنزلا، ومشيا، وقدامهما الحمار، ليس عليه راكب، فانبرى شخص يشير بإصبعه، قائلا: ما أحمق الرجل وابنه، ولا خفف الله عنهما، انظروا كيف تركا الحمار فارغاً، وجعلا يمشيان خلفه!

فقال الرجل لولده: أرأيت يا بني، لقد سمعت كلام الناس، على اختلاف الأحوال، وعلمت أن الاعتراض في طبع البشر، ولا يسلم منه أحد، على أية حال كان ...

حجام يعلِّم أبا حنيفة

قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت – رحمه الله تعالى –: أخطأت في خمسة أبواب في المناسك بمكة، فعلمنيها حجام، وذلك أني أردت أن أحلق رأسي، فقال لي: أعربي أنت؟ قلت: نعم، وكنت قد قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال لي: النسك لا يشارط فيه، اجلس. فجلست منحرفاً عن القبلة، فأومأ لي باستقبال القبلة. وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال: أدر شقك الأيمن من رأسك. فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت، فقال لي: كبِّر. فجعلت أكبِّر حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟ قلت: رحلي. فقال: صل ركعتين، ثم امض. فقلت: ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم. فقلت: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.

أبو حنيفة وحلاق

مما يدل على شغف أبي حنيفة في الرأي والقياس ذلك الحوار الذي دار بينه وبين حلاق يهذب شعره، فقد طلب منه أبو حنيفة أن يلتقط من ذقنه

الشعرات البيض فاعتذر الحلاق معللا اعتذاره بأنه لو التقط الشعرات البيض لكثرت كثرة ربما طغت على الشعر الأسود: فقال له أبو حنيفة: إذن التقط الشعر الأسود ليكثر فيطغى على الشعرات البيض.

أبو غياث الزاهد يعظ الأمير

روي أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر في بخارى، فدخل المدينة ليزور أخاً له، وكان غلمان الأمير نصر بن أحمد، ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره، وكان يوم ضيافة الأمير، فلما رآهم الزاهد. قال: يا نفس وقع أمر، إن سكتِّ فأنت شريكة. فرفع رأسه إلى السماء، واستعان بالله وأخذ العصا، فحمل عليهم حملة واحدة، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان، وقصّوا على الأمير قصتهم مع الزاهد. فدعا به وقال له:

أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدّى في السجن؟!

فقال له أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران؟!

قال له: من ولّاكَ الحسبة؟

فقال: الذي ولّاكَ الإمارة.

فقال الأمير: ولّاني الخليفة.

قال أبو غياث: وأنا ولّاني الحسبة رب الخليفة.

فقال الأمير: اذهب فقد ولّيتك الحسبة بسمرقند.

فقال: عزلت نفسي عنها.

قال الأمير: العجب في أمرك، تحتسب حين لم تؤمر، وتمتنع حين تؤمر؟!

قال: لأنك إن ولّيتني عزلتني، وإذا ولّاني ربي لن يعزلني أحد.

فخلى الأمير سبيله، وخرج مرفوع الرأس.

قتل الجاني لتأديب الجيش

اجتاز المعتضد في بعض أسفاره بقرية فيها مقثأة، فوقف صاحبها صائحاً مستصرخاً الخليفة، فاستدعى به فسأله عن أمره فقال: إن بعض الجيش أخذوا لي شيئاً من القثاء وهم من غلمانك، فقال: أتعرفهم؟ قال: نعم، فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة، فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم، فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة الطريق، فاستعظم الناس ذلك واستنكروه وعابوا ذلك على الخليفة وقالوا: قتل ثلاثة بسبب قثاء أخذوه؟ فدخل عليه مسامره، ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يبديه، فقال له: إني أعرف أن في نفسك كلاماً فما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين: وأنا آمن؟ قال: نعم. قلت له: فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء، فقال: والله ما سفكت دماً حراماً منذ وليت

الخلافة إلا بحقه، فقلت له: فما بال الثلاثة الذين قتلتهم على القثاء؟ فقال: والله ما كان هؤلاء الذين أخذوا القثاء، وإنما كانوا لصوصاً قد قتلوا وأخذوا المال، فوجب قتلهم فجئت بهم من السجن فقتلتهم، وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القثاء، وأردت بذلك أن أرهب الجيش لئلا يفسدوا في الأرض ويتعدوا على الناس ويكفوا عن الأذى. ثم أمر بإخراج أولئك الذين اخذوا القثاء فأطلقهم بعدما استتابهم وخلع عليهم وردهم إلى أرزاقهم.

الحصرم يسبق الزبيب

لما جلس أبو يوسف -رحمه الله- للتدريس من غير إعلام أستاذه أبي حنيفة -رحمه الله- أرسل إليه أبو حنيفة رجلا فسأله عن خمس مسائل:

الأولى: قصّار جحد الثوب وجاء به مقصوراً هل يستحق الأجر أم لا؟

فأجاب أبو يوسف - رحمه الله-: يستحق الأجر.

فقال له الرجل: أخطأت.

فقال: لا يستحق.

فقال: أخطأت، ثم قال له: إن كانت القصارة قبل الجحود استحق وإلا لا.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة؟

فقال: بالفرض.

قال: أخطأت.

قال: بالسنة.

قال: أخطأت.

فتحير أبو يوسف - رحمه الله - فقال الرجل: بهما معاً؛ لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق هل يؤكلان أم لا؟

فقال: يؤكل فخطّأه، فقال: لا يؤكل، فخطّأه.

ثم قال: إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا ويؤكل وترمى المرقة، وإلا يرمى الكل.

الرابعة: مسلم له زوجة ذمّيّة ماتت وهى حامل منه، تدفن في أي المقابر؟

فقال أبو يوسف: في مقابر المسلمين، فخطأه.

فقال: في مقابر أهل الذمة، فخطّأه.

فتحير أبو يوسف، فقال الرجل: تدفن في مقابر اليهود، ولكن يحوّل وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة؛ لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أم ولد لِرجُل، تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى، فهل تجب العدة منه؟

فقال: تجب، فخطّأه.

فقال: لا تجب، فخطّأه.

ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها لا تجب وإلا وجبت. فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة- رحمه الله- فقال أبو حنيفة " تزببت قبل أن تحصرم."[1].

في وصف العصا

لقي الحجاج أعرابياً فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من البادية. قال: وما بيدك؟ قال: عصا أركزها لصلاتي وأعدها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفري، وأعتمد بها على مشيي ليتسع بها خطوي، وأبث بها النهر فتؤمّنني، وألقي عليها كسائي فيسترني من الحر ويقيني من القر، وتدني ما بعد مني. وهي محمل سفرتي وعلاقة أدواتي ومشجب ثيابي،

---

(١) زببت العنب جعلته زبيبا، والحصرم أول العنب ما دام حامضا، وحصرم كل شيء حشفه، والمراد هنا: تعجلت الأمر. هكذا ربّى الإمام تلميذه على أن يستغرق في كل مرحلة وقتها المناسب، وألا يستعجل الشيء قبل أوانه، فمن كان هذا شأنه عوقب بحرمانه، ولفت الإمام نظره إلى أن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، وانه لا أستاذية قبل الطلب، ولا قيادة قبل الجندية،لأنه لا زبيب قبل الحصرم، ولا مضغ قبل المص، ولا ركض قبل الحبو، وهذا النضج لا يأتي إلا بعد المرور بمراحل، فإن من طوى دراسته طياً أو قطعها قبل إبانها يصدق عليه قول أبي حنيفة لتلميذه أبي يوسف عندما جلس للتدريس دون استئذان، فأرسل إليه أبو حنيفة رجلاً سأله خمسة أسئلة وعلمه الجواب، فذهب الرجل إلى أبي يوسف فسأله هذه الأسئلة فلم يعرف جوابها ، فأجابه الرجل، فعلم أبو يوسف أن أبا حنيفة بعثه، وأنه تعجل الأمر قبل أوانه، فرجع إلى درس أبي حنيفة، فقال له قولته المشهورة: تزببت قبل أن تحصرم. معناه أن العنب لا يصل إلى مرحلة الزبيب إلا بعد مروره بمرحلة الحصرم، ويستحيل أن يتعداها ، وهذا حال المستعجل.

وأعتمد بها عند الضراب، وأقرع بها على الأبواب، وأتقي بها عقور الكلاب. تنوب عن الرمح في الطعان، وعن الحراب عند منازلة الأقران. ورثتها عن أبي، وأورثها بعدي ابني، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى كثيرة لا تحصى.

الزَّور للزائر

حدّث إبراهيم بن المنذر الخزامي قال: قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر: فأنزله وكان عنده دجاج كثير، وله امرأة وابنان وابنتان منها، قال: فقلت لامرأتي: اشوي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابناي وبنتاي والأعرابي، فدفعنا إليه الدجاجة، فقلنا:

اقسمها بيننا؛ نريد بذلك أن نضحك منه قال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم، قلنا: فإننا نرضى فأخذ رأس الدجاجة، فقطعه، ثم ناولني إياه، وقال: الرأس للرئيس، ثم قطع الجناحين وقال: والجناحان للابنين، ثم قطع الساقين فقال: والساقان للابنتين، ثم قطع الزمكى[1] وقال العجز للعجوز، وآثر نفسه بباقي الدجاجة ثم قال: والزَّور للزائر، فأخذ الدجاجة بأسرها.

---

(١) الزمكى: منبت ذيل الطائر.

فلما كان من الغد قلت لامرأتي: أشوي لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء قلنا: اقسم بيننا قال: أظنكم وجدتم من قسمتي[1] أمس. قلنا: لا، لم نجد، فاقسم بيننا، فقال: شفعاً أم وتراً، قلنا: وتراً قال: نعم. أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى إلينا بدجاجة، ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية، ثم قال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثم قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال: ما لكم تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي؟ الوتر ما تجيء إلا هكذا. قلنا: فاقسمها شفعاً. فقبضهن إليه ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إليه بدجاجة، والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهن بدجاجة، ثم قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة، وضم إليه ثلاث دجاجات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله أنت فهّمتنيها. والله لا أحيد عن هذه القسمة.

الهم يذيب الشحم

كان أحد ملوك الأرض قديماً سميناً كثير الشحم، لا ينتفع بنفسه، فجمع الحكماء وقال: احتالوا لي بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً، فما قدروا على شيء، فجاءه رجل عاقل لبيب متطيب فقال له الملك: عالجني ولك الغنى، قال: أصلح الله الملك، أنا طبيب منجّم دعني حتى أنظر الليلة

---

(١) وجدتم في قسمتي، أي لم ترضوا بها (والوجد: الحزن والغضب).

في طالعك[1] لأرى أي دواء يوافقه، فلما أصبح قال: أيها الملك، الأمان. فلما أمّنه قال: رأيت طالعك البارحة يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد، فإن اخترت عالجتك، وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخل عني وإلا فاقتص مني، قال: فحبسه، ثم رفع الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتماً، فكلما انسلخ يوم ازداد هماً وغماً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً، فبعث إليه وأخرجه فقال: ما ترى؟ قال: أعز الله الملك، أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب، والله إني لا أعلم عمري فكيف أعلم عمرك؟ ولكن لم يكن عندي دواء إلا الغمّ، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه الحيلة، فإن الغم يذيب الشحم. فأجازه على ذلك وأحسن إليه غاية الإحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم.

بين شريح القاضي ورجل

دخل رجل على شريح القاضي، يخاصم امرأة له فقال: السلام عليكم. فرد عليه القاضي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال: إني رجل من أهل الشام.

فقال: بعيد سحيق.

---

(١) الطالع: الهلال، والفجر الكاذب، وما يتنبأ به المنجم من الحوادث بطلوع كوكب معين.

قال: وإني قدمت إلى بلدكم هذا.

فقال: خير مقدم.

قال: وإني تزوجت امرأة.

فقال: بالرفاء والبنين.

قال: وإنها ولدت غلاماً.

فقال: ليهنئك الفارس.

قال: وقد كنت شرطت عليها صداقها.

فقال: الشرط أملك.

قال: وقد أردت الخروج بها إلى بلدي.

فقال: الرجل أحق بأهله.

قال: فاقض بيننا؟

فقال: قد فعلت.

قال: بشهادة من؟

فقال: بشهادة ابن أخت خالتك (يعني إقراره على نفسه).

خنفشاري

كلمة (خنفشاري) نسمعها كثيرا، وتتداولها ألسنتنا كثيرا في معرض السخر والهزء والاستخفاف بكل ما لا ينهض على أساس من فكر أو رأي

أو بحث. وأطرف ما في حكاية هذه الكلمة أنها ليست من العربية، كما أنها ليست من لغة أخرى، بل هي جملة حروف ضمت إلى بعضها كيفما اتفق مكانها، وكان من حولها قصة. فقد امتحن بها أديب لغوي راوية، يزعم أنه لم يفته فوات من علم أي شيء في موضوعه. فكان بذلك موضع اتهام في صدقه ومعرفته. ولما أكثر على أهل الأندلس -وكان قدم إليهم من بغداد- شاؤوا أن يحتالوا عليه حيلة ظريفة تكشف حقيقته. فاخترع الوزير المنصور بن أبي عامر اختراعا كلمة (الخنشبار)، وسأله عن معناها. فأجابه، غير متمكث ولا متلبث: (هي حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الأعراب)، وفي ذلك يقول شاعرهم:

لقد عقدت محبتها بقلبي ... كما عقد الحليب بخنشبار

والحق أن سرعة بديهته وتوفيقه في هذا المنظم الملائم للدلالة التي زعمها، يشفعان بفريته التي كان باعثها كبرياؤه العلمية في بلاد لم يحظ فيها -لسبب أو لآخر- بما أمَّله من إعظام وإكرام.

منطق الأذكياء

قال إياس بن معاوية المزني (قاضي البصرة وأحد مشاهير الأذكياء):
كنت في الكتاب وأنا صبي، فجعل أولاد النصارى يضحكون من

المسلمين، ويقولون: إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة، فقلت للفقيه -وكان نصرانيا-: ألست تزعم أن في الطعام ما ينصرف في غذاء البدن؟ قال: بلى، قلت: فما تنكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم؟! فقال منبهراً: ما أنت إلا شيطان!!

يبقى لك دينار واحد من التركة

جلس المأمون وفي مجلسه الأمراء والعلماء، فجاءت امرأة تتظلّم إليه، فذكرت له أن أخاها توفي وترك ستمائة دينار فلم يقتسم لها إلا دينار واحد. فقال لها المأمون على البديهة: قد وصلك حقك، لأن أخاك توفي وترك ابنتين وأما وزوجة، واثنا عشر أخا، وأختا واحدة وهي أنت. قالت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: للبنتين الثلثان (أربعمائة)، وللأم السدس (مئة) وللزوجة الثمن (خمسة وسبعون) ديناراً بقي خمسة وعشرون دينارا، لكل أخ ديناران وبقي دينار واحد لك. فعجب الحاضرون من فطنته وسرعة جوابه.

كذب بكذب

مما حُدث به عن وال بفارس: أنه بينما هو يوما في مجلس، وهو مشغول بحسابه وأمره، إذ دخل عليه شاعر وانشده شعراً مدحه فيه ومجّده، فلما فرغ قال له: قد أحسنت. ثم التفت إلى كاتبه وقال له: أعطه عشرة آلاف

درهم. وكاد الشاعر أن يطير من الفرح، فقال: لكي يتضاعف فرحك نعطيك أربعين ألفا! فدعا الشاعر له، وخرج من مجلسه في انتظار العطية.

فقال الكاتب للوالي: سبحان الله! هذا كان يرضى منك بأربعين درهما، فتأمر له بأربعين ألف درهم؟

قال الوالي: ويحك! أتريد أن تعطيه شيئا!

قال الكاتب: فماذا إذن؟

قال الوالي: يا أحمق، إنما هذا الرجل سرنا بكلام، وسررناه بكلام! هو زعم أني أحسن من القمر، وأشهد من الأسد، وأن لساني أقطع من السيف، وأن أمري أنفذ من السنان، فهل جعل في يدي من هذا شيئاً؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب، ولكنه سرنا حين كذب علينا، فنحن أيضا نسره بالقول، ونأمر له بالجوائز، وإن كان كذباً، فيكون كذباً بكذب وقولاً بقول، فإما أن يكون كذباً بصدق وقولاً بفعل فهذا هو الخسران المبين!!

إبراهيم باشا وسعيد الحلبي

عندما دخل إبراهيم باشا المسجد بقي الشيخ سعيد الحلبي جالساً مادّاً رجله، و أقبل الناس جميعا يحيُّون ويصافحون، ووقف إبراهيم باشا طويلاً أمام الشيخ سعيد الذي لم يقبض رجله، وسار وهو يغلي غيظاً وقد استشاط غضباً، فأخذ صرة من النقود وقال لحاجبه: ادفعها للشيخ. فعندما وضعت

في حجر الشيخ سعيد قال للحاجب: قل لسيدك: إن الذي يمد رجليه لا يمد يديه!.

تأديب الواشي

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز ﷺ أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل آخر شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.

وحكي أن حكيما من الحكماء زاره بعض إخوانه، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه، (وكان الخبر سيئاً) فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنايات، بغّضت إليّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

العقل أم المال؟

حكى الأصمعي، رحمه الله، قال: قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني، فأمتعني بفصاحته وملاحته: أيسرك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنت أحمق؟ قال: لا والله. فقلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى عليّ حمقي".

قال الماوردي: فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه، واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدقّ على من هو أكبر منه سناً وأكثر تجربة.

في التربية العملية

أراد والد أن يربي ولده تربية عمل وصناعة، فلم ترق هذه التربية للطفل، فقال لأبيه: يا أبت، لقد رأيت مرة ثعلباً هرماً في الحقول، لا يستطيع من ضعفه صيد شيء من الوحوش، فجاء أسد وافترس فريسة بقرب الحقل، وأكل بعضها، ثم ترك البقية فزجف إليها الثعلب وأكلها، والله الذي هيأ للثعلب رزقه وهو جالس بمكانه، سيرزقني كما رزقه، فلماذا أكد وأتعب؟! فقال الوالد: يا بني، اختر لنفسك إحدى الاثنتين، إما أن تكون أسداً تأكل الثعالب الجائعة من فضلاتك، وإما أن تكون ثعلباً جائعاً ينتظر فضلات السباع!

أنت أيسر العرب

كان المنصور حريصاً على المال العام ممسك اليد. حدّث الوضين بن عطاء قال: استزارني أبو جعفر وكانت بيني وبينه خلالة وصداقة قبل الخلافة، فصرت إلى مدينة السلام، فخلونا يوماً، فقال: يا أبا عبد الله، ما مالُك؟ قلت: الخبر الذي يعرفه أمير المؤمنين. قال: ما عيالُك؟ قلت: ثلاث بنات وامرأة وخادم لهن. فقال لي: أربع في بيتك؟! قلت نعم، وردد

المنصور علي ذلك ثلاثاً، حتى ظننت أنه سيمولني، ثم رفع رأسه إلي وقال: أنت أيسر العرب، أربع مغازل يدرن في بيتك!.

أمن ريب المنون تتوجع؟!

لما مات ابن المنصور الأكبر جعفر جزع عليه، وطلب من حاجبه الربيع بن يونس أن يحضر له من بين بني هاشم من ينشده قصيدة أبي ذؤيب. (أمن المنون وريبها تتوجع)، لعله يتسلى بها، و لكن الربيع لم يجد بين بني هاشم من يحفظها فحزن لذلك المنصور، وأمره أن يحضر له من ينشده إياها من بين العامة، وجدَّ الربيع حتى أحضر له شيخاً كبيراً مؤدباً ينشد القصيدة حتى قال: والدهر ليس بمعتب من يجزع، فقال المنصور: صدق والله، أنشدني هذا البيت مئة مرة ليتردد هذا المصراع علي، ففعل الرجل، فلما أنهى الشيخ من الإنشاد خرج، فتبعه الربيع وقال له: أأمر لك أمير المؤمنين بشيء؟ فأراه صرة في يده بها مئة درهم.

حسن التخلص من الحجاج

أراد الحجاج أن يقف على أسرار الناس فيه وفي عمّاله. فخرج متنكرا حتى لقي شيخاً، فقال له: (ما رأيكم في رؤسائكم)؟ قال الشيخ: إنهم ظلمة مستبدون غير أكفياء، فقال: ما رأيكم في رئيسكم الحجاج؟ قال: إنه دنيء الخصال، بريء الفضائل، فأسف الحجاج على سؤاله، ثم قال للشيخ: أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا الحجاج فقال الشيخ: وأنا مجنون بني

عامر، يمسني الشيطان كل يوم مرة فأصرع، فلا أدري ما أقول، ولا يؤاخذني الناس على ما يصدر عني، ويبدو مني. فعفا عنه الحجاج لحسن تخلصه.

في بيته يؤتى الحكم

من أروع قصص الحكمة والبلاغة التي يزخر بها لتراث العربي قصة المحاكمة التي يوردها الميداني في كتابه (مجمع الأمثال) على لسان الحيوانات. قالوا: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها، فلطمته ولطمها، ثم انطلقا يختصمان إلى الضب.

قالت الأرنب: يا أبا الحسل!

قال: سميعاً دعوت.

قالت: أتيناك نختصم.

قال: عادلاً حكّمتما.

فالت: فاخرج إلينا.

قال: في بيته يؤتى الحكم.

قالت: إني وجدت تمرة.

قال: حلوة فكليها.

قالت: فاختلسها الثعلب.

قال: لنفسه بغى الخير

قالت: فلطمته.

قال: بحقك أخذت.

قالت: فلطمني.

قال: حر انتصر.

قالت فاقض بيننا.

قال: قد قضيت.

وذهبت جميع أقواله أمثالا.

وصية ظريفة

قـــدم لنفســـك مـــالا	وأنـــت مالـــك مالـــك
مـــن قبـــل أن تتـــوارى	ولـــون حالـــك حالـــك
فلســـت تعـــلم يومـــا	أي المســـالك ســـالك
إمـــا لجنـــة عـــدن	أو في المهالـــك هالـــك

كرام النفوس

كان يزيد بن المهلب، بعد خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز، مسافراً في البريّة بصحبة ابنه معاوية، فمرا بامرأة بدوية فاستضافتهما وذبحت لهما عنزاً، فلما أكلا، قال يزيد لابنه: ما معك من النفقة؟ قال: مئة دينار، فقال يزيد: أعطها إياها، فقال له ابنه: هذه امرأة فقيرة يرضيها

القليل، وهي لا تعرفك فقال يزيد: إن كان يرضيها القليل فأنا لا يرضيني إلا الكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

جوار أبي دلف

يحكى أن جاراً لأبي دلف ببغداد لزمه دين فادح، فاضطر إلى بيع داره، فساوموه فيها، فطلب ألفي دينار، فقالوا: إن دارك لا تساوي سوى خمسمائة دينار، قال: صدقتم، لكن جواري من أبي دلف يساوي ألفاً وخمسمائة دينار. فبلغ ذلك أبا دلف، فقضى عنه دينه وقال له: لا تبع دارك ولا ترحل من جوارنا.

تغلو الديار بجيرانها

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره في مكة بسبعين ألف درهم، وفي الليل مر عبد الله بالدار، فسمع بكاء أهل خالد، ولما سأل عن ذلك، قيل: إنهم يبكون على دارهم، فقال عبد الله لغلامه: اذهب إليهم وقل لهم: إن الدار والدراهم لهم.

قال الشاعر:

يلوموني إن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جاراً هناك ينغصُ

فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

علو الهمة وشرف النفس

دخل عمارة بن حمزة يوما على المنصور، وقعد في مجلسه، فقام رجل من الجالسين، وقال: "مظلوم يا أمير المؤمنين" قال: من ظلمك؟ قال: عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي! فقال المنصور: يا عمارة، قم فاقعد مع خصمك، فقال: ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي، فقد وهبتها له، ولا أقوم من مقام شرّفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة!

بين حنظلة وابنه مرة

حكى الأصمعي فقال: كان في بني تميم رجل يقال له حنظلة، وكان معروفا بسرعة الجواب المسكت، حتى لا يكاد يقهره أحد، وهو وحيد أمه وأبيه، فتزوج امرأة منهم اسمها علقمة، فجاءته بعدة أولاد، ولم يسلم له منهم غير ولد اسمه مرة، وكان أسرع من أبيه جواباً، مع بشاعة منظر، فصدر منه أمر أوجب سبه من أبيه في قومه.

فقال له: إنك لمرٌّ يا مُرَّة!

فرد عليه: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة.

قال: إنك خبيث كاسمك.

قال: أخبث مني من سماني به.

قال: كأنك لست من الناس.

فقال: من شابه أباه فما ظلم!

قال: ما أحوجك إلى أدب!

فقال: الذي نشأت على يديه أحوج مني إليه!

قال: عقمت أم ولدتك!

فقال: ولكنها ولدتني من مثلك.

قال: لقد كنت شؤوماً على إخوتك دفنتهم أحياء وبقيت وحدك.

فقال: أعجبتني كثرة أعمامي.

قال: لا تزداد إلا خبثا.

فقال: إنك لا تجني من الشوك العنب!!

فقال: لا أفلحت أبداً!.

قال: كيف يفلح من أنت أبوه؟

فقال: أراحني الله كما أراح إخوتك.

قال: تختنق بحبل حتى تموت فتستريح من وجهي.

فقال: لأدعون عليك.

قال: الذي تدعوه عالم بك.

فقال: ما يعلم مني إلا خيرًا.

قال: شاكر نفسه يقريك السلام.

فقال: ما أجد لي خيراً من السكوت.

قال: يمنعك خلقك الذميم.

فقال: لولا فتوري عليك ما تجرأت علي.

قال: إذا نفسك فلم.

فقال: إن قمت إليك لأوجعنك ضرباً.

قال: ما أنت أشد مني بطشاً.

فقال: وتضربني إذا ضربتك؟!

قال: وأنت في شك من ذلك؟

فقال: فإذن سوّد الله وجهك.

قال: ألا أنت بيّض الله عينيك.

فقال: ورمّ الله فيك الأرض.

قال: إذا فرّق الله بينك وبين العافية.

فقال: يا رب ترزق الناس أولاداً حساناً وأنا رزقتني شيطاناً؟

قال: أما علمت أن العصا من العصية، وأن الحية لا تلد إلا حية.

قال الأصمعي: فانقطع جواب أبيه ولم يعش بعدها إلا يوماً وليلة.

أبوك عيَّنَه وأخوك أقرَّه

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلّب بعد موت الحجّاج (وكان سليمان يكره الحجاج): أترى الحجاج استقر في جهنم؟ فقال يزيد: لا

تقل هذا، فإن الحجاج وطأ لكم المناب، وأذل لكم الجبابرة، وهو يجيء يوم القيمة عن يمين أبيك وشمال أخيك، فحيثما كانا كان معهما.

لا تغرّك الدموع ولا البكاء

كان الشعبي جالسا عند القاضي شريح، فدخلت امرأة تشكو زوجها وهو غائب، وتبكي بكاءً شديداً، فقال: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة! قال شريح، وكيف عرفت ذلك؟ قال: بكاؤها. قال: لا تصدق بكاءها، فقد جاء إخوة يوسف أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون!

أيهما أنظف؟

حدث أن طالباً سودانياً مسلماً كان يدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت. وكان محافظاً على أداء فرائضه الدينية، وفي أحد الأيام لاحظه أحد المدرسين الأمريكيين في تلك الجامعة يتوضأ للصلاة، فصاح به غاضباً: كيف تغسل قدميك في حوض نغسل فيه وجوهنا؟!

فقال له الطالب السوداني: كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟ فرد الأستاذ الأمريكي: مرة واحدة في كل صباح طبعاً. قال الطالب السوداني: أما أنا فأغسل رجلي على الأقل خمس مرات في اليوم، ولك أن تحكم بعد ذلك أيهما أكثر نظافة رجلي أم وجهك؟!!.

فـرِّق تسـد

كان مع جحا كيس فيه نقود، فلمحه لصان وتتبعاه حتى خرج من البلد، ثم داهماه ومع كل منهما سكين، وهدداه بالقتل إن لم يسلِّمهما النقود التي معه، ففزع جحا ولكنه ما لبث أن استرد شجاعته. ثم قال: اتركاني لحظة حتى أبلع ريقي، ويتبدد خوفي الذي لحقني من جراء ذلك، اجلسا قليلا لنتفاهم، فجلس اللصان، وعندئذ قال جحا: إن معي نقوداً كثيرة، ولكني لن أعطيها إلا لواحد منكما، فاتفقا فيما بينكما على من يأخذها منكما، فقال اللص الأول: أنا الذي آخذها وحدي، فأنا الذي اكتشفت جحا، فقال اللص الثاني: لا، بل أنا الذي اكتشف كيس نقوده، فيحق لي أن آخذها وحدي، وعلا بينهما الجدل. فقال جحا: لا تختلفا، فان الخلاف عاقبته وخيمة، اتفقا بهدوء على من يأخذ النقود، ولكن اللصين لم يتفقا، واشتد النزاع بينهما، ولكنه لم يتعد دائرة الخلاف في الرأي والحجة، فقال لهما جحا: عندي فكرة لطيفة، إني سأعطي النقود لأعظمكما قوة، فقال اللص الأول: أنا الأقوى.. وقال الثاني: بل أنا الأقوى. وشب الجدل بينهما من جديد، ثم تصارعا بعنف وشدة، حتى سقطا على الأرض مضرجين بدمائهما، فلما تأكد جحا من عجزهما عن اللحاق به مضى في حال سبيله ونجا بأمواله. ولعل المغزى السياسي لهذه النادرة غير بعيد.

الرجال في العلم والجهل أربعة

قسَّم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة أقسام متقابلة، لا يخلو حال الإنسان منها، فقال: الرجال أربعة:

١- رجل يدري، ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاسألوه.

٢- ورجل يدري، ولا يدري أنه يدري، فذلك ناسٍ فذكروه.

٣- ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذلك مسترشد فأرشدوه.

٤- ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فارفضوه.

فأنشد أبو القاسم الآمدي:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي ... يسأل من يدري فكيف إذن تدري؟

جهلت ولم تعلم بأنك جاهل ... فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري؟

إذا جئت في كل الأمور بغمة ... فكن هكذا أرضاً يطأك الذي يدري

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري!

إيّاكِ أعني فاسمعي يا جارة

أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري، وذلك أنه خرج إلى النعمان، فمر ببعض أحياء طيء. فسأل عن سيد الحي، فقيل له: حارثة ابن لأم. فأمَّ رحلة فلم يصبه. فقالت له أخته: انزل على الرَّحب والسعة. فنزل، فأكرمته ثم خرجت من خبائها فرآها أجمل أهل دهرها وأكملهم. وكانت

عقيلة قومها وسيدة نسائهم، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك. فجلس بفناء الخباء يوماً، وهي تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول:

يـا أخـتَ خَيـر البـدوِ والحضـارة

كيـف تَـرَينَ في فتـى فـزارة

أصـبح يهـوى حُـرّةً مِعطـارة

إيّـاكِ إعنـي فاسـمعي ياجـارة

فأجابته:

إنّـي أقـولُ يـا فتـى فِـزارة

لا أبتَغـي الـزوجَ ولا الـدعارة

ولا فِـراق أهـل هـذه الحـارة

فارحَـل إلـى أهلـك باسـتخارة

فاستحيا الفتى، وقال: ما أردتُ منكراً، ثم ارتحل فأتى النعمان، فحباه وأكرمه، فلما رجع نزل عليها، فبينما هو مقيم عندهم تطلعت إليه نفسها، وكان جميلاً فأرسلت إليه أن اخطبني إن كان لك فيّ حاجة، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه.

عند جهينة الخبر اليقين

يضرب هذا المثل لمن يعرف أن الخبر عنده لا عند سواه. أما قصته: فيحكى أن اثنين أحدهما يدعى (حصينا) والآخر (جهينة) قد اتفقا على قطع الطريق وسلب الأموال، ثم حدث أن جهينة طمع فقتل حصيناً، فأصبحت زوجه حصين تبحث عن زوجها، واستمرت بالبحث والسؤال عن زوجها، وتسأل الناس عنه فلقيها جهينة وأخبرها بأنه قتله، فلم تصدقه وقالت: لا يمكن لمثلك أن يفتك بمثله، فأنشد جهينة:

تسأل عن حصين كل ركب　　　وعند جهينة الخبر اليقين

مواعيد عرقوب

كان رجل من العماليق يقال له: عرقوب، فأتاه أخ له يسأله شيئا، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه للعدة، فقال: دعها حتى تصير بلحاً، فلما أبلحت أتاه، فقال له: دعها حتى تصير زهواً، فلما أزهت، قال له: دعها حتى تصير رطباً، فلما أرطبت، قال له دعها حتى تصير تمراً، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب فجذّها ولم يعط أخاه شيئا.. فصار مثلا في الخلف، وفيه يقول الأشجعي:

وعدت وكان الخلف منك سجية　　　مواعيد عرقوب أخاه بيترب[1]

---

(١) يترب: موضع في اليمامة.

في المشمش

حين سئل أحد الظرفاء عن تاريخ وفاة السلطان (برقوق) أجاب: (في المشمش) وهي للوهلة الأولي تبدو دعابة (لأن البرقوق والمشمش من فصيلة واحدة) ولكن إذا طبقنا حساب الجُمّل[1] على العبارةلوجدنا مجموع حروفها يوافق ٨٠١ هـ وهو تاريخ وفاة السلطان برقوق.

---

(١) حسَابُ الجُمَّل طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم. يقوم حساب الجُمَّل، الذي يسمّى أيضًا حساب الأبجدية، على حروف أَبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي: أَبْجَدْ، هوز، حطّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغٌ. ومجموعها ثمانية وعشرون حرفًا؛ تسعة منها للآحاد، وتسعة للعشرات، وتسعة للمئات، وحرف للألف. والجدول التالي يبيّن طريقة المقابلة بين الحروف والأرقام في حساب الجمّل.

الحروف التي تقابلها أرقام الآحاد:

أ ١	ب ٢	ج ٣	د ٤	هـ ٥	و ٦	ز ٧	ح ٨	ط ٩

الحروف التي تقابلها أرقام العقود:

ي ١٠	ك ٢٠	ل ٣٠	م ٤٠	ن ٥٠	س ٦٠	ع ٧٠	ف ٨٠	ص ٩٠

الحروف التي تقابلها أرقام المئات:

ق ١٠٠	ر ٢٠٠	ش ٣٠٠	ت ٤٠٠	ث ٥٠٠	خ ٦٠٠	ذ ٧٠٠	ض ٨٠٠	ظ ٩٠٠	غ ١٠٠٠

طريقة حساب الجمّل .إذا قرأت عن حدث وقع في سنة (جمر)، مثلاً، فهذا يعني في حساب الجمّل أنّ الحدث قد وقع سنة (٢٤٣)؛ لأن الحرف (ج) يقابله الرقم (٣)، والحرف (م) يقابله الرقم (٤٠)، والحرف (ر) يقابله (٢٠٠). فمجموع الحروف ج + م + ر = ٣ + ٤٠ + ٢٠٠ = ٢٤٣. فإذا زاد العدد على الألف (ويقابله الحرف غ) وُضع قبل الحرف (غ) حرف مناسب. فالخمسة الآلاف يقابلها (هغ) وهي تساوي=

مكافأة مخترع الشطرنج

طلب ملك الهند من مخترع الشطرنج أن يطلب ما يريد مكافأة له وتقديراً لاختراعه الرائع، وهو على استعداد لتلبية ذلك الطلب مهما كان نوعه. فطلب المخترع من الملك أن يقدم له كمية من القمح بحيث يضع في الخانة الأولى من رقعة الشطرنج حبة قمح واحدة، وفي الخانة الثانية حبتين، وفي الخانة الثالثة ٤ حبات، وفي الرابعة ٨ حبات وفي الخامسة ١٦ حبة، وفي السادسة ٣٢ حبة، وهكذا يضاعف عدد حبات القمح كل خانة ليضعها في الخانة التي تليها حتى يصل إلى الخانة الأخيرة. فكم تبلغ زنة هذه الحبات مجتمعة يا ترى؟.

للعلم تزن هذه الكمية (٢٠٠٠٠٠) مليون طن تقريباً، وتعادل إنتاج الهند من القمح لعشرات السنين.

إنما تبكي على فقد الحب النساء

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان هذا الرجل قد قتل أخا عمر في معركة اليمامة عندما ارتد مع من ارتد، (فقد قتل زيداً بن الخطاب في حروب الردة). وأسلم الرجل بعد ذلك، وجاء إلى عمر بن الخطاب يوماً، فقال له عمر: أأنت الذي قتلت زيداً؟ قال: نعم، قال عمر: اغرب عن

=(٥ × ١٠٠٠)، وأربعون ألفًا يقابلها (مـم) وتساوي (٤٠ × ١٠٠٠). وهكذا يكون تركيب أيّ عدد تريده بالحروف التي تلائمه.

وجهي، فإني لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المهراق!، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أوَ يمنعني هذا حقي؟ قال: لا. فقال: أيحل هذا جَلد ظهري؟ قال: لا.. فقال الرجل: ما لي ولحبك، إنما يبكى على فقد الحب النساء.

أربع خصال

قال علي ﷺ: من أُعطي أربع خصال فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة، وفاز بحظه منها: ورع يعصمه عن محارم الله، وحسن خلق يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة.

ماء الملام وجناح الذل

قال رجلٌ للشاعر أبي تمام: أرني ماءَ المَلام في قولك:

لا تسقني ماء الملامِ فإنني صَبٌّ قد استعذْبتُ ماءَ بكائي

فقال أبو تمام - وقد علم أنّ الرجل ينتقده: لا أُريك ماءَ الملام حتى تريني جناح الذّل في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤].[1]

---

(١) يعلق الدكتور عبدالرحمن العشماوي على هذه الحكاية بقوله: شتّان بين الاستعارة البديعة في الآية الكريمة لوجود تناسبٍ بين الذل والجناح، وبين الاستعارة الضعيفة في بيت أبي تمام؛ لعدم وجود أي تناسب بين الملام والماء.

غاية الأدب

سئل العباس رضي الله عنه (عم النبي ﷺ) وكان أكبر منه سناً: أنت أكبر أم النبي؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا وُلِدْتُ قَبْلَه.

سأحملك على ولد ناقة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستحمله؛ أي طلب من النبي أن يعطيه جملًا ليركبه، فقال رسول الله ﷺ له: "إنا حاملوك على ولد ناقة" قال الرجل: يا رسول لله ما أصنع بولد ناقة؟ فقال له رسول الله ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق"؟!

مجير أم عامر[1]

أصله أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار، فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم (أم عامر) وهي الضبع فطاردوها حتى ألجؤوها إلى خباء أعرابي فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا. قال: كلا والذي نفسي بيده، لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي (لأنها استجارت به). فرجعوا وتركوه ، فقام إلى ناقته فحلبها وقرب إليها ذلك، وقرب إليها ماء فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة تلغ من هذا حتى ارتوت واستراحت، فبينما

(١) أم عامر هي أنثى الضبع.

الأعرابي نائم في جوف خبائه، إذ وثبت عليه ، فبقرت بطنه، وأكلت حشوته، فجاء ابن عم له فوجده على تلك الحال، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال: صاحبتي والله: وأخذ سيفه وكنانته واتبعها فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف في غير أهله … يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

أدام لها حين استجارت بقربه … قراها من البان اللقاح الغزائر

وأشبعها حتى إذا ما تملأت … فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من غدا … يصنع المعروف مع غير شاكر

أين تجد لذة النوم؟

بعث الرشيد وزيره "ثمامة" إلى دار المجانين ليتفقد أحوالهم، فرأى بينهم شاباً حسن الوجه يبدو كأنه صحيح العقل، فأحبّ أن يكلمه، فقاطعه المجنون بقوله: أريد أن أسألك سؤالاً!

فقال الوزير: هات سؤالك.

فقال الشاب: متى يجد النائم لذة النوم؟

فقال الوزير: حين يستيقظ.

فقال الشاب: كيف يجد اللذة وقد زال سببها؟

فقال الوزير: بل يجد اللذة قبل النوم؟

فاعترضه الشاب بقوله: وكيف يلتذ بشيء لم يذقه بعد؟

فقال الوزير: بل يجد اللذة حال النوم.

فرد عليه الشاب يقول: إن النائم لا شعور له، فكيف تكون لذة بلا شعور.

فبهت الوزير ولم يحر جواباً، وانصرف وهو يُقسم ألا يجادل مجنوناً أبداً.

خبث امرأة وذكاء الرشيد

دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت: يا أمير المؤمنين، أقر الله عينك، وفرحك بما آتاك، وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت.

فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك (عائلة من الفرس أسندت إليها الوزارة في العهد العباسي) ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردودٌ إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيراً.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك. أما قولها: أقر الله عينك، أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت. وأما قولها: وفرحك بما أتاك، فأخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تـــم أمـــر بـــدا نقصـــه ترقـــب زوالاً إذا قيـــل تـــم

وأما قولها: حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥﴾ [الجن: ١٥] فتعجبوا من فطنته وذكائه.

رجع بخفي حنين

ذهب أعرابي إلى الحيرة وقد أوفده قومه بمالهم كي يأتي لهم بتجارة وأرزاق، فلما وصل الأعرابي الحيرة وجد بسوقها إسكافياً يدعى (حنين)، فأخذ الأعرابي يساومه بخفين أعجباه لكنه لم يشترِ من الإسكافي شيئاً، فاغتاظ حنين منه، فخرج إلى الطريق التي لابد للأعرابي من المرور منها، فعلّق أحد خفيه في شجرة على الطريق ورمى بالخف الآخر بعد تلك الشجرة قليلاً ثم اختفى، فجاء الأعرابي فرأى الخف المعلّق على الشجرة فقال: ما أشبهه بخفّي حنين، لو كان معه الآخر لأخذته.

فلما تقدم رأى الخف الآخر مرمياً على الأرض، فنزل عن دابته وأخذ الخف ثم ذهب إلى الشجرة ليأخذ الآخر، حينها خرج حنين من مخبأه

وعمد إلى راحلة الأعرابي وما عليها فذهب بها. فلما عاد الأعرابي لم يجد راحلته فرجع إلى قومه وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: بماذا جئت من سفرك؟ فقال: جئتكم بخفي حنين؛ فذهبت مثلاً.

الصابر والشاكر من أهل الجنة

الشاعر الأموي عمران بن حطان الشهير ببيته:

أسدٌ علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر

مشهور أيضا بدمامته وقصره، وقد تزوج بامرأة جميلة؛ دخل عليها في إحدى المرات وهي متزينة فزاد جمالها جمالاً، فلم يستطع صرف بصره عنها.

فقالت له: ما لك؟!

قال: أصبحتِ والله جميلة.

فقالت: أبْشِر!؛ فإني وإياك في الجنة.

قال: من أين علمتِ هذا؟

قالت: أُعطيتَ مثلي فشكرت، وأُعطيت مثلك فصبرت، والشاكر والصابر في الجنة.

فخجل ونهاها أن تعود لمثل ما قالت.

تغير الأحكام بتغير الأحوال

سأل رجل إياساً القاضي عن النبيذ، فقال: "هو حرام"، فقال الرجل: "أخبرني عن الماء؟"، فقال: "حلال"، قال: "فالمكسور؟"، قال: "حلال"، قال: "فالتمر؟"، قال: "حلال"، قال: "فما باله إذا اجتمع يُحرم؟!".

فقال إياس: "أرأيتَ لو رميتكَ بهذه الحَفنة من التُّراب، أتوجعك؟"، قال: "لا!"، قال: "فهذه الحفنة من التبن؟"، قال: "لا توجعني!"، قال: "فهذه الغرفة من الماء؟"، قال: "لا توجعني شيئا!"، قال: "أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك به أيوجعك؟"، قال: "إي والله وتقتلني!"، قال: "فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت".

يتمنى الخسارة فيربح

كان المعتضد إذا رأى ابن الجصاص قال: هذا أحمق مرزوق. وكان ابن الجصاص أوسع الناس دنيا، وله من المال ما لا ينتهي إلى عده ولا يوقف على حده، وبلغ من جده أنه قال، تمنيت أن اخسر مرة، فقيل لي: اشتر التمر من الكوفة وبعه في البصرة، وكانت بها نخيل كثيرة وتمرها متوفر بكثرة، وكانت الكوفة قليلة التمر، ففعلت ذلك، فاتفق أن نخل البصرة لم يحمل في هذا العام، فربح ربحاً واسعاً.

فوائد الحركة

لما كبر الاسود الدؤلي (أسن) كان يركب الى المسجد والسوق ويزور الأصدقاء فقال له رجل: يا أبا الأسود أراك كثير الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت، فلو لزمت منزلك كان أودع لك، فقال أبو الأسود: صدقت، ولكن الركوب يشد أعضائي، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي، وأستنشق الريح، وألقى أخواني، ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي وأنس بي الصبي، واجترأ علي الخادم، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي؛ لإلفهم إياي وجلوسهم عندي، حتى لعل العنزات قد تبول علي فلا يقول لها أحد: (هش).

مدح الأعراب وهجاهم

سمع أعرابيٌّ قارئاً يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ فقال: لقد هَجَانا، ثمَّ بعد ذلك سمعه يقرأ من السورة نفسها (التوبة) ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فقال: لابأس هجا ومدحَ، وهذا كما قال الشاعر:

هجـوتُ زهيـرًا ثُـمَّ أنّـي مدحتُـهُ وما زالتِ الأشرافُ تُهجَى وتُمدَحُ

المكارم عشر

حَدَّثَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: "خِلالُ الْمَكَارِمِ عَشَرَةٌ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلا تَكُونُ فِي ابْنِهِ، وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلا تَكُونُ فِي سَيِّدِهِ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَصِدْقُ الْبَأْسِ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ، وَالْمُكَافَأَةُ بِالصَّنَائِعِ، وَالتَّذَمُّمُ(١) لِلْجَارِ وَالصَّاحِبِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَقِرَى الضَّيْفِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ".

علة عدم استجابة الدعاء

كان إبراهيم بن أدهم يمشي في البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا، والله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقال: يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء:

عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

وقرأتم القرآن ولم تعملوا به.

وادعيتم حب الرسول ﷺ وتركتم سنته.

وادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه.

---

(١) التذمم: من الذمام، وهو العهد والأمن والكفالة والحق والحرمة.

وادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها.

وادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم.

وقلتم الموت حق ولم تستعدوا له.

واشتغلتم بعيوب الناس ولم تنشغلوا بعيوبكم.

ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا.

وأكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها!!

فكيف يستجاب لكم؟!

لا تغرنك الدموع ولا البكاء

يذكر أنه كان رجل يصطاد العصافير والطيور، ثم يمسكها ويكسر أرجلها وأجنحتها ثم يتركها، وكان هذا عمله دائماً، وفي إحدى المرات اصطاد مجموعة من هذه العصافير وكان يوماً بارداً، ومن شدة البرودة وشدة الرياح كانت عيناه تدمعان، وهو يكسر الأرجل والأجنحة.

فتقول إحدى العصافير لزميلتها وهما ينتظران دورهما في الكسر: انظري إلى رحمة هذا الرجل ورقة قلبه علينا وكيف أنه يبكي وعيناه تدمعان. فتجيب الأخرى، لا تنظري إلى دموع عينيه، ولكن انظري إلى فعل يديه.

الراحة والوحشة وقرين السوء

قال حكيم: طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها، وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقرب من قرين السوء، وغالبت الأقران فلم أر قريناً أغلب للرجل من المرأة السوء، ونظرت إلى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيئاً أذل له ولا أكسر من الفقر.

لم لا تخالط الناس

سئل إبراهيم بن أدهم لم لا تخاط الناس؟ فقال: إن صحبت من هو دوني أذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني ، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملل ولا وصلة انقطاع ولا في الأنس به وحشة.

جمع مسواك

سئلت عائشة ﵂ : ما جمع مسواك؟

فقالت: حسناتك. (استحيت أن تقول: مساويك) أي مساوئك.

أصناف النساء

سأل المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة أعرابياً قد رآه في الطريق، فقال له: ماذا تعرف عن النساء؟ قال: النساء أربع: ربيع مربع، وجميع يجمع،

وشيطان سمعمع، وغل لا يخلع. قال المغيرة: فسّرها لي. قال: أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أقسمت عليها برّتك، وأما التي هي جميع يجمع فالمرأة تتزوجها ولا نسب لك فتجمع نسبك إلى نسبها. وأما الشيطان السمعمع فالنائحة في وجهك إذا دخلتَ، والمولولة في أثرك إذا خرجتَ. وأما الغل الذي لا يخلع فالزوجة الخرقاء الذميمة التي نثرت لك بطنها (ولدت لك) إن طلقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك. فقال له المغيرة: بل أنفك أنت!

احذر الغيبة

جاء عن سفيان بن حسين الواسطي قال: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية المزني قاضي البصرة، فنظر في وجهي وقال: أغزوتَ الروم؟

قلت: لا!

قال: والسند والهند والترك؟

قلت: لا!

قال: أفَسَلِمَ منك الروم والسند والهند والترك، ولم يَسْلم منك أخوك المسلم؟!

قال سفيان: فلم أعد بعدها إلى عيب أحد من الناس أو غيبته.

تقوى الخليفة

كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشدي الخامس حليماً صفوحاً

يتطاول عليه الرجل فلا يجيبه، فيقال لعمر: ما يمنعك منه؟ فيجيب: إن التقى ملجم.

أمجنون أنت؟!

حدث ذات مرة أن دخل عمر بن عبد العزيز ومعه الحارس إلى المسجد وهو مظلم، فعثر برجل نائم فيه، فصاح به الرجل: أمجنون أنت؟ فأجابه عمر بهدوء: لا. فهمّ الحارس بالرجل يريد أن يضربه، فمنعه عمر قائلاً: لماذا كلّ هذا العنف، لم يخطئ الرجل، فقد سألني فأجبته، إنما هو سؤال وجواب لا أكثر.

هشام وفتى صغير

قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت العرب من أحياء القبائل، فجلس هشام لرؤسائهم، فدخلوا عليه، وكان فيهم فتىً يبلغ سنّهُ ست عشرة سنة يدعى درواس بن حبيب، وكان في رأسه ذؤابة، وعليه عباءة، وفي يده منسأة[1]. فنظر إليه هشام، والتفت لحاجبه وقال له: ما شاء امرؤ أن يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان، فوثب الفتى بين يديه وقال: يا أمير المؤمنين، إن دخولي عليك لم يحط بقدرك، ولكنه شرّفني، وإن هؤلاء الوفود قد ائتمنوني وأتمّوا بي، وقَدِموا في أمر فهابوك دونه، وإن

(١) المنسأة: العصا.

للكلام نشراً وطَّياً، وإنه لا يعرف ما في طيِّه إلا بنشره. فإن أذن أمير المؤمنين أن أنشره نشرته.

فأعجبه كلامه وقال: أنشره لله درك! فقال: يا أمير المؤمنين، أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده المستحقين لها، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين. فقال هشام: ما ترك لنا في واحدة في الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار، وله بمائة ألف درهم، ثم قال له: ألك حاجة تذكرها لنفسك؟ قال: ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين. فخرج من عنده وهو سيد القوم.

نملة ذكية

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل].

قال بعض العلماء: من فطنة وذكاء هذه النملة أنها تكلمت بعشرة أنواع من الخطاب في هذه النصيحة: يا: نادت. أيها: نبهت. النمل: عينت. ادخلوا: أمرت. مساكنكم: نصت. لا يحطمنكم: حذرت. سليمان: خصت. وجنوده: عمّت. وهم لا يشعرون: اعتذرت. فيا لها من نملة ذكية.

دَقَّةٌ بِدَقَّةٍ

يحكى أن خياطاً كان يعيش في قرية صغيرة، فجاءه صديق له يحمل بيده قطعة قماش، فقال له: اصنع لي من هذا القماش ثوباً، فإذا فرغت من صنع الثواب أرجو أن ترسله مع زوجتك أو أحد أبنائك إلى زوجتي، فأنا على سفر الآن، ولن أعود قبل أسبوعين على الأقل، ومضى.

لكن الخياط طمع في رؤية زوجة صاحبه، وحدثته نفسه بسوء، وقال في نفسه: لماذا لا أذهب أنا إليها وأعطيها الثوب فلعلي...

فأسرع بحياكة الثوب وذهب إلى بيت صديقه، وناداها، فلما طلعت عليه قال لها: هذا الثوب لزوجك أبي فلان، جاء إلي بقطعة قماش قبل أن يسافر وطلب مني أن أصنع له ثوباً. فلما تناولته غمزها في يدها، فغضبت وبصقت في وجهه وشتمته، فعاد إلى بيته خاسئاً يمسح عن وجهه آثار البصاق.

ولما وصل إلى بيته وجد زوجته ثائرة مولولة تشتم وتلعن، فسألها: ما الأمر؟ قالت: جاء السقا[1] قليل الحياء، ولما ناولني جرة الماء غمزني في يدي، قال: متى حدث هذا؟ قالت: قبل قليل. (أي في الوقت نفسه الذي كان يغامز فيه زوجة صديقه) فهز رأسه وقال: دقة بدقة ولو زدنا لزاد السقة[2].

---

(١) السقاء: الذي يجلب الماء من البئر أو النبع ويبيعه للقاطنين في البيوت ونحوها، وهي سقاءة وسقاية.

(٢) السقة: تحريف من السقاء لمناسبة السجع.

كل البيوت سواء

روي أن رجلا جاء إلى عمر ﷺ يشكو خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً، فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئتُ أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت، وقلت: إذا كان هذا الحال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟! فقال عمر: يا أخي إني أحتملها لحقوق لها علي: إنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملها لذلك، فإذا أساءت مرة فليس لنا أن نذكر سيئاتها وننسى حسناتها. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، فقال عمر: فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة.

هذه الغصة من تلك المصة

هذه القصة تحمل في ثناياها العبرة البالغة في تربية الولد، بما ورد بشأن العالم الجليل إمام الحرمين عبد الملك أبو المعالي الجويني، ووالده العالم الفاضل أبي المحمد الجويني. فقد جاء في سيرته: اعتنى به والده

منذ صغره، لا بل قبل مولده. وذلك أن أباه اكتسب من عمل يده مالاً خالصاً من الشبهة، اتصل به إلى والدته. فلما ولدته له حرص أن لا يطعمه ما فيه شبهة، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص، حتى يحكى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام، ما هذا الذي لم يعهد منك؟ فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصة. قيل: وما نبأ هذه المصة؟ قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع، فبكيت، وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا، فأرضعتني مصة أو مصتين، ودخل والدي فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست ملكاً لنا، وليس لنا أن نتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك، وقلبني وقوعني – أي جعلني أتقيأ – حتى لم يدع في بطني شيئاً إلا أخرجه، وهذه اللجاجة من بقايا تلك الرضعة.

عمر بن عبد العزيز وأولاده

يروى أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك، فقال: أدركت عمر بن عبد العزيز، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أقفرت أفواه بنيك (أي أخليت أيديهم من المال، وأفواههم من لذات الطعام) من هذا المال وتركتهم فقراء لا شيء لهم (وكان في مرض موته) فقال: أدخلوهم عليَ، فأدخلوهم، وهم بضعة عشر ذكراً، ليس فيهم بالغ، فلما رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بَنِيَّ، والله ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما

صالح، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله، قوموا عني.

قال: فلقد رأيت بعض ولده حمل على مائة فرس في سبيل الله (أي أعطاها لمن يغزو عليها).

أشد جنود الله

سئل علي رضي الله عنه عن أشد جنود الله، فقال: أشد جنود الله عشرة: الجبال الرواسي، والحديد يقطع الجبال، أي فهو أقوى. والنار تذيب الحديد، فهي أقوى. والماء يطفئ النار، فهو أقوى. والسحاب يحمل الماء، فهو أقوى. وابن آدم يغلب الريح فيتستر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته، والسكر يغلب ابن آدم – يفقده توازنه، والنوم يغلب السكر، والهم يغلب النوم فأشد جنود الله الهم". بيد أن الإيمان بالله يطرد الهم وأسبابه عن النفس، ثقة من النفس بأن الله الذي خلقها حكيم، فلا يجري عليها إلا ما فيه الخير، ولو لم يكن في الإيمان إلا أنه يدفع عن الإنسان هموم الحياة لكفى بذلك فائدة. ولذلك فقد كان رسول الله ﷺ يكثر في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

لم لا تغشانا؟

قيل أن الخليفة العباسي المنصور أرسل إلى الإمام جعفر الصادق ﷺ رسالة قال فيها: لماذا لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأرسل إليه الصادق قائلاً: ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك عليها، ولا في نقمة فنعزيك بها، فلم نغشاك؟ فأرسل إليه المنصور قائلاً: تصحبنا لتنصحنا. فأرسل إليه الصادق قائلاً: من أراد الدنيا فلا ينصحك، ومن أراد الآخرة فلا يصحبك.

تواضعا لمعلمهما

كان الكسائي يؤدب الأمين والمأمون أبني هارون الرشيد، فأراد يوماً النهوض من عندهما. فابتدرا إلى نعليه ليقدماهما له، فتنازعا أيهما يفعل، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة. فلما رفع الخبر إلى الرشيد وجه إلى الكسائي، فلما مثل بين يديه قال: من أعز الناس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين. قال: بلى، إن أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة. فأخذ الكسائي يعتذر حاسباً أنه أخطأ. فقال الرشيد: لو منعتهما من تلك لأوجعتك لوماً وعتبا، ولألزمتك ذنبك. فما وضع ما فعلا من شرفهما، بل رفع من قدرهما وبيّن عن جوهرهما. ولقد تبينت مخيلة

الفراسة بفعلهما، فليس يكبر المرء، وإن كان كبيراً عن ثلاث: تواضعه لسلطانه، ولوالديه، ولمعلمه.

عـلام الـهم؟!

مر إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه الهم والحزن. فقال له إبراهيم: يا هذا، إني سائلك عن ثلاثة، فأجبني: فقال له الرجل: نعم. فقال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ قال: كلا. قال: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟ قال: كلا. قال: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟ قال: كلا. فقال إبراهيم: فعلامَ الهم؟!.

الطفل لا يعرف الخوف

روت الصحف عن ضابط انجليزي اصطاد له الجنود ذئبا هنجاريا وربطوه في حديقة داره؛ وكان للضابط طفل صغير أعجبه الذئب ومنظره الوحشي فتربص إلى الليل، فلما غط أبواه في نوم عميق انسل من حجرته وجاء إلى الذئب فوثب هذا يتحفز لافتراسه، ولكن الطفل لم يدرك شيئا من معنى الوحشية، ولم يكن في نفسه إلا أن الذئب كالكلب الأليف، فلم يضطرب ولم يخف، ولم يداخله الشك، ومضى إلى الوحش مسرورا مطمئنا فتناوله من شعره، وجعل يمسحه بيديه الصغيرتين ويعبث به، والذئب مدهوش ذاهل، ثم سكن واستأنس إليه، كأنه مع جرو من أجرائه لا

مع طفل آدمي، وجذبه الطفل من رقبته حتى أضجعه ثم اتخذه وسادة ووضع رأسه على ظهره ونام... وافتقدت الطفل مربيته فلم تجده في فراشه، فنبهت أهله وذهبوا يبحثون عنه في غرف الدار، ثم نزلوا إلى الحديقة فوجدوه نائما ورأسه على الذئب، فخافوا واضطربوا، فرموا الذئب بالرصاص فقتلوه، وبذلك خلصوا الطفل.

يعلق الرافعي على هذه الحادثة فيقول: هذا هو أثر الروح المطمئنة الماضية على يقينها، ولكن أين اليقين في مثل هذه الحالة؟ وكل مروضي الوحوش يعلمون أن أول وآخر ما يخيفونها به هو نزع الخوف من أنفسهم، وأن هذا هو وحده سلاح النفس في النفس[1].

القرآن أقوى..

كانت فرنسا في أثناء احتلالها للجزائر تبذل أقصى محاولاتها لفصل الشعب الجزائري عن الإسلام والعروبة، وخطر لها ذات يوم أن (تفرنس) عشر بنات من المسلمات في مدينة الجزائر (العاصمة) فاحتضنتهن في حدائق الأطفال، ونشأت البنات نشأة فرنسية كاملة، في مراحل التعليم كلها إلى أن وصلن إلى امتحان البكالوريا (الثانوية) وما أعظم دهشة فرنسا، وما أعظم ثورة الصحافة الفرنسية هنا في ٢٣ حزيران ١٩٥٨م

---

(١) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم: ٢/ ٣٥٧.

حينما شوهدت البنات يأتين إلى الامتحان بالثياب الإسلامية، محجبات كما تتحجب بنات الجزائر المسلمات في الصحراء... برغم خمسة عشر عاما من التربية الفرنسية الكاملة!

يومها سئل (لاكوست) الوزير الفرنسي المقيم في الجزائر: كيف حدث ذلك؟ فقال: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!

بين التعجل و التردد

حين قرر الخليفة المنصور أن يفتك بقائده الكبير (ابي مسلم الخراساني) فزع لذلك الوزير (عيسى بن موسى) فكتب إلى المنصور يقول:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر　　　فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فما كان من (المنصور) إلا أن كتب إليه يقول:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة　　　فإن فساد الرأي أن تترددا

ولا تهمل الأعداء يوما بغدوة　　　وبادرهمو أن يملكوا مثلها غدا

الصدق ولو على حبل المشنقة

روى لنا التاريخ الهندي طرائف في الصدق مع النفس والثبات على الحق، لا بد أن تكون أمثلتها متوافرة في تاريخ جميع البلاد الإسلامية: منها أن الشيخ رضى الله البداوني اتهم بالاشتراك في الثورة على الإنجليز عام

١٨٥٧ وحوكم أمام حاكم انجليزي كان من تلاميذه، فأوعز إليه الحاكم على لسان بعض الأصدقاء أن يجحد الاتهام فيطلقه. ولكن الشيخ أبى وقال: قد اشتركت في الخروج على الإنجليز فكيف أجحد؟ واضطر الحاكم فحكم عليه بالإعدام، و لما قدم للشنق بكى الحاكم وقال له: حتى في هذه الساعة لو قلت مرة: إن القضية مكذوبة علي، وإني بريء لاجتهدت في تخليصك. فغضب الأستاذ وقال: أتريد أن أحبط عملي بالكذب على نفسي؟ لقد خسرت إذاً وضل عملي، بل قد اشتركت في الثورة فافعلوا ما بدا لكم. وشنق الرجل!!

ترجمان القرآن

روى البخاري من طريق (سعيد بن جبير) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقالوا: لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتهم (يعني إنه من عرفتم ذكاءه وعلمه) فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذٍ إلا ليريهم.! فقال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ... فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه

له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، فقال عمر: والله لا أعلم منها إلا ما تقول.

فهذه القصة تدل على مدى قوة فهمه، ودقة رأيه في استنباط الإشارات القرآنية التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم.

الدنيا بحذافيرها

دخل عمير بن سعد على عمر بن الخطاب، حين رجع إليه من حمص، وليس معه إلا جراب ودواة وقصعة وعصا. فقال له عمر: ما الذي أرى بك من سوء الحال؟ قال: وما الذي ترى بي، ألستُ صحيح البدن معي الدنيا بحذافيرها؟! قال وما معك من الدنيا؟ قال: معي جرابي أحمل فيه زادي، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي، ومعي أدواتي أحمل فيها مائي لشرابي، ومعي عصاي إن لقيت عدواً قاتلته، وإن لقيت حية قتلتها، وما بقي من الدنيا فهو تبع لما معي.

البهلول يعظ هارون الرشيد

عندما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له: عظني. فقال: بم أعظك؟ هذه قصورهم، وهذه قبورهم. ثم قال: كيف بك يا أمير المؤمنين، إذا أقامك الحق تعالى بين يديه، وسألك عن النقير والفتيل والقطمير[1]، وأنت

---

(١) القطمير: القشرة الرقية بين التمرة ونواتها، والفتيل: الخيط الرفيع الذي في شق النواة، والنقير: النقرة على ظهر النواة.

عطشان جوعان عريان، وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون. فخنقته العبرة وأمر له بصلة. قال: ردها على من أخذتها منهم، قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضيهم به. ثم أنشد:

دع الحرص على الدنيا	وفي العيش لا تطمع
ولا تجمع من المال	فما تدري لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم	وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذي حرص	غني كل من يقنع

الخمر يتحدى القانون

منعت حكومة أمريكا الخمر، وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها، ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار، وإن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة، وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن ٢٥٠ مليون جنيه، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس، وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفس، وبلغت الغرامات إلى ١٦ مليون جنيه، وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيه، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر وعناداً في

تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب القانون وإباحة الخمر في مملكتها إباحة مطلقة [١].

أمه خير من أبيه

ومن طرائف ما ذكر أن أباً عيَّر ولده يوماً بأمه، وقال له: أتخالفني وأنت ابن أمة؟ فقال الولد لأبيه: إن أمي والله خير منك يا أبي!!.

قال الأب: لم؟

قال الولد: لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر، وأنت أسأت الاختيار فولدتني أنت أمة!!.

في نقد الشعر

من أقرب ما يدل به على نقد الشعر قصة الخنساء ونقدها في عكاظ على حسان بن ثابت حين أنشدها قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجده دما

ولدنا بني عنقاء وابن محرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقالت الخنساء: ضعفت افتخارك وأبرزته في ثمانية مواضع. قال: وكيف؟ قالت: قلت: "لنا الجفنات" والجفنات من دون العشر، فقللت

---

(١) من كتاب (تنقيحات) للأستاذ أبي الأعلى المودودي.

العدد، ولو قلت: "الجفان" لكان أكثر، وقلت: "الغر" والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت: "البيض" لكان أكثر اتساعا، وقلت: "يلمعن" واللمعة شيء يأتي بعده الشيء ولو قلت: "يشرقن" لكان أكثر، لأن الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت: "بالضحى" ولو قلت: "بالعشية" لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: "أسيافنا" والأسياف دون العشر، ولو قلت: "سيوفنا" كان أكثر، وقلت: "يقطرن" فدللت على قلة القتل، ولو قلت: "يجرين" لكان أكثر، لانصباب الدم، وقلت: "دما" والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدوك!»[1].

سنن عبد المطلب

قال رسول الله ﷺ: إن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام: حرم نساء الآباء، فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾. ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وتصدق به فأنزل الله قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ...الآية﴾. ولما حفر زمزم سماها سقاية الحج، فأنزل الله قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...الآية﴾ وسن في القتل مئة من الإبل، فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام، ولم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأُجرى ذلك في الإسلام.

---

(١) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن، ص: ٢٢٥.

الرزق على قدر النفقة

حدث محمد بن عمر الواقدي: قال: أوصلت إلى أمير المؤمنين رقعة أشكو فيها غلبة الدين وحالاً قد دفعت إليها، فوقع على ظهر رقعتي "فيك يا شيخ خلتان: الحياء والسخاء، أما السخاء فهو الذي أخرج ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي قطعك عن اطلاعنا على حالك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، فإن كانت فيها بلغة فذاك، وإن يكن غير ذلك فهذه ثمرة ما جنيت على نفسك، فأنت حدثتني وأنت قاضٍ لأبي الرشيد، عن محمد بن إسحاق الزهري، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش، فينزل الله عز وجل على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثّر كثّر له، ومن قلّل قلّل له. قال الواقدي: فكنت أنسيت هذا الحديث حتى حدثني به المأمون، فكان أحظى عندي من الصلة.

فقير أمين

في معركة القادسية عثر أحد أفراد الجيش الإسلامي – وقد كان مسكيناً فقيراً– على صندوق به جواهر غالية فدفعه إلى قائده. فعجب من أمانته مع فقره وقال له: ما اسمك حتى أذكرك لعمر فيعطيك ويثني عليك أمام الناس؟ فغضب الجندي وقال لقائده: لو أردت عمر ما رأيتني أنت ولا عمر، فدعا له بالخير.

وأرسل القائد الجواهر إلى عمر ﷺ فلما علم عمر بالخبر قال: أشكرُ الله أن جعل في جيشي مثل هذا الأمين. فقال له أحد الحاضرين: يا أمير المؤمنين، (عففتَ فعفوا، و لو رتعتَ لرتعوا).

أعمى يتنبأ بالمطر

قال رجل ضرير لابنته وهي تقوده في المرعى: يا بنية، انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأنها قرون المعزى. قال: ارعي. فرعت ساعة ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأنها خيل دهم تجر جلالها، قال: ارعي، فرعت ساعة. ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت كأن السحاب نعام، تعلق بالأرجاء من السماء قال: ارعي، ثم قال: انظري، كيف ترين السماء؟ قالت: ابيضت واسودت ودنت، فكأنها عين نفس تطرف. قال: انجي ولا أراك ناجية.

ارض بقضاء الله

اشترى رجل لزوجته بطيخة، فوجدتها غير طيبة، فغضبت. فقال لها: على مَنْ غضبت، على البائع، أم على المشتري، أم على المزارع، أم على الخالق؟! فأما البائع فلو كان منه لكان أطيب شيء يرغب فيه، وأما المشتري، فلو كان منه لاشترى أحسن الأشياء، وأما المزارع فلو كان منه لأنتج أحسن الثمار، فلم يبق إلا غضبك على الخالق، فاتقي الله وارضي بقضائه!

الجمع بين التهنئة والتعزية

عندما توفي معاوية ﷺ، وخلفه ابنه يزيد، وقف الناس على باب داره ولم يقدروا على الجمع بين التعزية والتهنئة، إلى أن جاء عبد الله بن همام السلولي، فدخل عليه وقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية. فلقد رزئت عظيما، وأعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزيت، فقد فقدت خليفة الله، ومنحت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووهبت جزيلاً، إذ قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه، ووليت الرياسة، فأعطيت السياسة، فأوردك الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور.

يتحدث بما لا يعنيه

مرَّ إبراهيم بن أدهم برجل يتحدث بما لا يعنيه فقال له: هل ترجو من كلامك هذا الثواب؟ قال: لا، قال: أفتأمن عليه العذاب؟ قال: لا، قال: فما تصنع بكلام لا ترجو عليه ثوابا، ولا تخاف منه عقاباً! عليك بذكر الله تعالى.

عصامي وعظامي

ذُكر عند الحجاج رجلٌ وصف بالجهل، فأراد اختباره فقال له: عصامي أم عظامي؟ فقال: أنا عصامي عظامي. فقال الحجاج: هذا أفضل الناس. ثم

تبين له فيما بعد أنه أجهل الناس، فقال الحجاج: أصدقني القول، كيف أجبت بما أجبتني به حين سألتك؟ فقال: لم أعلم أعصامي خير أم عظامي، فخشيت أن أقول أحدهما، فقلت كليهما، فإن ضرّني أحد ما نفعني الآخر. فقال الحجاج: إن المقادير تصير العييَّ خطيبا [1].

لو أحبوك لأطاعوك

شكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق إلى جامع المحاربي فقال له: أما أنه لو أحبوك لأطاعوك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك، تُعْطَهَا ممن فوقك. فقال الحجاج: والله ما لهم عندي إلا السيف. فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار. فقال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فاضرب به وجهك. فقال: يا حجاج إن صدقناك أغضبناك، وان كذبناك أغضبنا الله، وغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر

طلبت زوجة خبيثة من زوجها أن يتخلص من أمه، بأن يحملها ويلقيها في أحد الأودية ليلاً، وبعد إلحاح من زوجته، حمل أمه ووضعها في مكان بعيد خال، ثم عاد إليها بعد ساعة متنكراً فوجدها تبكي، فقال لها: ما

---

١ العيي: العاجز عن التعبير، فلم يهتد لوجهه.

يبكيك؟ قالت: أبكي على ابن لي جاء بي إلى هذا المكان، وأخشى أن تكون أكلته الوحوش، فخر الابن على قدمي أمه يقبلها، ثم عاد بها إلى بيته، وطلق زوجته الخبيثة، ثم قضى بقية عمره في خدمتها.

جئت إلي تشكو عقوق ولدك؟!

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوق أبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟. قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (أي القرآن) قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلا (أي خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك؟!.

حاول وتعلم وجرِّب

سئل نابليون مرة: كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أفراد جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث: من قال: لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال لا أعرف، قلت: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت جرِّب. وفي هذا السياق قال طاغور (فيلسوف الهند): سأل الممكنُ المستحيلَ: أين تقيم؟ قال: في أحلام العاجز!

بين التجربة واليقين

قال عبد الله بن وهب المصري: كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين ديناراً. وكان إذا أخذه؛ لم يطلع إلى منزله حتى يتصدق به. ثم يجيء إلى منزله، فيجدها جميعاً تحت فراشه. قال: وكان له ابن عم، فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به، ثم جاء يطلبه تحت فراشه فلم يجد شيئاً. فشكا إلى حيوة. فقال حيوة: أنا أعطيت ربي بيقين، وأنت أعطيت ربك تجربة. والله سبحانه وتعالى لا يخضع لتجارب البشر!

لمَ التشدد؟!

قال رجل لأبي حازم: إنك متشدد!

فقال أبو حازم: ومالي لا أتشدد وقد ترصدني أربعة عشر عدواً.

أما أربعة: فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقتلني، ومنافق يبغضني.

وأما العشرة فهي: الجوع والعطش، والحر، والبرد، والعري، والهرم، والمرض، والفقر، والموت، والنار.

ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحاً أفضل من التقوى.

الدواء الذي لا داء معه

قال الأصمعي: جمع الرشيد أطباء أربعة: عراقيا، ورروميا، وهنديا، ويونانيا. فقال: ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه، فقال العراقي: الدواء الذي لا داء معه حب الرشاد الأبيض، وقال الهندي: الإهليلج الأسود، وقال الرومي: الماء الحار، وقال اليوناني – وكان أطبهم – حب الرشاد الأبيض يولد الرطوبة، والماء الحار يرخي المعدة، والإهليلج الأسود يرق المعدة، ولكن الدواء الذي لا داء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه، وتقوم عنه وأنت تشتهيه.

المرء بأصغريه

كان الصقب النهدي سيد بني نهد ومن أشرافهم، قيل إنه دخل يوما على النعمان بن المنذر، فلما رآه ازدراه ونيت[3] عينه عنه، فقال: أأنت الصقب؟ قال: نعم، قال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: أبيت اللعن، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق، نطق ببيان، وإن قاتل، قاتل بجنان.

قال النعمان: أخبرني يا أخا بني نهد عن السوءة السوآء والداء العياء؟ قال: السوءة السوآء المرأة السليطة اللسان السلفح " الصخابة البذيئة" القصيرة، التي تغضب من غير غضب، وتعجب من غير عجب، فصاحبها

---

(٣) ونيت، من ونى الشيء وونى عنه: تركه.

لا ينعم باله، ولا يصلح حاله، وإن كان مقلاً عيرته، وإن كان ذا مال لم ينفعه ماله، فتلك التي لا أراح الله منها بعلها ولا متع بها أهلها.

وإما الداء العياء، فجار السوء، الذي إن خالطته ظلمك، وإن غبت عنه سبك "شتمك" وإن قاولته بهتك "كذبك" فإذا كان ذلك جارك فاخل له دارك، وعجل منه فرارك، فإن ضننت بالدار كنت كالكلب الهرار "كثير النباح" فأقمت بذل وصغار.

نصائح طبيب الحجاج

قال الحجاج بن يوسف للباذون طبيبه: صف لي صفة آخذ بها نفسي ولا أعدوها. قال له: لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتياً، ولا تأكله حتى تنعم طبخه، ولا تشرب دواء إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها، ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه، وكل ما أحببت من الطعام، واشرب عليه، فإن شربت فلا تأكل، ولا تحبس الغائط ولا البول، وإذا أكلت بالنهار فنم، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مئة خطوة.

القياس في الفقه

مما يروى أن الإمام أبي حنيفة قد التقى مع محمد الباقر بن زين العابدين في المدينة، فقال محمد الباقر: أنت الذي حولت دين جدي وأحاديثه بالقياس؟ فقال أبو حنيفة: معاذ الله. فقال محمد: بل حولته.

فقال أبو حنيفة: اجلس مكانك كما يحق لك، حتى اجلس كما يحق لي، فإن لك حرمة كحرمة جدك (ﷺ) في حياته على أصحابه. فجلس ثم جثا أبو حنيفة بين يديه ثم قال: إني سائلك عن ثلاث كلمات فأجبني: الرجل أضعف أم المرأة؟ فقال محمد: المرأة، فقال أبو حنيفة: كم سهم المرأة؟ - يعني في الميراث - فقال: للرجل سهمان وللمرأة سهم. فقال أبو حنيفة: هذا قول جدك، ولو حولت دين جدك، لكان ينبغي في القياس أن يكون للرجل سهم واحد وللمرأة سهمان؛ لأن المرأة أضعف من الرجل. ثم قال: الصلاة أفضل أم الصوم؟ فقال: الصلاة أفضل. قال: هذا قول جدك، ولو حولت دين جدك، لكان القياس أن المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاة ولا تقضي الصوم. ثم قال: البول أنجس أم النطفة؟ قال: البول أنجس، قال: فلو حولت دين جدك بالقياس، لكنت أمرت أن يُغتَسل من البول ويُتَوضأ من النطفة. ولكن معاذ الله أن أحول دين جدك بالقياس. فقام محمد فعانقه وقبل وجهه وأكرمه.

والكاظمين الغيظ

يروى أن غلام زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من الخزف، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين، فانكسر، وجرحت رجله، فقال الغلام على الفور: يا سيدي، يقول الله تعالى: "والكاظمين الغيظ". فقال زين العابدين: قد كظمت غيظي. فقال الغلام:

ويقـول: "والعـافين عـن النـاس". فقـال: لقـد عفـوت عنـك. فقـال الغـلام:
ويقول: "والله يحب المحسنين". فقال زين العابدين أنت حر لوجه الله"!

ما لا يستحيل بالانعكاس

مما يروى في هذا الشأن: إن بعض الملوك عزم على قصد عدو له، فقدم أحد أعوانه يتجسس أحوال عدوه، فلما صار إلى أرض العدو، شعروا به فقبضوا عليه ،وأمروه أن يكتب لصاحبه كتاباً يذكر له أنه وجد القوم ضعفاء، ويطمعه فيهم ويزين له غزوهم، فكتب:

(أما بعد فقد أحطت علماً بالقوم، وأصبحت مستريحاً من السعي في تعرف أحوالهم، وإني قد استضعفتهم بالنسبة إليكم، وقد كنت أعهد من أخلاق الملك المهلة في الأمور والنظر في العاقبة، ولكن ليس هذا وقت النظر في العاقبة، فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة بإذن الله، وقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك: نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام).

فلما انتهى الكتاب إلى الملك قرأه على رجاله فقويت قلوبهم وصحت عزائمهم على الخروج، ثم إن الملك خلا بخاصته من الكبراء وأهل الرأي وقال: أريد أن تتأملوا هذا الكتاب، فإني شعرت منه بأمر، وإني غير سائر حتى أنظر في أمري. فقال بعضهم: ما الذي لحظ الملك في الكتاب؟ قال:

إن فلاناً من الرجال ذوي الحصافة والرأي، وقد أنكرت ظاهر لفظه، فتأملت فحواه فوجدت في باطنه خلاف ما يوهم الظاهر، وذلك في قوله: (وأصبحت مستريحا من السعي) فيريد أنه محبوس، وقوله: (استضعفتهم بالنسبة إليكم) يريد أنهم ضعفنا لكثرتهم، وقوله: (إنكم الفئة الغالبة بإذن الله) يشير إلى قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقوله: رأيت من أحوال القوم ما يطيب به (قلب الملك) فإني تأملت ما بعده فوجدت أنه يريد بالقلب: العكس، لأن الجملة الآتية مما يوهم ذلك، فقلبت الجملة وهي قوله: (نصحت فدع ريبك ودع مهلك) فإذا مقلوبها (كلهم عدو كبير عد فتحصن) [1].

المروءة في بغداد

قال عبيد الله بن محمدٍ التيمي: سمعت ذا النُّون يقول بمصر: من أراد أن يتعلَّم المروءة والظرف، فعليه بسقاة الماء ببغداد. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لمَّا حُمِلْتُ إلى بغداد رُمي بي على باب السلطان مقيَّدًا، فمرَّ بي رجلٌ متَّزرٌ بمنديل مصري، معتمٌّ بمنديل دَبِيقِيٍّ، بيده كيزان خزفٍ رقاقٍ وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: لا، هذا ساقي العامة. فأومأت إليه: اسقني، فتقدَّم وسقاني، فشممت من الكوز رائحة المسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه دينارًا. فأعطاه الدينار، فأبى وقال: لست آخذاً

(١) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٣/ ١٠٤.

شيئًا. فقلت له: ولم؟ فقال: أنت أسيرٌ، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئًا. فقلت: كَمُلَ الظرف في هذا.

الصدق الصدق

قال أبو عبد الله الرملي: رأيت منصورًا الدَّيْنَوَرِيَّ في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أُؤَمِّل [أؤمل: أرجو، والمقصود أن الله تعالى عفا عنه وأعطاه فوق ما كان يرجوه!!] فقلتُ له: أحسن ما تَوَجَّه العبد به إلى الله ماذا؟ قال: الصدق، وأقبحُ ما توجَّه به الكذب.

عاهدت أمي ألا أكذب

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله-: بَنَيْتُ أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أُمِّي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولمَّا وصلنا أرض (هَمْدَان) خرج علينا قُطَّاع الطرق، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا. فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدَتْني أُمِّي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها. فصاح باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أُمِّك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد

الله!! ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال مَنْ معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق وسببه.

لم يكذب قط

عن الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي، قال: رِبْعِيُّ بن حِرَاشٍ، تابعي ثقة، لم يكذب قط، كان له ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إنَّ أباهما لم يكذب قط، لو أرسلت إليه فسألتَه عنهما. فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. فقال: قد عفونا عنهما بصدقك.

ماذا يدمر الإنسان

المهاتما غاندي كان يحدث عنزته وهي لاهية عنه بتناول طعامها من الحشائش التي يجمعها لها، بينما هو قانع بقطرات الحليب التي تقدمها له ويعيش عليها. قال لها يوماً، وما أكثر ما كان يقول لرفيقة كفاحه السلمي "سبع أشياء تدمر الإنسان: السياسة بلا مبادئ، والمتعة بلا ضمير، والثروة بلا عمل، والمعرفة بلا قيم، والتجارة بلا أخلاق، والعلم بلا إنسانية، والعبادة بلا تضحية.

عندما تكون على حق

قال غاندي: عندما تكون على حق تستطيع أن تتحكم في أعصابك، أما إذا كنت تعرف أنك مخطئ، فلن تجد غير الكلام الجارح لتفرض به رأيك!

الكرامة والحكمة

أبلغ أحد الأدباء ابنه بأن الكرامة والحكمة مفتاحا النجاح في ميدان العمل، وقال له: أما الكرامة فإني أعني بها أنه إذا وعدت أحداً بتسليم بضاعة في يوم معين، فيتوجب عليك أن تفي بوعدك ولو أدى ذلك إلى إفلاسك. ثم سأله الابن: حسن، وما هي الحكمة؟ قال: ألا تلجأ إلى مثل هذه المواعيد.

مالك لا تمرض؟

قيل لجالينوس: مالك لا تمرض؟ قال: لأني لا أجمع بين طعامين رديئين، ولم أدخل طعاماً على طعام، ولم أحبس البول والغائط أو طعاماً تأذيت منه.

قال الشافعي:

ثلاث هن مهلكة الأنام ... وداعية الصحيح إلى السقام

دوام وطء ودوام مدامة ... وإدخال الطعام على الطعام

حكمة امرأة بدوية

قال الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت لها: يا هذه، أترضين أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي، أفلا أرضَ بما رضي الله به؟!

أفضل النساء

سئل أعرابي عن النساء وكان ذا هم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئا جودت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، التي كل أمرها محمود.

وفـاء

قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم فقلت: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا، ولكن كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفي، فآلت أن لا تتكلم بعده أبداً.

تأثير الأمهات

سئل أحد الحكماء عن تأثير الأمهات في الأولاد، فقيل له: ما تقول في ولد الرومية؟ فقال: صلف معجب بخيل، قيل: فولد الصقلية؟ قال: طفس زنيم، قيل: فولد السوداء؟ قال: شجاع سخي، قيل: فولد الصفراء؟ قال: هن أنجب أولاداً وألين أجساداً وأطيب أفواها، قيل: فولد النوبية؟ قال: فاسق جاهل، قيل: فولد العربية؟ قال: أنف حسود حقود، قيل: فولد اليهودية؟ قال: دغل غدر، قيل: فولد الفارسية؟ قال: مكر وخديعة.

ثمانية أشياء

سأل بعض الناس الإمام الشافعي عن ثمانية أشياء فقالوا له: ما رأيك في واجب وأوجب، وعجيب وأعجب، وصعب وأصعب، وقريب وأقرب، فرد عليهم بقوله من واجب الناس أن يتوبوا ولكن ترك الذنوب أوجب، والدهر في صرفه عجيب وغفلة الناس عنه أعجب، والصبر في النائبات صعب ولكن فوات الثواب أصعب، وكل ما ترتجي قريب والموت من دون ذلك أقرب.

الناس مراتب

حكي أن صعصعة بن صوحان وكان من حكماء العرب ومفكريها: أنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فسأله معاوية قائلا: يا ابن صوحان، صف لي الناس، فقال: خلق الناس أطوارا. طائفة للسيادة والولاية، وطائفة للفقه والسنة، وطائفة للبأس والنجدة، وطائفة رجرجة بين ذلك، يغلّون السعر ويكدرون الماء، إذا اجتمعوا ضرّوا، وإذا تفرقوا لم يعرفوا.

معاوية معجب بأدب عبد الملك

ورد أن عبد الملك بن مروان استأذن على أمير المؤمنين معاوية في الدخول فأذن له، ثم سلّم عليه وجلس. وبعد أن فرغ من حديثه قام وانصرف. فقال معاوية: ما أكمل أدب هذا الفتى! فقال بعض الحاضرين: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقاً أربعة:

أخذ بحسن البشر إذا أقبل، وبأحسن الحديث إذا حدّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن الوفاء إذا وعد. وترك مزاح من لا يثق بعقله، ومجالسة من لا يرجع إلى الحق، ومخالطة من لا أدب عنده، ومن القول والعمل كل ما يعتذر منه.

يقول الشاعر:

إن أنت جالست الرجال ذوي النهى ... فاجلس إليهم بالكمال مؤدبا

واسمع حديثهمو إذا هم حدّثوا ... واجعل حديثك إن نطقت مهذبا

لست مذنباً فأهرب!

حكى ابن قتيبة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون، فهربوا منه إلا صبياً واحداً منهم، فقال له عمر رضي الله عنه: لم لا تهرب مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقاً فأوسع لك!.. وكان هذا الغلام هو عبدالله بن الزبير.

العقل والشهوة

ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كلاهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو من شر البهائم.

عين الرضا وعين السخط

قال عبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

ابدأ بنفسك

يا أيها الرجل المعلم غيره ... لا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصحَّ به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُسمع ما تقول ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

الكندي وأبو تمام

أنشد أبو تمام لأحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها:

إِقْـدَامَ عَمْـرٍو فِي سَـمَاحَةِ حَـاتِمٍ   فِي حِلْـمِ أَحْنَـفَ فِي ذَكَـاءِ إِيَـاسِ

فقال له الكندي، وكان حاضراً وأراد الطعن عليه: الأمير فوق مَن وصفت، وما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب!. فأطرق قليلاً، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لاَ تُنْكِـرُوا ضَـرْبِي لَـهُ مَـنْ دُونَـهُ   مَـثَلاً شَـرُوداً فِي النَّـدَى وَالبَـاسِ

فَـاللهُ قَـد ضَـرَبَ الأَقَـلَّ لِنُـورِهِ   مَـثَلاً مِـنَ المِشْـكَاةِ وَالنِّبْـرَاسِ[1]

ولم يكن هذا في القصيدة، فعجب منه (ومن بديهته)، ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل، فاستُصغِر عن ذلك، فقال الكندي: ولّوه، فإنه قصير العمر؛ لأن ذهنه ينحت من قلبه، فكان كما قال، فلعل الكندي رأى من سجية أبي تمام في ذلك الوقت ما يدل على قرب أجله.

تخفضنا خافضة وترفعنا رافعة

حدث الْقَاسِمِ بْن السمرقندي قال: دخلت أعرابية على عبيد الله بْن أبي بكرة، بالبصرة، فوقفت بين السماطين، فقالت: أصلح الله الأمير، وأمتع به، حدرتنا إليك سنة اشتد بلاؤها، وانكشف غطاؤها، أقود صبية صغاراً، وآخرين كباراً، تخفضنا خافضة، وترفعنا رافعة، لملمات من الدهر برين

(١) المشكاة: كوة في الحائط غير نافذة يوضع فيها السراج. والنبراس: الصباح، وهو لغة سريانية.

عظمي، وأذهبن لحمي، وتركنني والهةً، أذود بالحضيض، قد ضاق بي البلد العريض، فسألت فِي أحياء العرب من المرتجا غيثه، والمعطى سائله، والمكفى نائله، فدُلِلتُ عليك أصلحك الله، وأنا امرأة من هوزان، قد مات الوالد، وغاب الوافد، وأنت بعد الله غياثي، ومنتهى أملي، فافعل بي إحدى ثلاث خصال: إما أن تردني إلى بلدي، أو تحسن لي صفدي، أو تقيم لي أودي، فَقَالَ: بل أجمعهن لك، وحبا وكرامة، فلم يزل يجري عليها كما يجري على عياله حتى مات.

قصة الثعلب والديك

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

بَـــرَزَ الثعـْــــلَبُ يومــــاً	في شِعـــــــار الواعِظيـــــنا
فَمـــــَشى في الأرضِ يَهـْــدي	ويَسُـــــُــبُّ المــــــاكرينا
ويقـــــول: الحَـــمـــْـد لله	إلَــــــه العالَـــــــمينا
يـــا عِـــــباد الله توبـــوا	فـــَهو كَهــْـفُ التـــائبينا
وازهـــَدوا في الطَيــــْر إن الـــ	عَيــْـش عَيــْشُ الزاهـِــدينا
واطْلـــُبوا الديـــك يـــؤذن	لصَــــلاة الصُبــْـح فينـــا
فـــأتَى الـــديك رَســُــولٌ	مِـــن إمـــام الناســـــكينا
عـــرَضَ الأمـــرَ عَلَيـْــهِ	وهـــو يَرجـــو أن يـــَلينا

فأجـــــاب الديـــــكُ عـــذْراً يــــا أضَـــــل المهْتــــدينا

بَلِّـــغ الثَعْلـــبَ عَنـــي عـــنْ جـــدودي الصالحـــينا

عـــن ذَوي التـــيجان ممـــنَّ دَخَـــلَ البَطـــنَ اللعينـــا

إنهـــم قـــالوا وخَيْـــرُ الـــ قـــوْلِ قـولُ العـــارفينا

"مُخْطِــئٌ مَــنْ ظــنّ يومــاً أنَ لِلثَعْـــلَبِ ديــــنا"

الثعلب المكار والديك

رُوي أن ثعلباً محتالاً رأى ديكاً، فأقبل عليه طلق المحيا، بادي البشر، فلما رآه الديك علا شجرة حتى انتهى إلى أعلى غصن فيها، فناداه الثعلب، وقال له: ما بالك قد خفت مني؟ انزل ولا تخش. فقال له الديك: أنت عدوي قديماً وحديثاً، ومن الحمق والجهل أن أنزل إليك، فتأكلني ظلماً وبغياً.

فقال الثعلب: كأني بك لم تعلم أن أعوان السلطان ينادون للأمان قائلين: قد آن الأوان ليجتمع القط بالفأر، والأسد بالإنسان، والثعلب بالديك، والذئب بالغزلان؟! لأنهم إن لم يتحدوا ويتعاونوا على الخير، لا يتغلبون على الشر أبدا، فلتنزل إذن، ولا تخالف الجماعة، فتحرّج الديك، وتدبر، ثم قال للثعلب: يا أبا الحصين، إني أرى شبحاً يعدو على أربع، فما عسى أن

يكون؟ فقال: ذلك عدوي الكلب، وإنه مدركي لا محالة، وولى هارباً. فناداه الديك قائلا: أقبل، ولا تخف إن كنت صادقاً فيما زعمت، فقال وهو يعدو: نعم، ولكن أخشى أن هذا الخبيث لم يسمع النداء بعد!.

الرشيد والخارجي

ظفر هارون الرشيد برجل من الخارجين عليه ، فقال له: ما تريد أن أصنع بك؟ قال: ها أنذا بين يديك، فاصنع بي ما تريد أن يصنع بك رب السموات والأرض إن وقفتَ بين يديه، ولا أجدُ أذلَ مني حين أقف بين يديك. فأطرق الرشيد ثم قال: اذهب حيث شئت.

فلما ذهب أغراه جلساؤه به، وحذّروه منه وقالوا له: لا تصفح عمن أساء إليك، فأمر بردّه، فلما حضر قال له: يا أمير المؤمنين لا تطعهم فيَّ، فلو أطاع الله فيك خَلقَهُ ما استخلفك عليهم.

فعجب من فطنته وذكائه، فأطلقه وخلّى سبيله.

بدر السماء يلوح ويبدو

عن أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني، عن عبد الله محمد بن أبي عبد الله الحافظ الحميدي، قال أخبرني أحمد بن قاسم، جار لنا كان بالمغرب، أن عبد الملك بن إدريس الحريري كان ليلة بين يدي المنصور

بن أبي عامر، والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى، فارتجل:

فاقترح المنصور على ابن إدريس أن يقول شيئاً، فقال:

أَرى بَـدرَ السَـماءِ يَلـوحُ حينـاً   فَيَبـدو ثُـمَّ يَلتَحِـفُ السَـحابا

ذلـك أنـه لَمّـا تَبَـدّى   وَأَبصَـرَ وَجهَـكَ اِسـتَحيا فغابـا

اضرب قبلها مثلاً

غصب أحد الولاة ضيعة لرجل، فشكا أمره إلى الخليفة العباسي المنصور وقال له: أصلحك الله يا أمير المؤمنين، أأذكر حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلاً؟ قال: بل اضرب لي قبلها مثلاً. قال: إن الطفل إذا أصابه ما يكره يشكو إلى أمه.. ظناً منه أنه لا ناصر له غيرها.. فإذا ترعرع شكا إلى أبيه.. لاعتقاده أن أباه أقوى من أمه على نصرته.. فإذا صار رجلاً ووقع به أمر.. شكا إلى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه.. فإن ازداد عقله شكا إلى السلطان لعلمه أنه أقوى من جميع الناس.. فإن لم ينصفه شكا إلى الله تعالى.

وقد نزلت بي نازلة.. وليس فوقك أحد من الخلق أقوى منك، فإن أنصفتني فيها وإلا رفعت أمري إلى الله. إذ ليس أقوى منك إلا هو. قال: بل ننصفك وكتب إلى واليه بأن يرد إليه ضيعته ويهيىء له أسباب راحته.. ويؤمِّن له شؤون معيشته.

قال الشاعر:

لا تسألنَّ بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... والآدمي حين يسأل يغضب

آداب المجالسة

إذا جلست فأقبل على جلسائك بالبشر والطلاقة، وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك مرتباً، واحفظ لسانك من خطئه، وهذّب ألفاظك، والتزم ترك الغيبة، ومجانبة الكذب، والعبث بإصبعك في أنفك، وكثرة البصاق، والتمطي والتثاؤب والتشاؤم، ولا تكثر الإشارة بيدك، واحذر الإيماء بطرفك إلى غيرك، ولا تلتفت إلى من وراءك. فمن حسنت آداب مجالسته، ثبتت في الأفئدة مودته، وحسنت عشرته، وكملت مروءته.

بين أبي الأسود الدؤلي وامرأته

جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام فِي ابن كان لها منه وأراد أخذه منها، فسارا إِلَى زياد وهو والي البصرة، فقَالَت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني كان بطني وعاءه، وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتى إذا استوفى فصاله، وكملت خصاله، واستوكعت أوصاله، وأملت نفعه، ورجوت دفعه، أراد أن

يأخذه مني كرها، فآذاني أيها الأمير، فقد رام قهري، وأراد قسري. فقَالَ أَبُو الأسود: أصلحك الله أيها الأمير، هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه فِي أدبه، وأنظر فِي أوده، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله، ويستحكم فتله، فقَالَت المرأة: صدق أصلحك الله، حمله خفاً، وحملته ثقلاً، ووضعه شهوة، ووضعته كرهاً، فقَالَ له زياد: اردد عَلَى المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك[1].

أيّهم يدخل الجنة؟

ذهب الأمام محمد عبده الى الخديوي عباس فوجد عنده حاخام اليهود وبطريرك النصارى، فقال الخديوي: هذا ممثل اليهود، وهذا ممثل النصارى، وأنت ممثل المسلمين. ثم قال: أريد أن أعرف من سيدخل الجنة، اليهود أم النصارى أم المسلمين. فقال: ممثل اليهود: ليتكلم ممثل النصارى. فقال ممثل النصارى: ليتكلم ممثل المسلمين، فقال الأمام محمد عبده يرحمه الله: إذا كان اليهود سيدخلون الجنة فإن المسلمين سيدخلون الجنة أيضا؛ لأنهم آمنوا بسيدنا موسى، وإذا كان النصارى سيدخلون الجنة فإن المسلمين سيدخلون الجنة كذلك، لأنهم آمنوا بسيدنا

---

(١) استوكعت : اشتدت ، أكلؤه : أحفظه . وقولها : فآدني أي قوّني وأعني عَنْ أخويه وعن نفسه وما أجاب به .

عيسى، وإذا كان المسلمين سيدخلون الجنة لأنهم آمنوا بسيدنا موسى وبسيدنا عيسى فإن اليهود والنصارى لن يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ.

قادها الشعر إلى قصر الأمير

حدثتنا كتب التاريخ عن تلك الصدفة التاريخية التي جرت لفلاحة بسيطة كانت تغسل الثياب قرب النهر، وذلك عندما كان أبو القاسم ولي عهد اشبيلية وصديقه الشاعر المعروف ابن عمار يسيران قرب شاطئ نهر الوادي الكبير، يتباريان في مطارحة شعرية، حيث رأى الأمير سطح الماء قد ارتعش بسبب نسمة هواء هبت عليه، فقال في ذلك شعراً:

نسج الريح على الماء زرد ....

ولم يستطع إكمال البيت، فقال لصديقه الشاعر ابن عمار: أكمل البيت، فتردد ابن عمار وتلكأ وأبطأ ولم تسعفه قريحته، حتى سادت فترة صمت اعتقد الأمير بأن ابن عمار الشاعر الكبير قد خانه الشعر، لكن صوتاً نسائياً واثقاً قطعها ليكمل بيت الشعر الذي احتار ابن عمار به:

.... ليت الماء درعاً فجمد

فالتفت الأمير لذلك الصوت ليكتشف امرأة فلّاحة جميلة أخذته بجمالها وفصيح لسانها، فسألها عن اسمها ونسبها فأخبرته بأنها مجرد

خادمة، تدعى اعتماد وتلقب بالرُّميكية نسبة لسيدها رميك، فحررها من سطوة رميك وتزوجها، وذهب بها الى قصره، وتسمّى باسمها، وأصبح اسمه المعتمد تشبها باعتماد.

فتح الموصلي وغلام في طريقه إلى الحج

قال فتح: "رأيت غلاماً بالبادية، لم يبلغ الحلم، وهو يمشي وحده، ويحرك شفتيه؛ فسلمت عليه فرد علي السلام؛ فقلت: "إلى أين؟"، قال: "إلى بيت ربي"؛ فقلت: "وبماذا تحرك شفتيك؟"، فقال: "أتلوا كلام ربي". فقلت له: "إنه لم يجر عليك قلم التكليف!"، فقال: "رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سناً، فعرفت أنني لست بناج". فقلت: "خطوك قصير، وطريقك بعيد"، فقال: "إنما علي نقل الخُطا وعلى الله البلاغ". قلت: "فأين الزاد والراحلة؟"، قال: "زادي يقيني، وراحلتي رجلاي". فقلت: "أسألك عن الخبز والماء!"، فقال: "يا عماه!، أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله، أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك إلى منزله؟!"، قلت: "لا!"، فقال: "إن سيدي دعا عباده إلى بيته، وأذن لهم في زيارته؛ فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم، واني استقبحت لك، فحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعني؟!"، فقلت: "كلا وحاشا!"؛ ثم غاب عن

بصري، فلم أره إلا بمكة. فلما رآني فقال: "أما تزال أيها الشيخ - بعدُ على الضعف من اليقين؟!".

الحطيئة يهجو الزبرقان

روي أن الزبرقان بن بدر التميمي سيد قومه عَمِل للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر، وكان يجمع زكاة قومه ويؤديها لهم. وقد أشتكى لعمر لما هجاه الحطيئة. فقال له عمر وما قال فيك؟ قال: قال في:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها ... واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة. فقال الزبرقان: أولا تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! والله يا أمير المؤمنين ما هُجيت ببيت قط أشد عليَّ منه. فدعا عمر حسان بن ثابت وسأله: أتراه هجاه؟ قال حسان: نعم وسلح[1] عليه! فحبس عمر الحطيئة، فجعل الحطيئة يستعطفه ويرسل إليه الأبيات، فمن ذلك قوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ ... زغبُ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيت كاسبَهم في قعر مُظلمة ... فاغفر، عليك سلام الله يا عمرُ

إمامُ الذي من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليدَ النُّهي البشرُ

لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ

---

(١) سلح عليه: تغوط.

فامنن على صبيةٍ بالرَّمْلِ مسكنُهم بين الأباطح يغشاهم بها القدرُ
نفسي فداؤك كم بيني وبينَهُمُ من عَرْضِ واديةٍ يعمى بها الخبرُ

قال عمر: فإياك والمقذع من القول، فقال الحطيئة: وما المقذع؟ قال عمر: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خير من فلان، وآل فلان خير من آل فلان؛ قال الحطيئة: فأنت والله أهجى مني. ثم قال له عمر: والله لولا أن تكون سُنّة لقطعت لسانك. فاشترى عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً. ولكن يقال أنه رجع للهجاء بعد استشهاد عمر رضي الله عنه.

من حكم علي رضي الله عنه

لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور؛ فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

في تفويض السلطة

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة المنورة في المظالم، فيراجعه فيها، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: (إنه يخيل لي أني لو كتبت لك أن تعطي رجلاً شاة لكتبت إلي: أذكر أم أنثى؟ ولو كتبت إليك بأحدهما، لكتبت إلي: أصغيرة أم كبيرة؟ ولو

كتبت إليك بأحدهما، لكتبت: أضأن أم معزى؟، فإذا كتبت إليك فنفِّذ ولا تراجعني!).

أقيموا عليه الحد مرتين

جيء لسيدنا عمر بشارب خمر فقال: أقيموا عليه الحد، فقال: والله يا أمير المؤمنين إن الله كتب عليَّ ذلك، فقال: يا عدو الله، متى علمت بالكتابة، قبل أن تشرب أم بعد أن شربت؟! إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار، إياك أن تقول: إن الله قدر عليَّ أن أفعل هذا العمل السيئ. ثم قال: أقيموا عليه الحد مرتين، مرة لأنه شرب الخمر، ومرة لأنه افترى على الله.

طبيب العرب عند كسرى

وفد الحارث ابن كلدة الثقفي طبيب العرب على كسرى ملك الفرس، فأذن له بالدخول، فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا الحارث بن كلدة الثقفي. قال: فما صناعتك؟ قال: الطب. قال: أعربي أنت؟ قال: نعم، قال: فما تصنع العرب بالطب مع جهلها وضعف عقولها، و قلة قبولها وسوء غذائها، وشح الصحراء وقسوتها؟. قال: ذلك أجدر أيها الملك إذ كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى من يصلح جهلها، و يقيم عوجها،

ويسوس أبدانها، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه. ثم أمره بالجلوس فجلس، فقال له: كيف بصرك بالطب؟ قال: ناهيك!

قال: فما أصل الطب؟ قال: ضبط الشفتين، والرفق باليدين. قال: أصبت، فما الداء الدوي؟ قال: إدخال الطعام على الطعام هو الذي يفني البرية، ويهلك السباع في جوف البرّيّة. قال: أصبت. ثم قال: فما الجمرة التي تلهب منها الأدواء؟ قال: هي التخمة، إن بقيت في الجوف قتلت، و إن تحللت أسقمت. قال: صدقت، فما تقول في دخول الحمام؟ قال: لا تدخله شبعان ولا تنم بالليل عُريان، ولا تقعد على الطعام غضبان، وارفق بنفسك، يكن أرخى لبالك، وقلل من طعامك، يكن أهنأ لنومك.

قال: فما تقول في الدواء؟

قال: ما لزمتك الصحة فاجتنبه، فإذا هاج الداء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه، فإن البدن بمنزلة الأرض، إن أصلحتها عمرت، و إن تركتها خربت.

قال: فأي اللحمان أفضل؟

قال: الضأن الفتي، والقديد المالح مهلك للآكل.

قال: فما تقول في الفاكهة؟

قال: كلها في إقبالها وحين أوانها، واتركها إذا أدبرت وولت، وانقضى زمانها.

قال: فما تقول في شرب الماء؟

قال: هو حياة البدن، وبه قوامه، ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة، وشربه بعد النوم ضرر، و أفضل المياه مياه الأنهار العظام، أبرده وأصفاه.

قال: فما طعمه؟

قال: شيء لا يوصف.

قال: فما لونه؟

قال: أشتبه على الأبصار لونه، يحكي لون كل شيء يكون فيه.

قال كسرى: لله درك يا أعرابي. لقد أُعْطيتَ علماً، وخُصِّصتَ بفطنة وفهم، ثم أمر له بجائزة وكساء.

أفضل النوم

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إياكم ونومة الغداة؛ فإنها مبخرة (تزيد في البخار)، مجفرة (قاطعة النكاح)، مجعرة (ميبسة للطبيعة)". وقال الإمام أحمد رحمه الله: "يكره للرجل أن ينام بعد العصر، يخاف على عقله".

قال الشاعر:

ألا إن نومات الضحى تورث الفتى ... خبالا ونومات العصور جنون

ألا إن بين الظهر والعصر نومة ... تحاكي لأصحاب العقول فنون

علامة إعراض الله عن العبد

علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وإن امرأً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق الله له من العبادة لجدير أن تطول عليه حسرته، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيرُه شرَّه فليتجهز إلى النار.

المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب

قال الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: إن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر، فمهما رأيت إنساناً سيء الظن بالناس، طالباً للعيوب، فاعلم أنه خبيث الباطن، وأن خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق.

ذروا التفرقة

قال الشاعر عرار (مصطفى وهبي التل):

إني أرى سبب الفناء وإنما	سبب الفناء قطيعة الأرحام
فدعوا مقال القائلين جهالة	هذا عراقي وذاك شآمي
فبلادكم بلدي وبعض مصابكم	همي وبعض همومكم آلامي
وتداركوا بأبي وأمي أنتم	أرحامكم برواجح الأحلام

كن على حذر

كن على حذر من الكـريم إذا أهنتـه

ومــــن العاقــــل إذا أحرجتـــــه

ومــــن اللئـــــيم إذا أكرمتــــــه

ومــــن الأحمـــــق إذا مازحتـــــه

وصية لقمان

قال لقمان يوصي ابنه: يا بني، لقد ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من العافية، وذقت المرارات كلها فلم أجد أمر من الحاجة إلى الناس، ونقلت الحديد والصخر فلم أجد أثقل من الدين. واعلم أن الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر، وكلاهما سينحسر.

وافق شنٌّ طبقة

يضرب هذا المثل لشيئين يتفقان. وأصله أن رجلا من دهاة العرب، يقال له (شن) كان قد ألزم نفسه ألا يتزوج إلا امرأة تلائمه. فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته، فصاحبه رجل في بعض أسفاره، فلما تمادى عليهم المسير، قال شن للرجل: أتحملني أم أحملك؟ فقال له: يا جاهل أيحمل

الراكبُ الراكبَ؟! فأمسك حتى مرّا على زرع قد استحصد، فقال له شن: يا شيخ، هل أُكل هذا الزرع أم لا؟. فقال له: يا جاهل! أما تراه في سنبله؟! فأمسك حتى لقيتهما جنازة، فقال له شن: أحيٌّ صاحب هذه الجنازة أم ميت؟ فضجر منه الرجل، وقال له: ما رأيت أجهل منك، أتراهم يحملون إلى القبر حيّاً؟ فأمسك حتى وصلا إلى قرية الرجل، فسار به إلى منزله، وكانت له بنت اسمها طبقة، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه متعجباً من جهله، فقالت: ما أراه إلا قد تكلم بالصواب، وسأل عما يسأل عن مثله. أما قوله: (أتحملني أم أحملك) فإنه أراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا بالحديث، فلا نبالي بالمشقة، فكأن أحدنا حمل صاحبه. وأما سؤاله عن الزرع، فمراده: هل بيع فأُكِل ثمنه؟. وأما سؤاله عن صاحب الجنازة، فمراده: أخلف عقباً يحيا به ذكره أم لا؟

فلما خرج إلى شن، قال له: أتحب أن أفسر ما سألتني عنه؟ فقال له: نعم! ففسّره. فقال له: ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه! فأخبره. فخطب الفتاة وتزوجها. فلما رأى قومه ما فيها من الدهاء، قالوا: (وافق شن طبقة) فذهب قولهم مثلاً.

عمر بن الخطاب والوالي الجديد

وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم يودِّع أحد ولاته قبل سفره إلى إقليمه الذي سيحكمه، وسأله: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟

فأجابه الوالي: أقطع يده.

فقال عمر: إذاً، فإن جاءني منهم جائع أو عاطل، فسوف يقطع عمر يدك!.

ثم تابع عمر حديثه فقال: إن الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً، التمست في المعصية أعمالاً. فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

أولادنا

سأل معاوية ابن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد، فقال: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، نحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول عن جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم؛ يمنحوك ودَّهم، ويحبوك جهدهم. ولا تكن عليهم ثقلاً فيتمنوا موتك ويكرهوا قربك، ويملّوا حياتك.

فقال معاوية: لله أنت! لقد دخلت علي وإني مملوء غيظاً على يزيد، ولقد أصلحت من قلبي له ما كان فسد. فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية إلى يزيد بدراهم وهدايا، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها.

نوابغ الكلم

روي أنه اجتمع حكيما العرب: عمرو بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسي عند أحد ملوك حمير باليمن، فقال لهما: تساءلا حتى أسمع ما تقولان:

فقال عمرو لحممة: أين تحب أن تكون أياديك؟

قال: عند ذي الرتبة العديم (أي الفقير)، وعند ذي الخلة (أي الحاجة) الكريم، والمعسر الغريم، والمستضعف الحليم.

قال: فمن أحق الناس بالمقت؟

فقال: الفقير المختال، والضعيف الصوّال، والغبي القوّال.

قال: فمن أحق الناس بالمنع؟

فقال: الحريص الكائد (أي المنكر الفضل)، والمستفيد الحاسد، والمُخلف الواجد (الغني المماطل).

قال: فمن أجدر الناس بالصنيعة؟

فقال: من إذا أعطي شكر، و إذا منع عذر، وإذا مطل صبر، وإذا قدم العهد ذكر.

قال: فمن أكرم الناس عِشرة؟

قال: من إذا قُرِّب منح، وإذا ظُلِم صفح، وإذا ضُويق سمح.

قال: فمن ألأم الناس؟ قال: من إذا سأل خضع، وإذا سئل منع، وإذا ملك كنع، ظاهره جشع، وباطنه طمع.

قال: فمن أجل الناس؟

قال: من عفا إذا قدر، وأجمل إذا انتصر، و لم تطغه عزة الظفر.

قال: فمن أحزم الناس؟ قال: من أخذ رقاب الأسود بيديه، وجعل العواقب نصب عينيه، ونبذ التهيب دبر أذنيه (أي أعرض عنه).

قال: فمن أخرق الناس (أي أحمقهم)؟

قال: من ركب الخطار، واعتسف العثار، وأسرع في البدار قبل الاقتدار.

قال: فمن أجود الناس؟

قال: من بذل المجهود، ولم يأس على المفقود.

قال: فمن أبلغ الناس؟

قال: من حلّى المعنى المزيز، باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحريز.

قال: فمن أنعم الناس عيشا؟

قال: من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف على ما لا يخاف.

قال: فمن أشقى الناس؟

قال: من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم على ما اتْحُتِم.

قال: فمن أغنى الناس؟

قال: من استشعر اليأس، وأظهر التجمل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم.

قال: فمن أحكم الناس؟

قال: من صمت فادكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر.

قال: فمن أجهل الناس؟

قال: من رأى الخرق مغنما، والتجاوز مغرما.

لا تكن أول مشير، وإياك والرأي الفطير

قال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه: لا تكن أول مشير، وإياك والرأي الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تشر على مستبد، ولا على وغد (لئيم)، ولا على متلون، ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه خيانة.

وصية المأمون

كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول: يا بني: أكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدث الناس بأحسن ما تحفظ.

نصائح للمؤدب

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده:

ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بَنِيَّ إصلاحُك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبح عندهم ما استقبحت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روِّهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه. فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وجنبهم محادثة النساء، وتهددهم بي، وأدِّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكل على عذر مني، فإني قد اتكلت على كفاية منك.

في الاتحاد قوة

لما أشرف المهلب بن أبي صفرةعلى الوفاة، وكان أحد رؤساء جيش عبد الملك بن مروان، استدعى أبناءه السبعة، وبذل لهم النصائح التي تنفعهم دنيا وأخرى. ثم أمرهم بإحضار رماحهم مجتمعة، وتقدم إليهم أن يكسروها واحداً فواحداً مبتدئاً بأصغرهم، فلما يقدروا. فقال لهم: فرقوها وليتناول كل واحد رمحه ويكسره، فكسروها دون كبير عناء، فعند ذلك قال لهم: اعلموا أن مثلكم مثل هذه الرماح، فما دمتم مجتمعين ومؤتلفين يعضِّد بعضكم بعضاً، لا تنال منكم أعداؤكم غرضاً، أما إذا اختلفتم وتفرقتم فإنه يضعف أمركم، وتتمكن منكم أعداؤكم، ويصيبكم ما أصاب الرماح، وأنشد:

كونـوا جميعـاً يـا بنـيّ إذا اعـترى خطـبٌ[1] ولا تتفرّقُـوا آحـادا

تـأبى الرِّمـاحُ إذا اجـتمعن تكسُّـراً وإذا افــترَقْنَ تكسَّـرتْ أفـرادا

أبلغ من سحبان بن وائل

نشأ سحبان بن زفر بن إياد في الجاهلية بين قبيلة وائل من ربيعة، ثم دخل في الإسلام عند ظهوره، واتصل بمعاوية، فحسن موقعه لديه، واعتمد في يوم الكلام عليه. كان سحبان خطيبا غمر البديهة، قوي العارضة، أكثر الناس تصرفا في فنون الكلام، كأنما يتلو عن ظهر قلبه. وبه يضرب المثل في كذلك.

قدم على معاوية وفد من خراسان فطلب سحبان فلم يجده في منزله، فاقتضب من حيث كان وأُدخل عليه. فقال له معاوية: تكلم. فقال: أحضروا إلي عصا. قالوا: وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه. فضحك معاوية وأمر له بها. فلما جاءته ركلها ولم ترق في نظره، فجاؤوه بعصاه، وخطب من صلاة الظهر إلى أن حان وقت العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ، ولا ابتدأ في معنى وخرج منه وقد بقي فيه شيء. فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون. فأشار إليه معاوية بيده فأشار إليه سحبان: لا تقطع علي

---

(١) الخطب: الحال والشأن، والأمر الشديد.

كلامي! فقال معاوية: الصلاة! قال هي أمامك نحن في صلاة وتحميد ووعد ووعيد. فقال معاوية: أنت أفصح العرب، فقال سحبان: والعجم والجن والإنس!.

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه

في عهد أحد الخلفاء كان هناك رجل ثري اشتهر بالكرم والجود والعطاء ومكارم الأخلاق اسمه "المعيدي" هذا الرجل أحبه الناس كلهم لمكارم أخلاقه، فكان لا يرد سائلاً، وكان يعين المحتاجين، كما أنه كان حكيماً أيضاً فاشتهر بين الناس حتى ذاع صيته ووصل إلى الخليفة، فأرسل في طلبه كي يراه ويرى إن كان كما يقول الناس عنه فيدنيه من مجلسه وحاشيته، وجاء هذا الرجل إلى الخليفة فما أن رآه حتى قال: "تسمع بالمعيدي خير من أن تراه" فقد كان هذا الرجل دميماً جداً، وعندما سمع الرجل الخليفة رد عليه قائلاً: "يا مولاي، إن الرجال ليسوا بقراً ولا غنماً كي تنظر إلى وجوههم وأجسامهم، إنما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه" - وقد صارت هذه الكلمة مثلاً أيضاً.

فأعجب الخليفة من رده الحكيم وجعله أحد مستشاريه وقربه منه.

ممن تعلمت الأدب؟

قيل للقمان ممن تعلمت الأدب؟ قال: تعلمته من قليل الأدب، كان إذا فعل قبيحاً تجنبته.

طحالب الصبايا

تقول قصة طحالب الصبايا: أن زعيم الرسامين السرياليين بابلو بيكاسو، قد خطرت له ذات يوم فكرة عابثة ساخرة؛ حيث جاء بقطعة قماش بيضاء، وقربها من ذنب حمار مربوط، بعد أن صبغ الذنب بألوان مختلفات، وأغرى الحمار بتحريك ذنبه يميناً ويساراً، صعوداً وهبوطاً، حتى ارتسمت على القماشة خطوط لا معنى لها؟! ثم جعل لها إطاراً جميلاً، ووقّع في أحد أطرافها، وأراد أن يختار لها اسماً، وأمر طبيعي أن يكون هذا الاسم كما اللوحة لا معنى له، فاختار اسم (طحالب الصبايا) وعندما عرض بيكاسو لوحة (طحالب الصبايا) في أحد المعارض، جاء نقاد الفن يدرسون ويحللون ويستنبطون منها روائع وعظمة الفن، ووصفوها مرة ببديعة القرن العشرين، ومرة معجزة ليس لها في التاريخ مثيل، وأخرى برائعة الفن المعاصر، وبعضهم عجز عن إيجاد الكلمات المناسبة المعبرة؛ لأنها فاقت التصور!، كما تناقلت الصحف والمجلات حديث النقاد، ونقلته من لغة إلى أخرى (فملأت هذه اللوحة الدنيا وشغلت الناس) حتى بيعت اللوحة بـ (٣٥٠) ألف جنيه إنكليزي.

الزير سالم يثأر لنفسه بعد موته

يروى عن الزير سالم "أبو ليلى المهلهل" صاحب حرب البسوس المعروفة، التي دامت أربعين سنة ثأراً لقتل جساس لكليب أخي المهلهل. تقول القصة: كبر المهلهل وأسن فأخذ يجول في البلاد يرافقه عبدان ، فملا

منه وهما بقتله، فأحسَّ بذلك، فطلب إليهما أن ينقلا وصيته إلى أهله. فقالا: وماهي وصيتك؟ قال: إذا وصلتم أهلي، فأقرئوهما مني السلام، وأنشدوهما هذا البيت:

مــن مُبلِــغُ الأَقــوامِ أَنَّ مُهلهــلا لله دَرُّكُمــــــا وَدَرُّ أَبيكُمــــــا

فقتلاه ودفناه ثم عادا إلى ديارهما باكيين منتحبين، وأخبرا ابنة أخيه اليمامة بموته، وكانت من أذكى نساء العرب، وأنشداها البيت، فلطمت وجهها وبكت، ثم قالت: إن عمي لا يقول أبياتاً ناقصة، بل أراد أن يقول:

مــن مُبلِــغُ الأَقــوامِ أَنَّ مُهلهــلا أَضــحى قَتــيلاً في الفـلاةِ مُجَنـدَّلا

لِلَّــــهِ دَرُّكُمــــا وَدَرُّ أَبيكُمــــا لا يَــبرَح العَبــدانِ حَتّــى يُقـتَلا

ثم إنهم قبضوا على العبدين وألقوهما تحت العذاب والضرب الشديد حتى أقرا بأنهما قتلاه ودفناه، فقتلا في الحال. وهكذا انتهت حياة الزير وقد أخذ بثأره في حياته وبعد مماته.

القارب العجيب

تحدى أحد الملحدين -الذين لا يؤمنون بالله- علماء المسلمين في إحدى البلاد، فاختاروا أذكاهم ليرد عليه، وحددوا لذلك موعداً. وفي الموعد المحدد ترقب الجميع وصول العالم، لكنه تأخر. فقال الملحد

للحاضرين: لقد هرب صاحبكم وخاف؛ لأنه علم أني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله!

وأثناء كلامه حضر العالم المسلم واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأنا في الطريق إلى هنا، لم أجد قارباً أعبر به النهر الذي يفصل بيني وبينكم، وانتظرت على الشاطئ بعض الوقت، وفجأة ظهرت في النهر ألواح من الخشب، تجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قارباً، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم. فقال الملحد: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قارباً دون أن يصنعه أحد، وكيف يتحرك بدون وجود من يحركه؟! فقال العالم: فماذا تقول عن نفسك وأنت تقول: إن هذا الكون العظيم الكبير بلا إله؟!

فبهت الذي كفر وأسقط في يده، وانقطعت حجته وبان فساد رأيه.

لن يدعك الشيطان مع الله

يروى أن رجلاً جاء إلى الإمام أبى حنيفة ذات ليلة، وقال له: يا إمام، منذ مدة طويلة دفنت مالاً في مكان ما، ولكني نسيت هذا المكان، فهل تساعدني في حل هذه المشكلة؟ فقال له الإمام: ليس هذا من عمل الفقيه؛ حتى أجد لك حلاً. ثم فكر لحظة وقال له: اذهب، فَصَلِّ حتى يطلع الصبح، فإنك ستذكر مكان المال إن شاء الله تعالى.

فمضى الرجل، وأخذ يصلي. وفجأة، وبعد وقت قصير، وأثناء الصلاة، تذكر المكان الذي دفن المال فيه، فأسرع وذهب إليه وأحضره. وفي الصباح جاء الرجل إلى الإمام أبي حنيفة، وأخبره أنه عثر على المال، وشكره، ثم سأله: كيف عرفت أني سأتذكر مكان المال؟! فقال الإمام: لأني علمت أن الشيطان لن يتركك تصلي، وسيشغلك بتذكر المال عن صلاتك.

لا تغالوا في مهور النساء

صعد عمر ﷺ يوما المنبر، وخطب في الناس، فطلب منهم ألا يغالوا في مهور النساء، لأن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يزيدوا في مهور النساء عن أربعمائة درهم! لذلك أمرهم ألا يزيدوا في صداق المرأة على أربعمائة درهم. فلما نزل أمير المؤمنين من على المنبر، قالت له امرأة من قريش: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم؟ قال: نعم.

فقالت: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ (القنطار: المال الكثير). فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فصعد المنبر، وقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في مهور النساء، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل.

الخليفة الحكيم

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه معروفا بالحكمة والرفق، وفي يوم من الأيام، دخل عليه أحد أبنائه، وقال له: يا أبت! لماذا تتساهل في بعض الأمور؟! فوالله لو أني مكانك ما خشيت في الحق أحداً.

فقال الخليفة لابنه: لا تعجل يا بني؛ فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في المرة الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه (أي أخاف أن أجبرهم عليه مرة واحدة فيرفضوه) فتكون فتنة. فانصرف الابن راضياً بعد أن اطمأن لحسن سياسة أبيه، وعلم أن رفق أبيه ليس عن ضعف، ولكنه نتيجة حسن فهمه لدينه.

الأصل واحد والمخارج عديدة

ذات يوم جاء بعض الناس إلى الإمام الشافعي، وطلبوا منه أن يذكر لهم دليلاً على وجود الله عز وجل. ففكر لحظة، ثم قال لهم: الدليل هو ورقة التوت. فتعجب الناس من هذه الإجابة، وتساءلوا: كيف تكون ورقة التوت دليلاً على وجود الله؟! فقال الإمام الشافعي: "ورقة التوت طعمها واحد؛ لكن إذا أكلها دود القز أخرج حريراً، وإذا أكلها النحل أخرج عسلاً، وإذا أكلها الظبي أخرج المسك ذا الرائحة الطيبة. فمن الذي وحّدَ الأصل وعدّد المخارج؟ إنه الله- سبحانه وتعالى- خالق الكون العظيم!

العاطس الساهي

كان عبد الله بن المبارك عابداً مجتهداً، وعالما بالقرآن والسنة، يحضر مجلسه كثير من الناس؛ لينهلوا من علمه الغزير. وفي يوم من الأيام، كان يسير مع رجل في الطريق، فعطس الرجل، ولكنه لم يحمد الله. فنظر إليه ابن المبارك، ليلفت نظره إلى أن حمد الله بعد العطس سنة على كل مسلم أن يحافظ عليها، ولكن الرجل لم ينتبه. فأراد ابن المبارك أن يجعله يعمل بهذه السنة دون أن يحرجه، فسأله: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟

فقال الرجل: الحمد لله!

عندئذ قال له ابن المبارك: يرحمك الله.

خُلق من نار وسيُعذَّبُ بالنار

ذات يوم ذهب أحد المجادلين إلى الإمام الشافعي، وقال له: كيف يكون إبليس مخلوقا من النار، ويعذبه الله بالنار؟! ففكر الإمام الشافعي قليلاً، ثم أحضر قطعة من الطين الجاف، وقذف بها الرجل، فظهرت على وجهه علامات الألم والغضب. فقال له: هل أوجعتك؟ قال: نعم، أوجعتني!

فقال الشافعي: كيف تكون مخلوقا من الطين ويوجعك الطين؟!

فلم يرد الرجل وفهم ما قصده الإمام الشافعي، وأدرك أن الشيطان كذلك: خلقه الله -تعالى- من نار، وسوف يعذبه بالنار.

الموسوس الشكاك

جاء أحد الموسوسين المتشككين إلى مجلس الفقيه ابن عقيل، فلما جلس، قال للفقيه: إني أنغمس في الماء مرات كثيرة، ومع ذلك أشك: هل تطهرت أم لا، فما رأيك في ذلك؟ فقال ابن عقيل: اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة. فتعجب الرجل وقال له: وكيف ذلك؟ فقال ابن عقيل: لأن النبي ﷺ قال: "رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ". ومن ينغمس في الماء مراراً - مثلك- ويشك هل اغتسل أم لا، فهو بلا شك مجنون.

من قدر الله إلى قدر الله

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بلاد الشام، وكان معه بعض الصحابة. وفي الطريق علم أن مرض الطاعون قد انتشر في الشام، وقتل كثيرا من الناس، فقرر الرجوع، ومنع من معه من دخول الشام.

فقال له الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله يا أمير المؤمنين؟!

فرد عليه أمير المؤمنين: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة!

ثم أضاف قائلاً: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله؛ أرأيت لو أن لك إبلاً هبطت وادياً له جهتان: إحداهما خصيبة (أي بها زرع وحشائش تصلح لأن ترعى فيها الإبل)، والأخرى جديبة (أي لا زرع فيها، ولا تصلح لأن ترعى فيها الإبل)، أليس لو رعيت في الخصيبة رعيتها بقدر الله، ولو رعيت في الجديبة رعيتها بقدر الله؟!

لا أصلح للقضاء

طلب أحد الخلفاء من رجاله أن يحضروا له الفقيه إياس بن معاوية، فلما حضر الفقيه قال له الخليفة: إني أريد منك أن تتولى منصب القضاء. فرفض الفقيه هذا المنصب، وقال: إني لا أصلح للقضاء. وكان هذا الجواب مفاجأة للخليفة، فقال له غاضبا: أنت غير صادق. فرد الفقيه على الفور: إذن فقد حكمت علي بأني لا أصلح. فسأله الخليفة: كيف ذلك؟

فأجاب الفقيه: لأني لوكنت كاذبا -كما تقول- فأنا لا أصلح للقضاء، وإن كنت صادقا فقد أخبرتك أني لا أصلح للقضاء.

يمكن أن يكون الحمل ستة أشهر فقط

تزوجت امرأة، وبعد ستة أشهر ولدت طفلا، والمعروف أن المرأة غالباً ما تلد بعد تسعة أشهر أو سبعة أشهر من الحمل، فظن الناس أنها لم

تكن مخلصة لزوجها، وأنها حملت من غيره قبل زواجها منه. فأخذوها إلى الخليفة ليعاقبها، وكان الخليفة حينئذ هو عثمان بن عفان ﷺ فلما ذهبوا إليه، وجدوا الإمام علياً ﷺ موجوداً عنده، فقال لهم: ليس لكم أن تعاقبوها لهذا السبب. فتعجبوا وسألوه: وكيف ذلك؟ فقال لهم: لقد قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (أي أن الحمل وفترة الرضاعة ثلاثون شهراً). وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾. (أي أن مدة الرضاعة سنتين. إذن فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً، والحمل يمكن أن يكون ستة أشهر فقط).

المرأة والفقيه

سمعت امرأة أن عبد الله بن مسعود ﷺ لعن من تغير خلقتها من النساء، فتفرق بين أسنانها للزينة، وترقق حاجبيها. فذهبت إليه، وسألته عن ذلك، فقال لها: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله. فقالت المرأة في دهشة واستغراب: لقد قرأت القرآن الكريم كله لكني لم أجد فيه شيئا يشير إلى لعن من يقمن بعمل مثل هذه الأشياء.

وهنا ظهرت حكمة الفقيه الذي يفهم دينه فهماً جيداً، فقال للمرأة: أما قرأت قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟!

أجابت المرأة: بلى، فقال لها: إذن فقد نهى القرآن عنه أيضاً.

سؤال حير الشافعي

جاء شيخ كبير إلى مجلس الإمام الشافعي، فسأله: ما الدليل والبرهان في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. فقال الشيخ: وماذا- أيضاً؟ قال: سنة رسول الله. قال الشيخ: وماذا- أيضاً-؟ قال: اتفاق الأمة. قال الشيخ: من أين قلت اتفاق الأمة؟ فسكت الشافعي، فقال له الشيخ: سأمهلك ثلاثة أيام. فذهب الإمام الشافعي إلى بيته، وظل يقرأ ويبحث في الأمر. وبعد ثلاثة أيام جاء الشيخ إلى مجلس الشافعي، فسلم وجلس. فقال له الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى هداني الله إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. فمن خالف ما اتفق عليه علماء المسلمين من غير دليل صحيح أدخله الله النار، وساءت مصيرا. فقال الشيخ: صدقت.

معاذة العنبرية ومنهجها في التدبير

قال شيخ: لم أرَ في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية. قالوا: وماذا صنعت معاذة هذه؟ قال: أهدى إليها ابن عم لها أضحية، فرأيتها مفكرة مطرقة، فقلت لها: مالك يا معاذة؟ قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيم (أي: من يقوم بأمرها)، ولا عهد لي بتدبير لحوم الأضاحي، وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست أعرف وضع

جميع أجزائها في أماكنها، وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجرّ إلى تضييع الكثير.

أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو: أن يجعل منه كالخطاف ويسمر في جذع من أجذاع السقف فيعلق عليه الزبل (السلة)، والكيران، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان (الصراصير)، والحيات وغير ذلك، وأما المصران فإنه لأوتار المندفة، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة.

وأما قحف (العظم فوق الدماغ) الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق، ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم ير الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه، وإذا كانت كذلك فهي أسرع للقدر لقلة ما يخالطها من الدخان، وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث (أي: الزبل) والبعر فحطب إذا جفف عجيب.

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم، وقد علمت: أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه. وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها وإن لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي وقذى في عيني وهما لا يزالان يعوداني.

قال: فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل ذكرت أن عندي قدوراً شاميّة جدداً. وقد زعموا: أنه ليس شيء أزيغ ولا أزيد في قوتها، من التلطيخ بالدم الحار الدميم، وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء في موقعه.

قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت: بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد لنا في الشحم والإلية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش ولكل شيء إبان.

باب التوبة مفتوح

جاء رجل الى سيدنا موسى عليه السلام فقال: عصيت ربي عشرين سنة، وأطعته عشرين سنة، ثم عصيته، فهل يقبلني؟ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام: بلّغ عبدنا وقل له: أحببتنا فأحببناك، وأطعتنا فقربناك، وعصيتنا فأمهلناك، ولو عدت إلينا على ما كان منك قبلناك".

السن ليس المعيار الأوحد

قيل أن القاضي يحيى بن أكثم ولِّي القضاء بالبصرة وسنُّه عشرون سنة، فاستصغره أهل البصرة، فقال أحدهم: كم سن القاضي؟ فَعَلِمَ يحيى أنه استصغره، فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله

ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور حين ولّاه عمر بن الخطاب قاضياً على أهل البصرة، قال فعظم في أعين أهل البصرة وهابوه.

خير الأمور الوسط

روي أن أعرابياً قال لابن عباس رضي الله عنهما: إن العرب تقول:

حـــب التنـــاهي شـــطط وخيـــر الأمـــور الوســـط

فهل تجد ذلك في القرآن الكريم؟ قال: نعم، في أربعة مواضع:

- في قوله تعالى – في وصف بقرة موسى – ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾. أي وسط بين الكبر والصغر في السن.
- وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾. أي فتوسط بين الأمرين.
- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾. وهذا السبيل هو الوسط في القراءة.
- وفي قوله تعالى: في مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾. أي وسطاً في المعيشة[1].

(١) مجلة الوعي الإسلامي، ع ٢٤٢، ١٩٨٤، ص: (٦٧).

رضا الناس غاية لا تدرك

ضــــحكتُ فقــــالوا: ألا تحتشـــــم؟

بكيـــــتُ فقـــــالوا: ألا تبتـــــسم؟

بســـــمتُ فقـــالوا: يرائـــــي بهـــا

عبســـت فقـــالوا: بـــدا مـــا كـــتم

ســـكتُ فقـــالوا: كليـــل اللســـان

نطقـــت فقـــالوا: كثيـــر الكلـــم

حلمـــتُ فقـــالوا: صـــنيع الجبـــان

ولـــو كـــان مقتـــدراً لانتـــقم

يقولـــون: شـــذَّ إذا قلـــت: لا

وإمعــــــةٌ إذا وافقتــــــهم

فأيقنـــــــت أني مهمـــــا أرد

رضـــا النـــاس لا بـــد أُذم



الفصل الثاني

طرائف عامة

الفصل الثاني

طرائف عامة

كذلك نفعل بالمجرمين

صلى أحد المجرمين خلفَ إمامٍ فقرأ الإمام: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. وكان في الصفّ الأوّل، فتأخّرَ إلى الصفِّ الأخير، فقرأ: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾. فتأخّر. فقرأ: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾. فتركَ الصلاةَ وخرجَ هارباً وهو يقول: واللهِ ما المطلوب غيري، فوجده بعضُ الأعراب، فقال له: ما لكَ تركض؟ فقال: إنّ الإمام أهلكَ الأولين، والآخرين، وأرادَ أن يهلكَني في الجملةِ واللهِ لا رأيته بعد اليوم".

التمر والنوى

كان رسول الله ﷺ جالسا يأكل تمرا مع علي ﷺ، فأحب عليٌ أن يداعب الرسول، فوضع نوى التمر الذي كان يأكله أمام الرسول ﷺ، وهكذا كلما أكل تمرة وضع النوى أمام الرسول. ثم قال له: أكلت كل هذا التمر يا رسول الله، ما شاء الله؟! فرد الرسول ﷺ: وأنت تأكل التمر بنواه؟!

لولا الهرّ

قال أبو بكر بن عيَّاش: كان بالكوفة رجلٌ قد ضاق معاشه، فسافر وكسب ثلاثمائة درهم، فاشترى بها ناقةً فارهةً وكانت زعرةً، فأضجرته واغتاظ منها، فحلف بالطلاق ليبيعنَّها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثمَّ ندم، فأخبر زوجته بالحال، فعمدت إلى سنَّور (هر) فعلَّقته في عنق النَّاقة، وقالت: نادِ عليها مَنْ يشتري هذا السنور بثلاثمائة درهم والنَّاقة بدرهم، ولا أفرق بينهما. ففعل، فقال الناس: ما أرخص الجمل لولا الهر!!

الحجاج والأعرابي

انفرد الحجَّاج يومًا عن عسكرِهِ، فلقي أعرابيًّا، فقال له: كيف الحجَّاج فيكم؟

قال: ظالمٌ غاشم.

قال: فهلاَّ شكوتموه إلى عبد الملك؟.

قال: ذاك أظلم وأغشم.

فأحاط به العسكر، قال: أركبوا البدوي. فلما ركب سأل عنه، فقيل له: هذا الحجَّاج. فركض خلفه وقال: يا حجَّاج. قال: ما لك؟ قال: السرُّ الذي بيني وبينك لا يطَّلع عليه أحد. فضحك منه وأطلقه.

من قبيلة طي

وقف المهديُّ على عجوزٍ من العرب، فقال: ممَّن أنتِ؟

قالت: من طي.

قال: ما منع طيِّئًا أن يكون فيهم مثل حاتم؟

فقالت: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك. فعجب من جوابها ووصلها.

صبي يحتال على أبي حنيفة

قال أبو عاصم النبيل: رأيت أبا حنيفة في المسجد الحرام يُفْتِي وقد اجتمع النَّاس عليه وآذَوْه، فقال: ما هاهنا أحدٌ يأتينا بشرطيٍّ؟ فقلت: يا أبا حنيفة، تريد شرطيًّا؟ قال: نعم. فقلت: اقرأ عليَّ هذه الأحاديث التي معي. فقرأها، فقمتُ عنه، ووقفتُ بحذائه، فقال لي: أين الشرطيُّ؟ فقلت له: إنَّما قلتُ تريد، لم أقل لك أجيء به! فقال: انظروا، أنا أحتال للنَّاس منذ كذا وكذا، وقد احتال عليَّ هذا الصبيُّ.

جواب مسكت

قال ثمامة: دخلت على صديق أعوده، وتركتُ حماري على الباب، ولم يكن معي غلامٌ يحفظه، ثم خرجت، وإذا فوقه صبيٌّ، فقلتُ: أركبتَ

حماري بغير إذني؟ قال: خفت أن يذهب فحفظته لك. قلت: لو ذهب كان أحب لي من بقائه. قال: إن كان هذا رأيك فيه، فاعمل على أنه قد ذهب، وهبه لي، واربح شكري. فلم أَدْرِ ما أقول!.

طلقت ثلاثاً

رُوِيَ أنَّ رجلاً خطب امرأة، وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوِّجك حتى تطلِّق. فقال: اشهدوا أني قد طلقتُ ثلاثًا. فزوَّجُوه، فأقام على امرأته، فادَّعى القوم الطلاق، فقال: أما تعلمون أنه كانت تحتي فلانةٌ بنت فلانٍ فطلَّقْتُها؟ قالوا: بلى. وكانت تحتي فلانةٌ بنت فلانٍ فطلَّقْتُها؟ قالوا: بلى. وكانت تحتي فلانةٌ فطلَّقْتُها؟ قالوا: بلى. قال: فقد طلَّقْتُ ثلاثًا. فبلغ إلى عثمان فجعلها نيِّته.

أخطاء الرسم وأخطاء الطب

قال أحد الرسامين لصديقه الفيلسوف: لقد قضيت فترة أشتغل بالرسم ثم تركته إلى الطب. فقال الفيلسوف: لقد أحسنت بذلك صنعاً، فأخطاء الرسم واضحة، للعيان بينما أخطاء الطب يسترها التراب.

حماميز

كان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة، فبينما هو يمشي مع أبيه إذ برجل يصيح بشاب: يا عبدالله، فلم يجبه ذلك الشاب، فقال: ألا تسمع؟!

فقال: يا عم، كلنا عبيد لله، فأي عبدالله تعني؟ فالتفت أبو حمزة إلى ابنه وقال: يا بُني ألا ترى بلاغة هذا الشاب؟! فلما كان من الغد إذا برجل ينادي شاباً اسمه حمزة، فقال حمزة ابن الأعرابي: كلنا حماميز الله، فأي حمزة تعني؟ فقال له أبوه: ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه.

طول الحبل وعرضه

أرسل أحدهم ابنه الأحمق إلى السوق ليأتيه بحبل، وبعد مدة ليست باليسيرة رجع ذلك الولد النجيب قائلاً: ما طول الحبل يا أبي؟ فقال الأب: خمسة أمتار، ثم ذهب وما لبث أن عاد فقال: كم عرضه يا أبي؟ فقال الأب: في عرض مصيبتي فيك يا بني!!

لا تطيل القراءة في الصلاة

كان أحد الأمراء يصلي خلف إمام يطيل في القراءة، فنهره الأمير أمام الناس وقال له: لا تقرأ في الركعة الواحدة إلا بآية واحدة، فصلى بهم المغرب، وبعد أن قرأ الفاتحة قرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾. وبعد أن قرأ الفاتحة في الركعة الثانية قرأ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾. فقال له الأمير: يا هذا، طوِّل ما شئت واقرأ ما شئت، غير هاتين الآيتين.

أحسنت!

قيل: إن المتوكل رمى عصفوراً فلم يُصبه فطار، فقال ابن حمدان: أحسنت! فقال المتوكل: كيف أحسنت؟! قال: أحسنت إلى العصفور!

انصرف وأنت مأجور

قعد رجل على باب داره فأتاه سائل فقال له: اجلس، ثم صاح بجارية عنده فقال: ادفعي الى هذا السائل صاعاً من حنطة، فقالت: ما بقي عندنا قال: فأعطيه درهماً، قالت: ما بقى عندنا دراهم، قال: فأطعميه رغيفاً، قالت: ما عندنا رغيف، فالتفت إليه وقال: انصرف يا فاسق يا فاجر! فقال السائل: سبحان الله تحرمني وتشتمني!! قال: أحببت أن تنصرف وأنت مأجور.

ابن أبي علقمه

مر (ابن أبي علقمه) بمجلس (بني ناجية) فكبا حماره لوجهه، فضحكوا منه فقال: ما يضحككم، رأى وجوهكم فسجد!.

فداك يا رأسي

كان لرجل أربع نساء وكُنّ يعنفنه دائماً، وفي أحد الأيام غضبن عليه وضربنه ضرباً مؤلماً، ثم حملنه خارج الدار، اثنتان برجليه واثنتان بيديه

أمام مرأى أحد أصدقائه، وبعد يومين رآه يشتري جارية فقال له: ما هذا أما يكفيك ما جرى لك من نسائك الأربع؟ فقال له: ألم تر كيف كن يحملنني ورأسي مدلى على الأرض، لقد اشتريت الخامسة لتمسك رأسي لكي لا يتهشم!

لعن الله من أكل ثنتين ثنتين

جلس أعمى وبصير معاً يأكلان تمراً في ليلة مظلمة، فقال الأعمى: أنا لا أرى، ولكن لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين، وعندما انتهى التمر تبين أن نوى الأعمى أكثر من نوى البصير، فقال البصير: كيف يكون نواك أكثر من نواي؟! فقال الأعمى: لأني آكل ثلاثاً! فقال البصير: أما قلت: لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين؟! قال: بلى، ولكني لم أقل: ثلاثاً ثلاثاً.

حمار بمواصفات عالية

قال رجل من الحمقى لنخاس: أطلب لي حمارًا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحتقر، لا يقدم تقحماً ولا يحجم تبلّداً، يتجنب بي الزحام والرجام والآكام، خفيف اللجام، إذا ركبته هام، وإذا ركبه غيري قام، إن علفته شكر وإن أجعته صبر، قال النخاس: اصبر حتى إذا مسخ الله القاضي حماراً رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله.

دعاء الاستسقاء

سمع أعرابي أبا المكنون النحوي في حلقته وهو يقول في دعاء الاستسقاء: اللهم ربنا وإلهنا ومولانا صل على محمد نبينا، اللهم ومن أراد بنا سوءاً فأحط به كإحاطة القلائد على ترائب الولائد، ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجّيل على هام أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سريعاً مجلجلاً مسحنفراً هزجاً شحاً ثجاجاً طبقاً غدقاً متغنجراً، فقال الأعرابي: يا خليفة نوح، هذا الطوفان ورب الكعبة، دعني آوي إلى جبل يعصمني من الماء!

يخاف الموت

قيل لأعرابي: ما يمنعك ان تغزو؟ قالَ: والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أسعى إليه راكضاً!.

من نوادر الأعمش

كانت له زوجة من أجمل نساء الكوفة، فجرى بينهما كلام، وكان الأعمش قبيح المنظر، فجاءه رجل يُقال له أبو البلاد يطلب الحديث منه، فقال له: إن امرأتي نشزت عليَّ، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس؛ فدخل عليها، وقال: إن الله تبارك وتعالى قد أحسن قسمتك، هذا شيخنا

وسيدنا، وعنه نأخذ أصل ديننا، وحلالنا وحرامنا، وهو شيخ كبير، فلا يزهدنك فيه عموشة عينيه، ولا خموشة ساقيه؛ ولا نتن إبطيه، ولا بخر فيه، ولا جمود كفيه، ولا... فغضب الأعمش، وقال له: يا خبيث، قم قبحك الله، لقد أخبرتها بعيوبي ما لم تكن تعرفه.

يأثمون ونؤجر

أراد إبراهيم النخعي مرة أن يماشي الأعمش، فقال له الأعمش: إن رآنا الناس معاً قالوا: أعور وأعمش؛ فقال النخعي: وما عليك أن يأثموا ونؤجر؟! فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم؟!

دعاء ركوب الدابة

جلس الأعمش يوماً في موضع فيه خليج من ماء المطر، وعليه فروة خَلِقة، فجاءه رجل وقال: قم عدني هذا الخليج، وأخذ بيده، فأقامه وركبه، وقال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين"؛ فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج، ورمى به وقال: "وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين"، ثم خرج وتركه يتخبط.

الكرم والبخل

يروى عن أشعب الطفيلي أنه مر على ناسٍ يأكلون، فقال: السلام عليكم أيها اللئام! فقالوا: لا والله بل كرام، فقال: اللهم اجعلني كاذباً

واجعلهم صادقين، فجلس معهم وبدأ في الأكل وهو يقول: ماذا تأكلون؟! قالوا: سماً، قال: العيش بعدكم لا طعم له، هذا وهو لم يتوقف عن الأكل، فسألوه: يا رجل أتعرف أحداً منا؟! فأجابهم: أعرف هذا، وأشار إلى الطعام.

ما بال فمك معوجاً؟

وقف أعرابي مُشوّه الفم أمام أحد الولاة يُلقي قصيدة يمدح فيها هذا الوالي التماساً للمكافأة، ولكن الوالي لم يأمر له بها... ولم يكفه هذا بل سأل: ما بال فمك معوجا؟

فقال الأعرابي: لعله عقاب من الله... فقال الوالي: ولأي شيء عاقبك الله؟

قال الأعرابي: لكثرة ما كذبت عليه بالثناء الباطل على بعض الناس!

جَيِّدُ المضغ سريعُ البلع

قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيد المضغ، سريع البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى، فقال: يا أخي، أتريد إذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين؟!

رنين الدرهم

استكثر أحد البخلاء أجر حطاب، فطمع في مشاركته العمل كي ينقص له الأجر، فجلس يقول: (هيه) مع كل ضربة يضربها الحطاب، ولما انتهى

من عمله أعطاه البخيل نصف الأجر، بحجة أنه شاركه العمل، فتخاصم
إلى القاضي وكان من الظرفاء. وبعد أن سمع حكايتهما قال: هات الأجر
لأقسمها بينكما، ثم شرع يلقي درهماً على صندوق ويقول: الدرهم
للأجير (الحطاب) ورنينه للمستأجر (البخيل).

أصول البخل

قال أحد الأغنياء البخلاء لخادمه: هات الطعام وأغلق الباب. فقال
الخادم: هذا خطأ يا سيدي، عليك أن تقول (أغلق الباب وهات
الطعام) قال الغني: أنت حر لوجه الله، لمعرفتك العميقة بأصول البخل.

قاض يمدح نفسه

يقال أن يحيى بن أكثم ولي قضاء جبلة زمن هارون الرشيد، ولما بلغ
أن هارون سيمر بجبلة في طريقه للبصرة، سأل أهالي جبلة أن يذكروه
بخير عند الخليفة، لكنهم تقاعسوا، فخرج هو بنفسه بعد أن أصلح هيئته
وعمامته، فلما واجه الرشيد بدأ يتحدث عن نفسه ويمدحها ويقول: إن
القاضي يحيى كذا وكذا، وهارون لا يعرفه، إلا أن القاضي أبا يوسف الذي
كان مرافقا للخليفة أخذ يضحك؛ لأنه يعرف شخص القاضي يحيى، فسأله
هرون الرشيد عن ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المُثني على القاضي
هو القاضي نفسه، فضحك هارون الرشيد حتى فحص برجله في الأرض
ثم أنه أمر بعزله.

ذهب الحمار بأم عمر

حُكي عن الجاحظ أنه قال: ألّفت كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل، ثم رجعتُ عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب، فدخلتُ يوماً مدينة فوجدتُ فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمتُ عليه فرد عليّ أحسن رد، ورحب بي فجلستُ عنده وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته بالفقه والنحو وعلم المنقول وأشعار العرب فإذا هو كامل الأدب. فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب. قال: فكنتُ أختلف إليه وأزوره، فجئتُ يوماً لزيارته فإذا بالكتَّاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، فذهبتُ إلى بيته وطرقتُ الباب فخرجتْ إليّ جارية.

وقالت لي: ما تريد؟

قلت: سيدك!.. فَدَخَلَتْ وخَرَجَتْ ثم قالت: باسم الله (أي تفضل)، فدخلت إليه وإذا به جالس فقلت: عظّم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر، ثم قلت له: هذا الذي توفى لك ولدك؟

قال: لا.

قلت: فوالدك؟

قال: لا.

قلت: فأمك؟

قال: لا.

قلت: فزوجتك؟

قال: لا.

فقلت: وما هو منك؟

قال: حبيبتي، فقلت في نفسي هذه أوّل المناحس.

فقلت: سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها.

فقال: أتظن أني رأيتها؟... قلت في نفسي هذه منحسة ثانية.

ثم قلت: وكيف عشقت من لم تر؟

فقال: اعلم أني كنت جالساً في هذه المكان وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ... ردي عليّ فؤادي أينما كانا

لا تأخذي فؤادي تلعبين به ... فكيف يلعب بالإنسان إنسانا

فقلتُ في نفسي لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها، فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمرٍ ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمتُ أنها ماتت فحزنتُ، وأغلقتُ المكتب، وجلستُ في الدار.

فقلتُ (الكلام للجاحظ): يا هذا إني كنتُ ألفت كتاباً في نوادركم يا معشر المعلمين، وكنتُ حين صاحبتك عزمت على تقطيعه، والآن قد قويت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ بك.

قبل أن يعود الى بطن أمه

سأل قراقوش المتهم: كم عمرك؟

فأجاب: من ٣٠ الى ٤٠ سنة.

قال قراقوش: حدد بالضبط؟

فرد المتهم: من ٢٠ الى ٣٠ سنة.

قال قراقوش: قلت لك حدد بالضبط؟

فقال المتهم: من ١٥ الى ٢٠ سنة!

عندها التفت قراقوش إلى الحارس وقال: ضعه حالا في السجن قبل أن يعود إلى بطن أمه.

هذا هو اللحم!!

جاء شحاذ الى قراقوش قائلاً: يا مولاي، إنني لم أرَ اللحم منذ عامين، فأمر قراقوش أحد جنوده بإحضار لحم طازج، وأراه الشحاذ قائلاً: ها هو اللحم يا بني... تعال عندنا كلما اشتقت لرؤيته.

الشراء بالأجل

جاءت امرأة لتشتري زيتونا من جحا وطلبت منه أن يبيعها بالأجل، فأعطاها جحا بعض الزيتون لتتذوقه، فاعتذرت المرأة وقالت إني صائمة قضاء رمضان الماضي. فخطف جحا منها الزيتونة وقال: قومي يا ظالمة، أنت تماطلين ربك عاماً كاملاً وتطلبين مني الشراء بالأجل.

من آداب مخاطبة الملوك

دخل الأصمعي يوماً على هارون الرشيد بعد غيبة كانت معه.

فقال له الرشيد: يا أصمعي، كيف كنت بعدي؟

فقال: ما لاقتنى بعدك أرض.

فتبسم الرشيد. فلما خرج الناس، قال للأصمعي: ما معنى قولك "ما لاقتنى أرض؟

قال: ما استقرت بي أرض، كما يُقال فلان لا يليق شيئا أي لا يستقر معه شيء.

فقال الرشيد: هذا حسن. و لكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدى الناس إلا بما أفهمه، فاذا خلوت فعلمني، فانه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما: إما أن أسكت فيعلم الناس أنى لا أفهم اذا لم أجيب، و إما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلت.

قال الأصمعي: فعلمني الرشيد يومها أكثر مما علمته.

رسالة جحا الى ولده

ولدى الحبيب،

أكتب لكَ هذا الخطاب، فإذا لم يصلكَ أخبرني، لكي أرسله لكَ مرة أخرى. أنا أكتب لكَ ببطء لأنني أعرف أنكَ لا تجيد القراءة بسرعة. هذا الخطاب سوف أرسله مع أخيك جيحون وهو الآن نائم، لذا سأضعه في جيبه كي لا ينساه، وأنت تعرف أخاك فهو ينسى كثيراً؛ لذا فإذا نسي أن يعطيك إياه مد يدك في جيبه الأيمن وخذه.

الجو هنا رائع، لم تتساقط الأمطار الأسبوع الماضي إلا مرتين فقط، المرة الأولى استمر المطر ثلاثة أيام متواصلة، والمرة الثانية أربعة أيام. بالنسبة للمعطف الذي تود أن أرسله لك سيكلف كثيراً في الشحن، لأن أزراره ثقيلة جداً لذا قُمتِ بنزع الأزرار ووضعتها في أحد جيوب المعطف.

بالمناسبة فان أخاك وجد عملاً بعد طول انتظار.. وهو مسؤول عن ما يقارب ٥٠٠ شخص! فهو يقوم بتنظيف الأعشاب عن القبور.

أُختكَ جيحونة حامل، ولكننا لا نعرف حتى الآن جنس المولود، لذلك فلن يكون بإمكاني إخباركَ إذا كنتَ ستصبح خالاً أو عمّاً! وإذا رُزِقَتْ بطفل فسوف تسميه على اسمي. هذه أول مرة أسمع فيها أحداً يسمي ابنه أبويا.

ذهبنا مع أخيكِ حميد الى المدينة إلا أنه وقع في مشكلة كبيرة.. فقد أقفل سيارته والمفاتيح بداخلها، واضطر للعودة إلى القرية ليجلب المفتاح الآخر.. لكي يخرجنا من داخل السيارة.

أبوك الحنون

ملاحظة: أردتُ أن أضع لكِ بعض النقود في الظرف، لكني مع الأسف تذكرت ذلك بعد أن أغلقته.

من أدعية المدرسين

دعاء مدرس اللغة العربية

اللهم اجعلني فاعلاً للخير ومرفوعاً عن الشر وبعيداً عن النصب ومضافاً لعبادك الصالحين، ومجروراً لتقواك ومبتدئاً بالسلام.

دعاء مدرس الاجتماعيات

اللهم ارزقني أنهاراً من الخير، وجبالاً من الحسنات، وثبت أقدامي في مهب الرياح وعند تغير المناخ، وهب لي خريطة الهداية، واجعل تاريخي مشرفاً يا أرحم الراحمين.

دعاء مدرس الرياضيات

اللهم اجعلني مستقيماً في حياتي، واجعلني في زاوية قائمة، ولا تجعل الدنيا حادة عليّ، واجعلني موازياً لعبادك الصالحين، وهو المطلوب يا أرحم الراحمين، يا صاحب البرهان العظيم.

دعاء مدرس الكيمياء:

اللهم اجعل تفاعلي مع الحياة تفاعلاً حسناً، وهب لي عاملاً مساعداً في حياتي، واجعلني عاملاً مختزلاً للحسنات ومؤكسداً للشر، وتقبل نشاطي يا كريم.

دعاء مدرس الرياضة:

اللهم اجعلني هدافاً للخير، ومهاجماً للشر، ومدافعاً عن الحق، وحارساً لكلمتك، وظهيراً للدين، ولا تجعلني متسللاً على الناس، ولا معرقلاً لسير الحياه يا رب العالمين.

رجل من ولد آدم

روى علي بن العباس قال: سمعت الحسين بن عمرو العنقري يقول: دق رجل على أبي نعيم (الفضل بن دكين) الباب فقال: من ذا؟ قال: أنا. قال: من أنا؟ قال: رجل من ولد آدم. فخرج إليه أبو نعيم، وقبّله وقال: مرحباً وأهلاً، ما ظننت أنه بقي من هذا النسل أحد.

إنك تعلم ما نريد

جاء بنان إلى وليمة فأُغلق الباب دونه فاكترى (استأجر) سلماً ووضعه على حائط الرجل، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا، أما تخاف الله، رأيت أهلي وبناتي! فقال بنان: يا شيخ، "لقد علمت ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد" فضحك الرجل، وقال له: انزل فكُل.

سبب أزمة الغذاء

قال وزير بريطانيا السمين تشرشل لبرنارد شو النحيف: من يراك يا شو، يظن أن بريطانيا في أزمة غذاء! فقال: ومن يراك يعرف سبب الأزمة!.

عرفه من حماره

أقبل جحا على قرية فرد عليه أحد أفرادها قائلاً: لم أعرفك يا جحا إلا بحمارك.

فقال جحا: لا بأس، إن الحمير تعرف بعضها!

يأكل الخروف بشراهة

أكل أعرابي عند أمير وكان شرهاً. فقال الأمير: ما لك تأكل الخروف كأن أمه نطحتك؟

فرد الأعرابي: وما لك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك؟!.

الحافلة للجميع

ركبت سيدة "سمينة جداً" الحافلة، فقال أحد الراكبين متهكماً: لم أعلم أن هذه الحافلة مخصصة للفيلة! فردت عليه السيدة بهدوء: -لا يا سيدي هذه السيارة كسفينَة نوح! تركبها الفيلة و(الحمير) أيضاً.

اللذات سبع

قال المأمون للحسن بن سهل: نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبع قال:وماهي يا أمير المؤمنين؟ قال: خبز الحنطة، ولحم الغنم، والماء البارد، والثوب الناعم، والرائحة الطيبة، والفراش الوطيء، والنظر الى الحسن من كل شيء. قال: فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال، قال صدقت هي أولاهن.

استعجل السيئة

دخل الخليفة على بن أبي طالب ﵁ مسجد الكوفة يوماً وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد: أمسك بغلتي، فأخذ الرجل لجام البغلة وتركها، فخرج علي من المسجد وفي يده درهمين ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى ثم دفع لغلامه قنبر الدرهمين ليشتري بهما لجاماً جديداً للبغلة، فلما ذهب قنبر إلى السوق وجد اللجام في السوق وقد باعه السارق بدرهمين، فقال علي ﵁ : إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قُدر له.

يوسف عليه السلام والذئب

يروي الجاحظ أن رجلاً اسمه "ابو علقمة" قال إن الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام اسمه "رجحون".. فقيل: ولكن الذئب لم يأكل يوسف. فقال: إذاً هو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف!

ولو كان بهم خصاصة

ألحَّ سائلٌ على أعرابيّ أن يعطيه حاجةً لوجه الله تعالى، فقال الأعرابيّ: والله ليس عندي ما أعطيه للغير، فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحقّ! فقال السائل: أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ فقال الأعرابيّ: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

صناعة الأقفال

وقف أعرابيّ على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: اسمي وثيق، وقال الآخر: منيع، وقال الآخر: ثابت، وقال آخر: اسمي شديد، فقال الأعرابيّ: ما أظن الأقفال صنعت إلا من أسمائكم!

هاؤم اقرؤوا كتابية

جيء بأعرابيّ إلى أحد الولاة لمحاكمته على جريمة أُتهم بارتكابها، فلما دخل على الوالي في مجلسه، أخرج كتاباً ضمّنه قصته، وقدمه له وهو يقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه.

فقال الوالي: إنما يقال هذا يوم القيامة.

فقال: هذا والله شرٌّ من يوم القيامة، ففي يوم القيامة يُؤتى بحسناتي وسيئاتي، أما أنتم فقد جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.

بحرٌ في العلم وبرٌّ في الدين

حكى ابن دينار القيرواني، وقال: بعث الخليفة المنصور يعقوب الموحدي ملك المغرب وإفريقية (ت ٥٩٥) إلى بعض عماله لينظر له رجلا عالماً يخصصه لتأديب أولاده، فبعث العامل له برجلين، وكتب معهما كتاباً يقول فيه: قد بعثت إليك برجلين أحدهما بحر في علمه، والآخر بر في دينه.

فلما امتحنهما الخليفة لم يُرْضياه، فوقع على ظهر كتاب العامل: ظهر الفساد في البر والبحر.

ذكّرني فوكِ حماريّ أهلي

زعموا أن رجلاً شاباً غزلاً خرج يطلب حمارين لأهله ضلا، فمر على امرأة منتقبة جميلة في النقاب، فقعد بحذائها وترك طلب الحمارين، وشغله ما سمع من حسن حديثها، وما رأى من جمالها في النقاب، فلما سفرت عن وجهها إذا لها أسنان مكفهرة منكرة مختلفة، فلما رآها ذكر الحمارين فقال: "ذكرني فوكِ حماري أهلي" فذهب قوله مثلا. ثم أنشأ يقول:

ليت النقاب على النساء مُحرمٌ ... كيلا تَغرَّ قبيحةٌ إنسانا

فرقة موسيقية

قيل لجحا: مات من أهل البلد هذا اليوم طبّال وزمّار ومغنٍ. فقال: لا بأس، إن في جهنم عرساً.

مؤتمر الفئران

اجتمع مجلس شيوخ الفئران للتداول والتشاور في أمر القط، الذي يأكل منهم كل يوم ثلاثاً أو أربعاً أو يزيد. فأدلى كل منهم بدلوه في هذا الأمر، فقال قائل منهم: لا بد من قتل القط، إلا أنهم ردوا هذا الاقتراح؛ لاستحالة تحقيقه، وقال آخر: نترك المكان ونرحل عنه إلى مكان بعيد لا يصل فيه إلينا، ولكنهم ردوا هذا الاقتراح أيضاً، بذريعة أنهم لا يستطيعون ترك وطنهم الذي ترعرعوا وعاشوا فيه وزرعوا فيه آمالهم ومهدوا على ترابه لمستقبلهم. وقال ثالث: أقترح أن نعلق في رقبة القط جرساً، فإذا سمعنا صوت الجرس علمنا أن القط قادم فاختبأنا في جحورنا. لقي هذا الاقتراح تأييد الجميع وترحيبهم به، إلا أن شيخاً من شيوخ الفئران يجلس في زاوية من المجلس استأذن في الحديث وقال: ولكن من يعلق الجرس؟!

الإحصاء والتصحيف

التصحيف هو تغيير معنى الكلمة نتيجة الخلط في الكتابة بين كلمة وكلمة أخرى مشابهة لها في الرسم، أي في الكتابة.

جاء في أخبار الحمقى والمغفَّلين أنَّ خليفةً أُمويّاً كتب إلى عامله على المدينة: أن أحصِ من عندك. لكن الكاتب صحَّف فوضع نقطة فوق الحاء، فوصل الكتاب إلى الوالي هكذا: أن أخْصِ من عندك، فخصاهم، فصار كل واحدٍ منهم مخصياً أي منزوع الخصيتين، وقال: هذا جزاء عادل![1]

بين حانا ومانا

تزوج رجل بامرأتين إحداهما اسمها حانا والثانية اسمها مانا، وكانت حانا صغيرة في السن لا يتجاوز عمرها العشرين سنة، بخلاف مانا التي يزيد عمرها على الخمسين وقد لعب الشيب برأسها، فكان كلما دخل إلى حجرة حانا تنظر إلى لحيته فتنزع منها كل شعرة بيضاء وتقول: يصعب عليَّ عندما أرى الشعر الشائب يلعب بهذه اللحية الجميلة وأنت لم تزل شاباً، فيذهب الرجل إلى حجرة مانا فتمسك لحيته هي الأخرى وتنزع منها الشعر الأسود وهي تقول له: يُكدِّرني أن أرى شعراً أسود بلحيتك، وأنت رجل كبير السن جليل القدر. ودام حال الرجل على هذا المنوال إلى أن نظر في المرآة يومًا فرأى بها نقصًا عظيمًا، فمسك لحيته وقال متحسراً: بين حانا ومانا ضاعت لحانا!!

(١) إن تشابه الكلمتين "أحْصِ " و"اخصِ" رسماً هو الذي أوقع اللبس، إذ الفارق بينهما نقطة، وهذه النقطة هي التي سبَّبت الخِصاء. وكثيراً ما يقع التصحيف في الكتابة فيفسد المعنى وقد يثير الخلاف بين الناس.

في الاتحاد قوة

جمع رجل عجوز أولاده العشرة، وأراد أن يوصيهم قبل أن يموت، فبين لهم أهمية أن يكونوا متحدين أقوياء لا متفرقين ضعفاء، وذكّرهم ببيت الشعر الذي يقول:

كونـوا جميعـاً يـا بَنـيَّ إذا اعـترى ... خطـــبٌ ولا تتفرقـــوا آحـــادا

تـأبى الرمـاح إن اجـتمعن تكسـراً ... وإن افـــترقن تكســـرت أفـــرادا

وكان قد أحضر لهم حزمة من العصي ليثبت لهم صدق الحكمة، فقال لأحد أولاده وكان سميناً قوياً، خذ يا بني واحداً من هذه العصي ثم اكسرها بيديك، ففعل، فقال: أحسنت! والآن حاول كسر العصي جميعاً، فإنك لن تستطع، ولكنه كسرها مجتمعة.

فغضب العجوز وقال منفعلاً: أفسدت الحكمة قبحك الله. ثم التفت إلى أبنائه وقال: يا أبنائي، إذا كان معكم مثل هذا البغل فلا خوف عليكم، ولا بأس أن تكونوا متفرقين!.

مدة الليل في القطب الشمالي

حدّث دائنٌ مدينَه عن القطب الشمالي، فقال: هل تعلم أن مدة الليل هناك تطول إلى (١٤١) يوماً، فتنهّد المدين وقال: حبذا لو كنا هناك، فإذا طالبتني بدينك، قلت لك: ارجع غداً صباحاً.

لأنها تشبه أمي

شكا أحد الشباب همه لصديقه وقال: إني أعاني من مشكلة مستعصية. فقال له الصديق: وما هي؟ فقال: ما من مرة أطلب إحدى الفتيات للزواج منها إلا وترفضها أمي. فقال له الصديق: أرى أن تختار فتاة تشبه أمك في المظهر والجوهر، وبذلك تضع حداً لمشكلتك مع أمك. وبعد مدة أخبر الشاب صديقه بأنه وجدها. فقال له الصديق: حسناً فعلت. فقال الشاب عندئذ: ولكن هذه المرة لم ترفضها أمي، بل رفضها أبي.

كما مات أبو خارجة

كان أحد الأعراب يطوف حول البيت ويدعو: اللهم ميتة كميتة أبي خارجة! فقالوا له: وكيف مات أبو خارجة؟ قال: أكل خروفاً مشوياً حتى شبع، ثم شرب من ماء زمزم حتى ارتوى، ثم ذهب ونام في الشمس فمات، فلقي الله شبعان، ريان، دفيئاً!!

لم أمر بجهنم!

قال البحتري: كنت عند المتوكل يوما وكان بين يديه (عبادة) المضحك، فأمر به فألقي في بعض البرك أيام الشتاء، فابتل وكاد يموت برداً، ثم أُخرج من البركة، وأمر بكسوته، وجعل في ناحية من المجلس، فقال المتوكل: يا عبادة، كيف أنت؟ قال: (يا أمير المؤمنين، جئت من

الآخرة).فقال له: (كيف تركت أخي الواثق؟) قال: المعذرة يا أمير المؤمنين (لم أمر بجهنم)، فضحك المتوكل وأمر له بصلة.

المغفل في ثوب امرأته

زعموا أن مغفلا كان يرى امرأته، تضرم الحطب فتنفخ فيه حتى يشتعل، فاحتاج يوماً في بعض شأنه إلى نار، ولم تكن امرأته في دارها، فجاء بالحطب وأضرم فيه وجعل ينفخ، وكان الحطب رطباً، فدخن ولم يشتعل، ففكر المغفل قليلاً، ثم ذهب ولبس ثوب امرأته وعاد إلى النار، وكان الحطب قد جف، فلم يكد ينفخ فيه حتى اشتعل وتضرم، فأيقن أن النار تخاف امرأته، وأنها لا تتضرم إلا إذا رأت ثوبها.

لست وحدك ابن حنبل

قال جعفر بن الطيالسي: "صلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهما قاص (محدث) فقال: حدثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين قالا: أنبأنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله، يخلق من كل كلمة منها طائر، منقاره من ذهب، وريشه مرجان، وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به إلا هذه الساعة، فسكتا حتى فرغ من قصصه

فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله، فإن كان ولا بد من الكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، وما علمته إلا هذه الساعة، فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين. وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا، قال: فوضع أحمد كمه على وجهه. وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما.

الطماع المغفل

بعث المنصور إلى أحد ولاته أن يوزع ما لديه من أموال على أصناف ثلاثة من الناس وهم: القواعد، والعميان، والأيتام. فجاء أعرابي وابنه إلى الوالي وقال: لقد سمعت أن أموالا ستوزع على أصناف ثلاثة من المحتاجين، فاكتبني في قائمة القواعد، فقال الوالي: إن القواعد هن النساء اللواتي ليس لهن أزواج ولا أولاد! فقال: إذن اكتبني مع العميان، فقال الوالي: اكتبوه مع العميان لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾. ثم قال الأعرابي: واكتب ابني في قائمة الأيتام، قال الوالي: سأفعل ذلك؛ لأن من كنت أنت أباه فهو يتيم!

النحوي البخيل

جاء أعرابي إلى نحوي يتغدى، فسلم عليه، فلم يرد السلام، ثم أقبل على الأكل ولم يعزمه، فقال الأعرابي: لقد مررت بأهلك. فقال: كذلك كان طريقك. قال: وامرأتك حبلى. قال: كذلك عهدي بها، قال: وقد ولدت، قال: كان لا بد لها أن تلد، قال: ولدت غلامين، قال: كذلك كانت أمها. قال: مات أحدهما، قال: ما كانت لتقوى على رضاع اثنين. قال: ثم مات الآخر، قال: ما كان ليبقى بعد موت أخيه. قال: وماتت الأم. قال: حزناً على ولديها. قال: ما أطيب طعامك، قال: لأجل ذلك أردت أن آكل وحدي.

الخصم العنيد

كان خالد بن عبد الله القسري مشهوراً بالكرم، فصادف ذات يوم في طريقه رجلاً رثُّ الثياب، فقال الرجل: استحلفك بالله يا سيدي، أن ترأف لحالي وتضرب عنقي بسيفك، فقال: يا رجل، هل فعلت شيئاً يستوجب القتل؟ فبكى الرجل وقال: لا يا سيدي، لكن ضاقت بي الدنيا، بسبب خصم عنيد يطاردني من مكان إلى آخر، ألا وهو الفقر. فقال خالد: فكم من المال يكفيك لتتخلص من فقرك؟ قال: أربعة آلاف درهم، ثم أخذه إلى البيت وأعطاه أربعة آلاف درهم، ثم قال خالد لأصحابه: إن خالداً ربح

اليوم ستة وعشرين ألف درهم، إذ عندما لقيت هذا الرجل قررت في نفسي أن أعطيه ثلاثين ألف درهم، ولكنه طلب مني أربعة آلاف درهم فقط، فوفر علي ستة وعشرين ألف درهم، فلما سمع الرجل ذلك قال: يا سيدي لا يليق برجل كريم مثلك أن يربح من فقير مسكين مثلي ستة وعشرين ألفاً دفعة واحدة، فضحك خالد وأعطاه بقية المبلغ.

أكرم بقعة

نزل عبد الله بن جعفر عند أعرابية فقيرة لا تمتلك إلا دجاجة، فذبحتها وجاءته تقول: يا أبا جعفر، هذه دجاجة كنت أعلفها من قوتي، وألمسها آناء الليل كأنما ألمس ابنتي، ونذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة، فلم أجد البقعة المباركة إلا في بطنك، فضحك عبد الله، وأمر لها بخمسمائة درهم ونعجة وكبش.

أعرابي يسمي الخلفاء الراشدين

طُلب إلى أعرابي أن يذكر أسماء الخلفاء الراشدين، فقال: أبو بكر بن الخطاب، وعمر بن عفان، وعثمان بن أبي طالب، وعلي الصديق!!

المنصور والمال

عرف المنصور (أبو جعفر) أنه كان شديد الحرص على المال العام، بارعاً كل البراعة في ابتكار الأساليب لجمعه والحصول عليه، فعمل

للكوفة والبصرة خندقاً وسوراً، وقرر أن يجمع نفقاتهما من الأهلين، ورغب ألا يفوته أحد منهم، فأمر بأن يمنح كل فرد فيهما خمسة دراهم، فتقدموا جميعا لأخذ هذه الدراهم و بذلك تمكن من حصر عددهم، ثم أمر بأن يجبى من كل واحد أربعون درهما، فقال الشاعر:

يـــا لقـــوم مـــا لقينـــا مـــن أميـــر المؤمنينـــا

قسّـــم الخمســـة فيـــنا وجبـــانا أربعيـــنا

حذاء الطنبوري

عاش في بغداد رجل بخيل يدعى أبو قاسم الطنبوري، وكان له حذاء قديم، وقد اشترى بماله عطوراً وعبأها في زجاجات، ووضعها على الرفوف لكي يبيعها عندما ترتفع أسعارها، فطلب منه صديق أن يلقي بحذائه في النهر ثم يشتري له حذاءً جديداً ويضعه له أمام الحمام، وعندما ألقى الصيادون شباكهم في النهر وجدوا حذاء أبي القاسم، فذهبوا به إلى بيته فلم يجدوه، فألقوا الحذاء من نافذة مفتوحة، فسقط على زجاجات العطر وتحطمت جميعها وعندما خرج من الحمام، وجد حذاءً جديداً فلبسه ظاناً أن صديقه قد اشتراه له، وإذا بالشرطة تطرق بابه وتقوده إلى السجن لأنه سرق حذاء القاضي وعندما خرج من سجنه أراد أن يتخلص من الحذاء فحفر حفرة بجانب جدار جاره ليدفنه، فظن جاره أن أحداً ينقب جدار بيته ليسرقه، فاشتكى عليه فسجن ودفع غرامة، وعندما خرج من سجنه وضعه

في بالوعة مفتوحة في الفندق، ففاض الماء وخرجت منه رائحة كريهة، فاشتكوا عليه، فسجن ودفع غرامة، وعندما خرج من سجنه غسله ووضعه على سطح بيته ليجف، فجاء طائر وحمله: فسقط منه على رأس رجل في الشارع، فشج رأسه فقام بدفع تعويض ومداواة الرجل. فحمل أبو قاسم هذا الحذاء وذهب إلى القاضي وقال: إن هذا الحذاء قد بدد ثروتي وجعلني أضحوكة بين الناس، فأنا بريء منه ومهما يصدر عن هذا الحذاء لست مسؤولا عنه ولا أحاسب عليه. فضحك القاضي وعوض عليه بعض ماله.

الطحان والحمار

وقف معاوية بن مروان، وكان من الحمقى على باب طحان، فرأى حماراً يدور بالرحى وفي عنقه جرس، فقال للطحان: لماذا جعلت الجرس في عنق الحمار؟ فقال: ربما أدركتني سآمة أو نعاس، فإذا لم أسمع صوت الجرس، علمت أنه وقف فصحت به فانبعث. فقال الأمير: أفرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجرس هكذا وهكذا. فقال له الطحان: ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير!.

أنسيت أمر القاضي؟!

ركبت رجلا في بغداد ديون كثيرة وهو مفلس، فطلب القاضي ألا يقرضه أحد، ومن أقرضه فليصبر عليه ولا يطالبه بدينه، وأمر القاضي بأن

يطوفوا بالرجل بالأسواق ليعرفه الناس ويحذروا من معاملته، فاستأجر الرجل بغلاً يركبه لهذه المهمة، فلما فرغ من الطواف في البلد ووصل إلى باب داره، وأراد أن ينزل قال له صاحب البغل: أعطيني أجرة بغلي، فقال له: يا أحمق، في أي شيء كنا منذ الصباح.

خداع وآمال

جيء بصندوق مقفل من خزائن كسرى إلى الحجاج ففتحه، فوجد فيه صندوقا آخر مقفلا، فقال: من يشتري هذا الصندوق بما فيه، ولا أدري ما فيه، فاشتراه أحد الحاضرين (وكان مغامرا متهورا) بخمسة آلاف دينار، وعندما فتحه وجد فيه ورقة مكتوبا عليها: "من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل!!".

أينشتاين يشرح النظرية النسبية لسيدة

دعي آينشتاين إلى حفل أقامته أحدى السيدات، وفي أثناء الحفل، طلبت إليه أحداهن أن يشرح لهن نظرية النسبية، فروى القصة التالية: سرت مرة مع رجل مكفوف البصر، فذكرت له أنني أحب اللبن فسألني: ما هو اللبن؟

فقلت: إنه سائل أبيض.

فقال: إنني أعرف ما هو السائل، ولكن ما هو اللون الأبيض؟

قلت: إنه لون ريش البجع.

قال: أما الريش فإنني أعرفه، ولكن ما هو البجع؟

قلت: إنه طائر برقبة ملتوية.

قال: أما الرقبة فأنني أعرفها، ولكن ما معنى ملتوية؟.

عندئذ أخذت ذراعه ومددتها، ثم ثنتها، وقلت له: هذا معنى الالتواء.

فاقتنع وقال: الآن عرفت ما هو اللبن!

ثم التفت إلى السيدة وقال: ألا تزالين ترغبين في معرفة ما هي النظرية النسبية؟!

حافظ إبراهيم في ضيافة سعد زغلول

كان الدكتور محجوب ثابت وحافظ إبراهيم في ضيافة سعد زغلول، واتفق أن روى الدكتور محجوب حلماً رآه في النوم بقوله: رأيتني راكباً جملاً كبيراً ومن خلفي عدد كبير من الحمير، ثم جاءني رجل معه رسالة من كبير، فسلّمني إياها. فنظر سعد إلى حافظ وقال له: فسِّر يا حافظ. فقال حافظ: أما الجمل فهو كرسي النيابة البرلمانية، وأما الرسالة فهي تكليف من أولي الأمر لمحجوب بتولي وزارة الصحة، وأما الحمير فهم أولئك الذين انتخبوه نائبا!!

أحمق من هبنقة

هو يزيد بن فروان القيسي. قيل: أن هبنقة جعل قلادة من ودع وعظام وخزف في عنقه، فسئل عن ذلك؟ فقال: لكي أعرف نفسي بها لئلا أضل، فنزعها أخوه ذات ليلة من عنقه ووضعها في عنقه، فلما أصبح هبنقة ورآها في عنق أخيه قال: إذا كنت أنت أنا، فمن أكون أنا إذن؟!

الخليفة وغلامه الأحمق

يقال: كان لأحد خلفاء بني العباس غلام شديد الحمق، فقال له يوما: أتذكر أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة؟ ففكر الغلام قليلاً ثم أجاب: كان الأغلب يا مولاي أنه يوم الثلاثاء!.

بنو طفاوة وبنو راسب

قيل: أنه اختصم إلى هبنقة بنو طفاوة وبنو راسب في رجل ادَّعى كل منهما إنه ينتمي إليهم، فقال هبنقة: ألقوه في دجلة، فإن رسب فهو من بني راسب، وإن طفا فهو من بني طفاوة. فقال الرجل: ويلكم دعوني، فإني لا أريد الانتساب إلى هاتين القبيلتين وولّى هارباً.

بعير هبنقة

وذات يوم فقد هبنقة بعيراً له، فأخذ ينادي في الناس: من وجد بعيري فهو له، فقيل له: فلم تبحث عنه إذن؟ فقال: فأين حلاوة الوجدان!

أطمع من أشعب

أشعب رجل طماع من أهل المدينة اسمه جبير، سأله سالم بن عبد الله: ما بلغ من طمعك يا أشعب؟ قال: ما نظرت قط في اثنين يتسارّان في جنازة إلا قدّرت أن الميت قد أوصى لي بشي من ماله، وما أدخلَ أحدٌ يده في كمه إلا ظننت أنه أعطاني شيئا.

لم السؤال عن مالي؟

خطب أبو القطوف إلى قوم امرأة لهم فأجابوه، وقالوا إن لها من الضياع خمساً ومن البيوت عشرة، ومن الأموال عشرين ألف دينار، ومن الذهب والفضة الكثير، فما مالك أنت؟ قال: إن كنتم صادقين فإن مالها هذا يكفيني وإياها ما عشنا ويزيد، فما سؤالكم عن مالي؟!

أشأم من طويس

طويس رجل من أهل المدينة، مولى لبني مخزوم، واسمه عيسى بن عبد الله. وهو أول من أظهر المجون بالمدينة وكان مغنيا يضرب بالدف،

يضرب به العرب المثل في الشؤم. سئل عن مولده فقال: ولدت يوم مات رسول الله ﷺ، وفطمت يوم مات أبو بكر الصديق، وختنت يوم قتل عمر بن الخطاب، وتزوجت يوم قتل عثمان بن عفان، وولد لي ولد يوم قتل علي بن أبي طالب؛ ولهذا فيقولون في أمثالهم: أشأم من طويس.

ورّاق يصف حالته

قال الجاحظ: سألت وراقاً عن حاله، فقال: عيشتي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سواداً من الحبر بالزجاج، وحظي أخفى من شق القلم، ويداي أضعف من قصبة، وطعامي أمض من الحبر، وشرابي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم بي من الصمغ، وقلت: لقد عبرت ببلاء عن بلاء.

يتشممون الأماني

اكترى (استأجر) ابن أبي عتيق داراً جديدة، وجلس مع زوجته يتحدثان. فقال لزوجته: تمنيت أن يُهدى إلينا شاة سُلخ جلدها، فنتخذ من الطعام لون كذا وكذا. فسمعتها جارة لها، فظنت أن أبي عتيق أمر بعمل ما سمعت، فانتظرت إلى أن حان وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب، وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها. فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الأماني.

فُطر على البذل

حكي أنه لما مات حاتم الطائي تشبّه به أخوه، فقالت له أمه: يا بني، أتريد أن تحذو حذو أخيك، فإنك لن تبلغ ما بلغه، فلا تتعبن فيما لا تناله. فقال: وما يمنعني، وقد كان شقيقي وأخي من أمي وأبي؟! فقالت: إني لما ولدته، كنتُ كلما أرضعته، أبى أن يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدي الآخر، وكنتَ إذا أرضعتك ودخل صبي بكيتَ حتى يخرج!!

نربح الأجرة خارج البيت

أراد أحدهم أن يستأجر منزلاً من أحد البخلاء، فلما حضر الرجل للمعاينة، سأل صاحب البيت قائلاً: أين المطبخ؟ فقال: في الجيران من يطبخ لك. قال: وأين المخبز؟ قال: سمعت أن جارك فلان قد صنع تنوراً جديداً وهو لا يمانع أن تخبز عنده. قال: وأين المرتقى إلى السطح؟ قال: أمام باب البيت ساحة نظيفة يطيب النوم بها. قال: إن كانت حوائج المنزل كلها خارجه، فنحن خارجون ونربح الأجرة.

قبل أن يحترقوا

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة من أصحابه إلى البادية للصيد والقنص، فلقيهم أحد الأعراب ممتطياً جواداً أشهب، فأوقفه عمر وقال

له: ما اسمك؟ قال: شهاب. قال: أبو من؟ قال: أبو جمرة. فقال من أين أنت؟ قال: من بني حرقة ثم من بني ضرام. قال: أين مسكنك؟ قال: في ذات لظى. قال: ما اسم جوادك؟ قال: سعير. قال: أدرك أهلك قبل أن يحترقوا!

حصاة المسجد

سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها المصلي في ثوبه أو خفة عالقة بجبته، فقال له: ارم بها. فقال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى مكانها في المسجد. فقال عمر: دعها تصيح حتى ينشق حلقها. فقال الرجل: سبحان الله! ولها حلق؟! فقال له عمر: فمن أين تصيح؟!

من الغاوين

نظر طُفيلي إلى قوم ذاهبين فلم يشك قط في أنهم ذاهبون إلى وليمة فتبعهم، فإذا هم شعراء السلطان جاءوا بمدائح لهم. فأنشد كل منهم شعره وأخذ جائزته، ولم يبق إلا الطفيلي، وهو جالس ساكت. قيل له: أنشد شعرك يا أخا العرب. فقال: لست بشاعر. فقيل له: إذن فمن أنت؟ فقال: من الغاوين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾. فضحك منه السلطان وأجازه.

أبو العيناء يروي الحديث

غضب الخليفة عبد الملك بن مروان على أبي العيناء بسبب كثرة ضحكه وتهريجه، وقال له: ألا تحفظ شيئاً من أحاديث رسول الله ﷺ.

فقال: نعم

قال الخليفة: هات ما عندك.

قال: روى لي أبي عن جدي، أن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه دخل الجنة، ثم سكت.

فقال له الخليفة: أين الخصلتان؟

فقال: أما الأولى فقد نسيتها، وأما الثانية فقد نسيها جدي!

الطاعة لولي الأمر واجبة

كان أبو نواس خارجاً من دار الخلافة فتبعه الرقاشي الشاعر وقال له: أبشر أبا علي، إن الخليفة قد ولاك في هذه الساعة ولاية. قال أبو نواس: وما هي، ويلك؟ قال الرقاشي: ولاك على جزيرة القردة والخنازير. قال أبو نواس: إذن عليك السمع والطاعة!!

نقش صورة الشيطان

كان الجاحظ واقفاً أما بيته، فمرت به امرأة، وقالت: لي إليك حاجة.

فقال الجاحظ: وما حاجتك؟

قالت: أريدك أن تذهب معي.

قال: إلى أين؟

قالت: اتبعني.

فتبعها الجاحظ إلى أن وصلا إلى دكان صائغ، وهناك قالت المرأة للصائغ: مثل هذا! ثم انصرفت. عندئذ سأل الجاحظ الصائغ عن قصة هذه المرأة. فقال له: المعذرة ياسيدي! لقد أتتني هذه المرأة بخاتم، وطلبت مني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها: ما رأيت شيطاناً في حياتي، فقالت أنا أتيك به، وجاءت بك!

أبليت حذاءك

خرج بخيل وابنه في المساء لقضاء السهرة عند أحد الأصدقاء، وفي منتصف الطريق عرف الرجل أن ابنه ترك المصباح مضيئاً ولم يطفئه عند مغادرة المنزل. فقال له: لقد خسرنا بإهمالك هذا درهما.. وأمره بالعودة إلى المنزل ليطفئ المصباح. فعاد الولد إلى المنزل وأطفأ المصباح، ثم رجع إلى أبيه، فابتدره أبوه قائلاً: إن خسارتنا هذه المرة، أكبر من خسارتنا في المرة السابقة، فقد أبليت من حذائك ما يساوي درهمين. فأجاب الولد قائلاً: اطمئن يا أبي، فقد ذهبت إلى المنزل وعدت حافياً.

تخليل اللحية

سأل رجل الشعبيَّ عن المسحِ على اللحية، فقال له الشعبيُّ: خللها، قال الرجل: أخاف أن لا تبتل. فقال له الشعبي: إذا انقعها من أول الليل!

تزوج امرأة عرجاء

جاء رجلٌ إلى الشعبي وقال: أني تزوجت امرأة فوجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟

فقال الشعبي: إن كنتَ تريد أن تسابق بها فردها!

أبو لهبٍ عمه وأم جميل عمته

قال معاوية ﷺ يوماً لأهل الشام مازحاً، وعنده عقيل بن أبي طالب ﷺ: هل سمعتم قول الله عزّ وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. فقال الحضور: نعم سمعنا، فقال معاوية إن أبا لهبٍ عمَ هذا الرجل، وأشار إلى عقيل.

فقال عقيل: هل سمعتم قول الله عزّ وجل: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾. فقال الحضور: سمعنا. فقال عقيل: حمالة الحطب عمة هذا الرجل، وأشار الى معاوية.

إلى أين أتجه؟

جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة النعمان وقال له: إذا نزعتُ ثيابي ودخلتُ النهر أغتسل، فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له الإمام: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسرق!

عدو الخبز

بشَّرت امرأة زوجها البخيل أنّ ابنه قد أثغر[1]، فقال لها: أتبشرينني بعدو الخبز، ويحكِ! الحقي بأهلك فإنك طالق!

مريض يتقعر

مرض رجلٌ من أهل النحو، وكان مولعاً باللغة والسجع، فعاده جاره في مرضه وسأله: ما بكَ؟

فقال النحوي: حمى جاسية[2] (شديدة)، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية!

فقال له جاره وكان أمياً: لا شافاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية!

---

(١) أثغر: أخرج أسنانه.

(٢) حاسية: شديدة.

خوف الغرق

سأل بعضُ الإعراب رجلاً عن اسمه فقال: بحر.

قال: ابن من؟ قال: ابن فياض.

قال: ما كنيتك؟ قال: أبو الندى.

فقال الأعرابي: لا ينبغي لأحدٍ لقاؤك إلا في زورق!

يحرس مكان الإمام

عن أبي العيناء قال: كان المدنيّ في الصف من وراء الإمام، فذكر الإمام شيئاً (أي طرأ عليه ما يمنعه من إتمام الصلاة) فقطع الصلاة وقدَّم المدنيّ ليؤمّهم، فوقف المدنيّ طويلاً (دون أن يكمل الصلاة)، فلما أعيا الناس سبّحوا له (لكي ينبّهوه) وهو لا يتحرك، فنَحَّوُه وقدّموا غيره، فعاتبوه، فقال: ظننت الإمام يقول لي: احفظ مكاني حتى أجيء.

أحمق منهما

حُكي أن أحمقيْنِ اصطحبا في طريق، فقال أحدهما للآخر: تعالَ نتمنَّ على الله، فإنَّ الطريقَ تُقطعُ بالحديث. فقال أحدُهما: أنا أتمنّى قطائع غنم أنتفعُ بلبنِها ولحمها وصوفِها. وقال الآخر: أنا أتمنّى قطائعَ ذئابٍ أرسلُها على غَنمِكَ حتى لا تتركَ منها شيئاً. قال: ويحكَ! أهذا من حقِّ الصحبةِ وحُرمة العشرةِ؟! فتصايَحا، وتَخاصَما، واشتدّت الخصومةُ بينهما حتى تماسكا بالأطواق، ثمَّ تراضَيَا أنَّ أولَ منْ يطلعُ عليهما

يكونُ حكَماً بيْنهما، فطلع عليهما شيخٌ يقود بغلاً عليهِ زقَّانِ منْ عسل، فحدّثاه بحديثِهما، فأنزل الزّقّين وفتحهما حتى سال العسل على التراب، وقال: أسال اللهُ دمي كما أسلت قِدري العسلِ إنْ لمْ تكونا أحمقين!

أي الأشياء خير للمرء

قيل لحكيم: أي الأشياء خير للمرء؟ قال: عقل يعيش به قيل: فإن لم يكن، قال: فإخوان يسترون عليه، قيل: فإن لم يكن، قال: فمال يتحبب به إلى الناس، قيل: فإن لم يكن، قال: فأدب يتحلى به، قيل: فإن لم يكن، قال: فصمت يسلم به، قيل: فإن لم يكن، قال: فموت يريح منه العباد والبلاد.

مصيبتان

خطب أحد الولاة في رعيته فقال: أيها الناس، احمدوا الله فإني منذ وليتكم ذهب عنكم الطاعون. فقال أحدهم: الله أكرم من أن يجمع علينا مصيبتين: الطاعون وأنت.

القتال في سبيل المجد

قال أحد القادة البروسيين لنابليون متفاخراً: نحن نقاتل في سبيل المجد، أما أنتم فتقاتلون في سبيل المال، صمت نابليون قليلا ثم قال: نعم كلٌّ يقاتل في سبيل ما ينقصه!

غيرة على الملك

تعثّر خادم فوقع شيء من الطعام على ثياب الملك، فأمر الملك بقطع رأس الخادم! فما كان منه إلاّ أن كبّ جميع ما كان في الصحن على ثياب الملك! فاخرج الحرس سيوفهم وغضب الملك غضباً شديداً، وقال للخادم: ويحك سأميتك شر ميتة. أتتحداني؟! فقال الخادم: فعلت ذلك يا مولاي غيرة على ملك البلاد؛ لئلا يقول الناس قتله بغير ذنب، بهذا أصونه وأقيم له عذرًا وأحفظ مكانة الملك بين الشعب حبا في هذه البلاد. فسره جوابه وعفا عنه.

حزن جحا لموت حماره

ماتت امرأة جحا فلم يأسف عليها كثيراً، وبعد مدة مات حماره فظهرت عليه علائم الغم والحزن. فقال له بعض أصدقائه: عجباً منك، ماتت امرأتك من قبل ولم تحزن عليها هذا الحزن الذي حزنته على موت الحمار.

فأجابهم: عندما توفيت امرأتي حضر الجيران وقالوا لا تحزن فسوف نجد لك أحسن منها، وعاهدوني على ذلك، ولكن عندما مات الحمار لم يأت أحد يسليني بمثل هذه السلوى... أفلا يجدر بي أن يشتد حزني؟!

جحا فوق وجحا تحت

كان جحا في الطابق العلوي من منزله، فطرق بابه أحد الأشخاص، فأطل من الشباك فرأى رجلا، فقال: ماذا تريد؟ قال: انزل إلى تحت لأكلمك، فنزل جحا، فقال الرجل: أنا فقير الحال أريد حسنة يا سيدي، فغضب جحا منه ولكنه كتم غضبه، وقال له: اتبعني. وصعد جحا إلى أعلى البيت والرجل يتبعه، فلما وصلا إلى الطابق العلوي التفت إلى السائل وقال له: الله يعطيك ويرزقك. فأجابه الفقير: ولماذا لم تقل لي ذلك ونحن تحت؟ فقال جحا: وأنت لماذا أنزلتني ولم تقل لي وأنا فوق؟!

جحا في محل الفطائر والحلوى

دخل جحا أحد المحلات التي تبيع الحلوى والفطائر، وطلب من البائع أن يعطيه قطعة من الحلوى. فلما تذوقها لم تعجبه، فطلب من البائع أن يستبدلها بقطعة من الفطير. أخذ جحا قطعة الفطير، وانصرف دون أن يدفع ثمنها. فنادى البائع على جحا وقال له: لم تدفع ثمن الفطيرة يا جحا!

فقال جحا: ولكنني قد أعطيتك قطعة الحلوى بدلاً منها!

فقال البائع: ولكنك لم تدفع ثمن الحلوى أصلاً!

وقال جحا: وهل أخذت الحلوى وأكلتها حتى أدفع ثمنها؟!

جحا يحمد الله على ضياع حماره

ضاع حمار جحا يوماً فأخذ جحا يصيح وهو يسأل الناس عنه: ضاع الحمار، والحمد لله.

قيل له: فهل تحمد الله على ضياعه؟!

قال: نعم، لو أنني كنت أركبه لضعت معه، ولن أجد نفسي.

جحا والوالي

سأل الوالي جحا يوما (وكان جحا يكره الوالي لأنه متسلط وجائر): في العهد العباسي كانوا يلقبون رؤساءهم ألقاب كثيرة مثل: الموفق بالله، والمتوكل على الله، والمعتصم بالله، فلو كنت أنا واحداً منهم فماذا كانوا يلقبونني؟ فأجاب جحا على الفور: (العياذ بالله) يا سيدي!

جحا خطيباً

صعد جحا على المنصة ليخطب في الناس وقال: يا قوم، أتعرفون ماذا سأقول لكم؟

قالوا: لا.

قال: وكيف أخاطب قوماً لا يعلمون؟ ونزل عن المنصة وغادر المكان.

ثم جاؤوا به مرة ثانية ليخطب فيهم، فصعد ثم قال: أتعوفون ماذا سأقول لكم؟

قالوا: نعم، نعرف.

قال: الحمد لله أنكم تعلمون، فما حاجتكم إلى قولي، ونزل ثم غادر.

فاحتج الناس على ما بدر من جحا واتفقوا أن ينقسموا إلى قسمين: قسم يعرف وقسم لا يعرف، وجاؤوا به مرة ثالثة، فصعد جحا المنصة وقال: أتعرفون ماذا سأقول لكم؟

فقال قسم منهم: نعم، نعرف، وقال القسم الآخر: لا نعرف. فقال: إذن الذي يعرف منكم يُعلم الذي لا يعرف، ثم نزل وغادر مسرعاً!

جحا والأبراج

سئل جحا يوماً فقيل له: ما برجك يا جحا؟

فقال: برج التيس.

فقالوا له: ولكن لا يوجد بين الأبراج برج يسمى بهذا الاسم.

فقال لهم: صدقتم، ولكني عندما كنت صغيراً قالوا لي: إن برجك الجدي، ولكن لما كبر هذا الجدي أصبح تيساً!

جحا لا يجيد اللغات الأخرى

دفع أحدهم كتاباً الى جحا ليقرأه.. فعسرت عليه قراءته. ولم يعرف ما فيه وأراد جحا أن يتخلص من المأزق فسأل الرجل: من أين جاءك هذا الكتاب؟ فقال الرجل من مدينة حلب.

فقال جحا: صدقت..ومن قال لك إني أعرف القراءة بالحلبي؟!

جحا يتقدم لوظيفة معلم

تقدم جحا بطلب ليصبح معلماً في إحدى المدارس الخاصة، ولكنهم رفضوا طلبه وعاد خائباً.

فقيل له: لمَ رفضوك يا جحا؟

قال: انطبقت علي جميع الشروط إلا شرطاً واحداً.

قالوا: وما هو؟

قال: أن يجيد القراءة والكتابة!!

أشعب والمنصور

دخل أشعب يوماً إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، وكان بين يديه طبق من اللوز، فرمى إلى أشعب بحبة لوز.

- فقال أشعب: يا أمير المؤمنين، "ثاني اثنين إذ هما في الغار".
- فأعطاه حبة ثانية.
- فقال: "فعززنا بثالث".
- فرمى إليه بالثالثة.
- ثم قال: "خذ أربعة من الطير فصرهن إليك".

- فرمى إليه برابعة. وهكذا كلما جاء بآية تشير إلى عدد معين يعطيه ما يساويه من اللوز.

- فقال أشعب: "ويقولون خمسة سادسهم كلبهم".

- "سبع ليال وثمانية أيام حسوماً".

- "وكان في المدينة تسعة رهط".

- "ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة".

- "إني رأيت أحد عشر كوكباً".

- ثم قال: "إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً".

- فقال المنصور: خذ الطبق كله، ودفعه إليه.

- فقال أشعب: والله يا أمير المؤمنين، لو لم تعطني الطبق كله لقلت لك: "وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون"!

له النار ولي الدار

مات أحد المجوس وكان عليه دينٌ كثير، فقال بعض غرمائه لولده: لو بعت دارك ووفيت بها دين والدك..

فقال الولد: إذا أنا بعت داري وقضيت بها عن أبي دينه، فهل يدخل الجنة؟

فقالوا: لا!

قال الولد: إذن دعوه في النار، وأنا في الدار!

التقوى المهلكة

سكن جحا داراً، فشكا لصاحبه أنه يسمع قرقعة في سقفها، فقال صاحب الدار: لا تخف. إن السقف يسبح لله!

فقال جحا: وهذا ما أخشى، أن تدركه رقة في قلبه فيسجد علينا.

طول الآذان

كان لرجل من الأذكياء أذنان طويلتان، فأراد أحد الثقلاء أن يهزأ به، فقال له: أيها الصديق، إن أذنيك طويلتان جداً على جسم إنسان! فأجابه: صحيح أن أذني طويلتان على جسم إنسان، ولكن ألا ترى أن أذنيك قصيرتان على جسم حمار!.

عندما ينسى الطبيب أدوات الجراحة

فتح المريض الايرلندي عينيه بعد العملية الجراحية وهتف بصوت مسموع: حمداً لله. لقد انتهت العملية بخير، فقال له مريض في السرير المجاور: لا تكن مفرطاً في التفاؤل، فقد نسي الجراح "إسفنجة" في معدتي، واضطر إلى شق بطني مرة ثانية، وقال المريض الذي على يساره: وأنا أيضاً قد اضطر الجراح إلى فتح بطني مرة ثانية لأنه نسي المبضع في جوفي.

وفي تلك اللحظة فُتح باب الغرفة وأطل الدكتور الذي أجرى العملية للأيرلندي وقال: هل عثر أحدكم على قبعتي؟ فأغمي على الايرلندي!

أيهما أصدق: جحا أم حماره؟

طلب أحد الجيران من جحا أن يعيره حماره، فأجاب جحا باختصار: حماري ليس عندي في البيت. ولم يكد الجار يهم بالقيام والعودة من حيث أتى، حتى نهق حمار جحا بصوته المنكر من داخل البيت. فتوقف الجار عندئذ وأخذ يعاتب جحا لأنه كذب عليه. فغضب جحا كثيراً ثم قال: يالك من جار... أتكذبني وتصدق الحمار؟!

طفل يحرج سيدة

كانت إحدى السيدات مارة في الطريق فرأت طفلاً يدخن سيجارة، فقالت له محذرة: هل يعلم والدك أنك تدخن؟

فأجابها الطفل على الفور: وهل يعلم زوجك بأنك تكلمين الرجال في الطريق؟!

أبرياء في المحكمة

كان السجين يحاكم بتهمة سرقة الجياد، فقرأ وكيل النيابة المرافعة بلهجة شديدة، ثم سأله: أمذنب أنت أم لا! فتلوى المتهم حيرة واضطراباً وقال: ألم يؤت بنا إلى هذه المحكمة لنعرف؟.

تكاليف الزواج

سأل الصبي والده: كم يكلف الزواج يا أبي؟

قال الأب: بالتحديد لا أعرف يا بني، ولكن الذي أستطيع أن أقوله لك: إنني لم أزل أدفع تكاليف زواجي من أمك حتى اليوم!

أعمى يحمل مصباحاً

قال بعضهم خرجت في الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعاً، فقلت: يا هذا أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء؟! فقال: يا فضولي، حملتها معي لأعمى القلب مثلك، يستضيء بها فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي فيكسر جرتي!!

أحياء

سئل نحوي عن ولده وزوجته، فقال: ولدي حيّ يُرزَق، وزوجتي حيّة تسعى.

كلثوم

دخل رجل اسمه (كلثوم) على رجل فسأله الرجل عن اسمه فقال: (كلثوم).

فقال كلثوم: وأنت ما اسمك؟

فقال الرجل: (كل بصل).

أظنه موزاً

جلس أحد الندماء في مجلس الوالي صامتاً، فقال له الوالي: مالك صامت يا هذا، أتحفنا بشيء مما في جعبتك. فقال: والله يا مولاي، ليس في جعبتي شيء سوى نكتة واحدة. قال: هاتها. قال: انطلقت ذات يوم بكيس تفاح، فلقيت أحد الحمقى، وقلت له: إن عرفت ما معي في الكيس أعطيتك منه تفاحة. ففكر الأحمق ملياً ثم قال: أظنه موزاً.

فضحك الوالي وضحك كل من كان في حضرته، ثم قال الوالي: والآن أخبرنا الحقيقة، ماذا كان في الكيس فعلاً؟!

كيف مات أبوك؟

زعموا أن أشعب جلس على مائدة أحدهم وكان مغفلاً، وأراد أشعب أن يستأثر بكل الطعام، فقال للرجل: أخبرني، كيف مات أبوك؟ فأخذ الرجل يتحدث عن تاريخ أبيه، وعن رحلاته في البحر، وكيف كان يتنقل بين الموانئ إلى أن هاجت بهم الريح يوماً فقلبت مركبهم فغرق وغرق كل من كان معه في المركب... ولكن الرجل انتبه أخيراً إلى أن أشعب يأكل

بشراهة، حتى أتى على أكثر مما في الطبق، فقال: وأنت يا أشعب، كيف مات أبوك؟ فقال أشعب: فجأة.

من محاسن الصدف

سألوا أحد المغفلين: ما أحسن ما مر بك من صدف؟ فقال: من محاسن الصدف أن أبي وأمي تزوجا في يوم واحد!

لا أشبع الله بطنه

كان عمر بن الخطاب ماشيا ليلا يتفقد أحوال الناس، فلقى علقمة بن قيس، وكان رجلاً قصيراً أعشى (ضعيف الرؤية ليلاً) فحياه عمر، فظن علقمة أنه خالد بن الوليد؛ لأن كلاهما كان جسيما أصلع ضخم الصوت، فقال علقمة وهو يظن أنه يحدث خالداً: عزلك بنِ الخطاب؟ قال عمر: نعم.. قال: لا أشبع الله بطنه، فماذا عندك؟ قال عمر: ليس عندي إلا السمع والطاعة.. فلما كان الصباح دعى عمر بن الخطاب بعلقمة وخالد بن الوليد وقال لخالد: ما حديث دار بينك وبين ابن قيس البارحة؟ فقال خالد: ما قابلته يا أمير المؤمنين! فقال عمر: بل قابلته.. فأقسم خالد أنه لم يقابله، فقال علقمة لخالد: حِلّا أبا سليمان (أي أُحلك من القسم).. فضحك ابن الخطاب وأخبرهما بالأمر وقال: لأن يكون مثل هذا من ورائي خير من كذا و كذا.

علي رضي الله عنه يرد بجواب مسكت

مما يروى أن علياً رضي الله عنه جاءه رجل من أعدائه وهو في مجلسه، فأراد إحراجه، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر، فرد عليه في الحال: لأن أبا بكر وعمر كانا خليفتين عليّ وعلى أمثالي، أما أنا فخليفة عليك وعلى أمثالك! فكأنه ألقم الرجل حجراً.

بثينة وجميل

دخلت بثينة التي كان يهواها الشاعر جميل بن عبدالله بن معمر حتى اشتهر باسمها، على الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، فابتدرها قائلاً: ما الذي رآه فيك جميل حتى قال فيك هذا الشعر دون باقي النساء؟! فردت على الفور: هو ما رآه الناس فيك حتى اختاروك دون غيرك خليفة عليهم. فأعجب بردها.

ثمنه قليل مع كثرة أسمائه

قيل: إن أعرابيا صاد سِنَّوراً فلم يعرفه، فتلقاه رجل فقال: ما هذا السِنّور؟ ولقي آخر فقال: ما هذا الهر؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا القط؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الضيون؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الخيدع؟ ثم لقي

آخر فقال: ما هذا الخيطل؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الدم؟ فقال الأعرابي: أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لي فيه مالا كثيرا فلما أتى به إلى السوق، قيل له: بكم هذا؟ فقال بمائة فقيل له: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به وقال: لعنه الله، ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه!

قصة لا تنتهي

قيل: إن ملكاً وضع جائزة كبيرة لمن يحكي له قصة لا تنتهي، فانبرى كثير من المتحدثين اللبقين والثرثارين، وكانت قصصهم تنتهي بعد أيام وليال، فيفشلون في الحصول على الجائزة، حتى جاء رجل من الريف وتعهد بأن يحكي له قصة لا تنتهي! وبدأ بقصة يوسف الصديق، وكيف أنّ فرعون خزّن عنابر من الحنطة، فاهتدى اليها النمل، وبدأ القاص يقول: "جاءت النملة الأولى وأخذت حبة وذهبت، وجاءت الثانية وأخذت حبة وذهبت"، وأخذ يكرر هذا حتى ملّ الملك واعترف بأن قصته لا تنتهي، فحصل الرجل على الجائزة!.

حكم حكيم الحكماء

كان أحد حاشية السلطان يلثغ، لا يجيد حرف (الراء) بل ينطقه (غين) فأراد السلطان أن يضحك منه، وطلب إليه أن يقول العبارة التالية: (أمر أمير الأمراء أن يُحفر بئرٌ في الصحراء) كل كلمه فيها حرف الراء كي

يحرجه. فعرف أنه يكيد له، فقال عبارة مشابهة تخلو من حرف الراء تحمل المعنى نفسه: (حكم حكيم الحكماء أن يُنشأ جبٌ في البيداء). وبذلك تخلص من الإحراج.

البخيل وولده والضيف

يحكى أن أحدهم نزل ضيفاً على صديق له من البخلاء، وما أن وصل الضيف حتى نادى البخيل ابنه وقال له: يا ولد، عندنا ضيف عزيز على قلبي، فاذهب واشترى لنا نصف كيلو لحم من أجود اللحم.

ذهب الولد وبعد مدة عاد ولم يشترِ شيئاً.

فسأله أبوه: أين اللحم!!

فقال الولد: ذهبت إلى الجزار وقلت له: أعطنا أحسن ما عندك من لحم، فقال الجزار: سأعطيك لحماً كأنه الزبد.

قلت لنفسي إذا كان كذلك فلماذا لا أشتري الزبد بدل اللحم.. فذهبت إلى البقال وقلت له: أعطنا أحسن ما عندك من الزبد.

فقال: أعطيك زبداً كأنه الدبس. فقلت: إذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن أشتري الدبس. فذهبت إلى بائع الدبس، وقلت: أعطنا أحسن ما عندك من الدبس. فقال الرجل: أعطيك دبساً كأنه الماء الصافي، فقلت لنفسي: إذا كان الأمر كذلك.. فعندنا ماء صافٍ في البيت. وهكذا عدت دون أن أشتري شيئاً.

قال الأب: يا لك من صبي شاطر. ولكن فاتك شيء، لقد استهلكت حذاءك بالجري من دكانٍ إلى دكان.

فأجاب الابن: لا يا أبي.. لقد لبست حذاء الضيف.

بخيل يمتحن أولاده

قال رجل من البخلاء لأولاده: اشتروا لي لحماً، فاشتروا، فأمر بطبخة، فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده إلا عظمة وعيون أولاده ترمقه، قال: لن أعطي أحداً منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها، فقال ولده الأكبر: أشمها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلاً، قال: لست بصاحبها، فقال الأوسط: ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعام هي أم لعامين، قال لست بصاحبها! فقال الأصغر: أنا يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفُّها، فقال الأب: أنت صاحبها وهي لك، زادك الله معرفة وحزماً!!

القاضي البخيل

كان جحا في نزهة مع أصحابه، وبعد الطعام انصرفوا إلى بركة كبيرة يغسلون بها أيديهم فصادف أن زلقت رجل القاضي فوقع في البركة، فتسابق الرفاق لانتشاله قائلين: هات يدك.. هات يدك.. فلم يمد القاضي يده.. فصاح بهم جحا: لا تقولوا له (هات) فإنه لم يتعود سماعها، ثم تقدم منه وقال: خذ.. خذ يدي، فأخذ القاضي يده وأمسك بيد جحا ونجا!!

نخوة في غير محلها

قال أعرابي مررت بقوم يضربون رجلا فقلت لرجل منهم يجيد الضرب: ما قصة هذا الرجل؟ فقال: والله لا علم لي، وجدتهم يضربونه فضربته معهم لله عز وجل أبتغي الثواب.

جملي زريق وكلبي أيقاع

خرج أعرابيّ قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الأيام ورد عليه أعرابيّ من حيه فقدم إليه الطعام وكان إذ ذاك جائعاً فسأله عن أهله، وقال: ما حال ابني عمير؟

قال: على ما تحب قد ملأ الأرض والحي رجالاً ونساءً.

فقال: فما فعلت أم عمير؟

قال: صالحة أيضاً.

فقال: فما حال الدار؟

قال: عامرة بأهلها.

فقال: وكلبنا ايقاع؟

قال: ملأ الحي نباحاً.

فقال: فما حال جملي زريق؟

قال: على ما يسرك.

(وبينما كان الوالي يسأل كان الاعرابي يأكل ولا يرفع عينه عن الطعام) فالتفت الوالي إلى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الأعرابيّ ثم أقبل عليه يسأله.

وقال: يا مبارك الناصية أعد عليّ ما ذكرت.

قال: سل عما بدا لك.

فقال: فما حال كلبي ايقاع؟

قال: مات.

فقال: وما الذي أماته؟

قال: اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات.

فقال: أو مات جملي زريق؟

قال: نعم.

فقال: وما الذي أماته؟

قال: كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير.

فقال: أو ماتت أم عمير؟

قال: نعم.

فقال: وما الذي أماتها.

قال: كثرة بكائها على ابنك عمير.

فقال: أو مات عمير؟

قال: نعم.

فقال: وما الذي أماته؟

قال: سقطت عليه الدار.

فقال: أو سقطت الدار؟

قال: نعم.

فقام له بالعصا ضارباً فولى من بين يديه هارباً.

هارون الرشيد وأبو نواس

قيل: مرَّ الرشيد ذات يوم بأسواق المدينة ومعه جماعة من أتباعه، فالتقى بأبي نواس، وكان يحمل زجاجة من الخمر، فقال له: ما هذا الذي بيدك يا أبا نواس؟!

فاضطرب أبو نوّاس وأخفى الزجاجة وراء ظهره، وقال: لا شيء يا أمير المؤمنين. فقال الرشيد: ارفع يدك أيها الخبيث، فوضع الزجاجة في يده الثانية ورفع الأولى، فقال الرشيد ارفع يديك الاثنتين معاً، فتراجع إلى الحائط، فوضع الزجاجة وضغط عليها بظهره ورفع كلتا يديه، فقال له الرّشيد: تقدَّمْ يا خبيث. فقال أبو نواس: ألا تخاف الفضيحة، فلو أنِّي تحرّكتُ لانكَسَرَتْ.

- ما هذا يا أبا نواس؟

- فقال أبو نواس: لبن يا سيدي!

- اللبن أبيض، وهذا أحمر؟

- نعم يا سيّدي، لقد احمرّت خجلاً منك يا أمير المؤمنين!.

ضالّ

لقي الشاعر العباسيّ الأعمى (بشّار بن بُرد) رجلاً غريباً يسأل عن منزل أحد سكّان البصرة، فقال له بشّار: سرْ في هذا الطريق، فإنَّ صاحبك يسكن في المنزل الأخير منه.

فقال الرجل: ولكن ألا ترشدني؟

فقال بشار: أتريد من الأعمى الإرشاد؟

قال الرجل: إنّي أُمسك بيدك وأنت تقودني!

فأمسك بشّار بيده وأنشد بيته المشهور:

أَعْمَـى يَقُـوْدُ بَصِـيراً لا أبـا لَكُـمُ   قد ضَلَّ مَنْ كَانَـتِ العُمْيَـانُ تَهدِيـهِ

عنز ولو طارت

أصل المثل أن اثنين كانا يسيران في أحد الحقول فشاهدا هالة سوداء بعيدة في وسط الحقول، فقال الأول: إنها غراب، لكن الثاني وكان مكابراً أصرّ على أنها عنز، فاتفقا أن يرمياها بحجر من بعيد، فإن طارت فهي غراب وإن بقيت فهي عنز، فرمياها فطارت، فقال المكابر: عنز ولو طارت!.

ما الفرق بينك وبين الحمار؟

تقدم أحد الشباب لوظيفة ما في إحدى الدوائر الحكومية، فسأله أحد المسؤولين في التوظيف عند المقابلة: ما الفرق بينك وبين الحمار؟ وعندها ثار دمه ورد له جواب يليق به: الفرق بيني وبين الحمار هذه الطاولة التي أمامي. ويقصد الطاولة التي تفصل بينه وبين المسؤول.

عطايا الملوك

مر أحد الولاة بصبي يقرأ القرآن فسأله: في أي سورة تقرأ؟

فقال الصبي: في سورة الفتح فقال الوالي: اقرأ السورة. فقرأ الصبي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

فاستبشر الوالي ثم قال للصبي: خذ هذا الدينار.

قال الصبي: لا أستطيع قبوله!

الوالي: لِمَ يا بني؟!

الصبي: لئلا يضربني أبي.

الوالي: قل له: هذه من الوالي.

الصبي: لن يصدِّقني.

الوالي: لماذا يا بني؟!

الصبي: سيقول والدي: هذه ليست عطية الملوك.

فدهش الوالي من رد الصبي وأمر له بمبلغ كبير.

الفصل الثالث

طـرائف شعرية

الفصل الثالث
طرائف شعرية

حِلم مَعْنِ بن زائدة

لما تولى معن بن زائدة[1] إمارة العراق، وكان قد اشتهر بالحلم والكرم، أتاه أعرابي يختبر حِلمَه. فدخل عليه دون أن يؤذن له. فلما مَثُلَ بين يديه قال له:

أتذكر إذْ لحافُك جلد شاةٍ ... وإذْ نعلاك من جلد البعيرِ

قال: نعم، أذكر ذلك ولا أنساه.

قال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً ... وعلَّمَك الجلوسَ على السريرِ

قال معن: سبحانه على كل حال. يعز من يشاء ويذل من يشاء.

قال الأعرابي:

فلستُ مسلّماً ما عشتُ دهراً ... على مَعْنٍ بتسليمِ الأميرِ

قال معن: إن السلام سنة يا أخا العرب، تأتي به كيف شئت.

قال الأعرابي:

---

(١) معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني، أبو الوليد: من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي، ولاه المنصور اليمن، قتل غيلة سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨م.

سـأرحلُ عـن بـلادٍ أنـت فيهـا ولـو جـارَ الزمـانُ علـى الفقيـر

قال معن: إن أقمت فينا فمرحباً بالإقامة، وإن رحلت عنّا فمصحوب بالسلامة.

قال الأعرابي:

فَجُد لـي بشـيءٍ يـا ابـن ناقصـة[1] فـإني قـد عزمـتُ علـى المسـيرِ

قال معن: يا غلام أعطِهِ ألف دينار تخففُ عنه مشاقَّ الأسفار. فأخذها وقال:

قليـــلٌ مـــا أتيـــتَ بـــه وإني لأطمـعُ فيـك بالمـال الكثيـرِ

قال معن: يا غلام أعطه ألفاً أخرى ليكون عنا راضياً.

فأخذها الأعرابي وقال:

سـألتُ اللهَ أن يبقيـك ذُخـراً فمـا لـك في البريـةِ مـن نظيـرِ

فمنـك الجـودُ والإفضـالُ حقـاً وفـيضُ يـديك كـالبحر الغزيـرِ

فقال معن لغلامه: أعطه ألف دينار أخرى. فأخذها الأعرابي وقال: أيها الأمير، إنما جئت مختبراً حِلمَك لما بلغني عنه، فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم.

---

(١) يا ابن ناقصة بدلاً من قوله: يا ابن زائدة.

قال معن: يا غلام، كم أعطيته على نظمه؟ قال: ثلاثة آلاف دينار. قال: أعطه في نثره مثلها. فأخذها الأعرابي وذهب في طريقه شاكراً.

التربية بالقدوة

يروى أن طاووساً كان معجباً بألوانه مزهواً بجماله، أخذ يتبختر ويتمشى أمام صغاره بغنج وتمايل، فصار أولاده يقلدونه في مشيته، وفيها من مظاهر الميوعة والغنج الشيء الكثير، فصاح بهم: لماذا هذه المشية المائعة، فقالوا: يا أبانا رأيناك تتمايل فتمايلنا، ولو عدّلت مشيتك لعدلنا، فإن الواحد منا يقلد أباه في كل تصرفاته، وينشأ على ما عوده والده في كل شيء.

فقال الشاعر:

مشى الطاووس يوماً باعوجاج	فقلّد شكل مشيته بنوه
فقال عَلامَ تنحرفون؟	قالوا سبقتَ به ونحن مُقلِّدوه
فخالف سيركَ المعوجَّ واعدل	فإنا إن عدّلتَ معدِّلوه
أما تدري أبانا كل فردٍ	يجاري في الخطى من علّموه
وينشأ ناشئُ الفتيانِ منّا	على ما كان عوّده أبوه؟

كعب بن سوار يقضي بحضرة عمر

روى الزبير بن بكّار: أن امرأة أتت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه،

وهو يعمل بطاعة الله. فقال لها: نعم الزوج زوجك. فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب. فقال له كعب بن سوار الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه امرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر رضي الله عنه: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليّ بزوجها، فأتي به، فقال: إن امرأتك تشكوك، فقال: أفي طعام أم شراب؟ قال: لا في واحد منهما، فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيمُ رُشْدُهُ ... ألْهَي خليلي عن فِراشِي مَسجِدُهُ

زَهَّدَهُ في مَضْجعي تَعبُّدهُ ... نهارُهُ وليلهُ ما يَرْقُدُه

فلستُ في أمْرِ النِساء أحمدُه ... فاقضِ القَضَاء يا كعبُ ولا تردُه

فقال الزوج:

زهّدني في فُرشِها وفي الحَجَل[1] ... أني امرؤ أذهلني ما قد نزل

في سورة النحل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جَلَل

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يا رجل ... نصيبها في أربعٍ لمن عَقَل

فأعطها ذاكَ ودع عنك العِلَل

ثم قال له: إن الله قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة. فقال عمر لكعب ﷺ: والله

(١) الحجل: جمع حجلة وهي بيت العروس وفراش الزوجية.

ما أدري من أيّ أمرَيْك أعجب، أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما! اذهب فقد وليتك القضاء بالبصرة.

الحق أنطقها والباطل أخرسه

عن قحطة بن حميد قال: إني لواقف على رأس المأمون يوماً، وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدم إليه -وقد هم بالقيام- امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فنظر المأمون إلى يحيى بن الأكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام، يا أمة الله، تكلمي بحاجتك، فقالت المرأة:

يا خير مُنتصِف يهدى له الرَّشَدُ ... ويا إماماً به قد أشرق البلد

تشكو إليك -عميد القوم- أرملة ... عُـيَ عليها فلم يترك لها سَبِدُ

وابتُزَّ مني ضياعي بعد منعتها ... ظلماً وفُرِّق مني الأهل والولدُ

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلت زال الصبر و الجلد ... عني وأقْرح مني القلبُ والكبدُ

هـذا آذان صلاة العصر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أعِدُ

فالمجلس السبت إن يُقضى الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحدُ

فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟

فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين. وأومأت إلى العباس ابنه.

فقال: يا أحمد يا ابن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم.

فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين وإنك تكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك.

فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه.

ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظلم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يوغر لها ضيعتها (يسقط عنها خراجها)، ويحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة.

فيها كَلَف وخَنَس

قال الأصمعي كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها الرشيد ثم قال: خذ جاريتك، فلولا كلف في وجهها (الكلف حمرة تعلو الوجه) وخنس في أنفها (الخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة) لاشتريتها، فانطلق بها. فلما بلغت الستر،

قالت: يا أمير المؤمنين ارددني إليك أنشدك بيتين حضراني، فردها فأنشدت تقول:

مــا ســلم الظبــي علــى حســنه كــلا ولا البــدر الــذي يوصــف

الظبــي فيــــه خــنس بــين والبــدر فيــه كلــف يعـــرف

الحجاج وحظر التجول

لما تولى الحجاج شؤون العراق أمر مرؤوسه أن يطوف بالليل، فمن وجده بعد العِشاء ضرب عنقه، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان فأحاط بهم وسألهم: من أنتم، حتى خالفتم أوامر الوالي؟

فقال الأول:

أنــا ابــنُ مــن دانــت لــه الرقــاب مــا بــين مخزومِهــا وهاشِــمها

تــأتي إليــه الرقــاب صــاغرة يأخــذ مــن مالهــا ومــن دمهــا

فأمسك عن عقابه، وقال: لعله من أقارب الأمير.

وقال الثاني:

أنا ابن الـذي لا ينـزل الدهر قِدْرِهِ وإن نزلـت يومـاً فسـوف تعـود

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمـنهم قيـامٌ حولهـا وقعـود

فتأخر عن عقابه، وقال: لعله من أشراف العرب.

وقال الثالث:

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه وقوّمها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفكُّ رجلاه عنهما إذا الخيل في يوم الكريهة ولَّت

فترك عقابه، وقال: لعله من شجعان العرب.

فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج، فأحضرهم وكشف عن حالهم فإذا الأول ابن حجام (حلاق)، والثاني ابن فوال (طاه)، والثالث ابن حائك. فتعجب الحجاج عن فصاحتهم، وقال لجلسائه: علموا أولادكم الأدب، فلولا فصاحتهم لضربت أعناقهم، ثم أطلقهم وأنشد:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيكَ محموده عن سائر النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

الحسنة بعشرة أمثالها

استدعى أحد خلفاء مصر علماء مملكته في يوم عيد لزيارته، فصادفهم شاعر في طريقهم على كتفه جرة ذاهباً إلى النيل ليملأها، فتبعهم حتى مثلوا بين يدي الأمير، فبالغ في تعظيمهم، ثم نظر إلى ذلك الرجل، والجرة على كتفه، وقال: ما حاجتك يا هذا؟

فأنشد قائلاً:

ولما رأيتُ القومَ شدوا رحالهم إلى بحركَ الطامي أتيتُ بجرتي

فقال: املؤوا جرته ذهباً، فملئت فخرج بها الرجل وفرقها على الفقراء، فبلغ ذلك الخليفة فاستحضره، وعاتبه على فعله، فأنشد ثانياً.

يجـودُ علينـا الخيـرونَ بمـالهم ... ونحـنُ بمـالِ الخيـرينَ نجـود

فأعجب الخليفة بجوابه، وأمر أن تملأ له عشر مرات، فقال الشاعر: الحمد لله، الحسنة بعشر أمثالها.

زر غباً تزدد حباً

تردد ثقيل على ظريف وأطال ترداده عليه حتى سئم منه، فقال له: من تراه أشعر الشعراء؟ فأجابه الثقيل: هو ابن الوردي بقوله:

إذا حققـت مـن خِـلٍّ وداداً ... فـزره ولا تخـف منـه مـلالا

وكـن كالشـمس تطلـع كـلَّ يـوم ... ولا تَـكُّ في زيارتـه هـلالا

فأجاب الظريف: إن الحريري أشعر منه بقوله:

لا تـزر مـن تحـب في كـل شـهر ... غيـر يـوم ولا تـزده عليـه

فـاجتلاء الهـلال في الشـهر مـرة ... ثـم لا تنظـر العيـون إليـه

وإن لم تصدقني فقد وهبتك الدار بما فيها، وخرج وهو يقول:

إذا حَـلَّ الثقيـل بـأرض قـوم ... فمـا للسـاكنين سـوى الرحيـل

فخجل الثقيل وذهب في سبيله.

إن من البيان لسحراً

خرج تميم بن جميل السدوسي على المعتصم فظفر به وأحضر له السيف والنطع[1]. وكان تميم وسيماً جميلاً. فأحب المعتصم أن يعرف أين لسانه من منظره؟ فقال له: تكلم. فقال: أما إذا أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين. يا أمير المؤمنين: جبر الله بك صَدْعَ الدين ولمَّ بك شَعَثَ[2] المسلمين، وأوضح بك سُبل الحق، وأخمد بك شهاب الباطل. إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة، وتعيي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك. وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليّ أشبههما بك وأولاهما بكرمك، ثم قال:

أرى الموتَ بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيث ما اتلفتُ

وأكبر ظني أنَّكَ اليومَ قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يفلتُ

وأي امرئ يأتي بعذرٍ وحجة وسيفُ المنايا بين عينيه مصلتُ[3]

---

(١) النطع: الجلد الذي يوضع تحت المحكوم عليه بالإعدام لامتصاص الدم بعد ضربه بالسيف.

(٢) الشعث: ما تفرق من الأمور.

(٣) مصلت: مجرد من غمده.

وما جزعي من أن أموتَ وإنني — لأعلم أن الموتَ شيءٌ موقتُ

ولكن خلفي صبية قد تركتهم — وأكبادهم من حسرة تتفتتُ

فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة — أذود الردّى عنهم وإن متّ موّتوا

وكم قائل لا يبعد الله داره — وآخر جذلان يسر ويشمتُ

فتبسم المعتصم وقال: يا جميل، قد وهبتك للصّبية، وغفرت لك الصّبوة، ثم أمر بفك قيوده، وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفرات.

الأصمعي والمنصور

عُرف عن الخليفة المنصور أنه كان لا يعطي الشعراء على شعرهم إلا إذا كانت القصائد من إبداعهم وليست من منقولهم، وكان يحتال على الشعراء بذكائه، فهو يستطيع حفظ القصيدة عندما يسمعها لأول مرة (من أول إلقاء)، وعنده عبد يحفظ القصيدة إذا سمعها مرتين، وكذلك عنده جارية تحفظ القصيدة من ثالث إلقاء.

فإذا جاء الشاعر وألقى على مسمعه قصيدة كان قد نظمها من بنات أفكاره، يقول له المنصور: إنها ليست لك، وإنني أحفظها منذ زمن، ويُسْمِعُه إيّاها، ويكون قد اتفق مع العبد والجارية أن يختبئا خلف الستار، فيقول: ولستُ وحدي الذي يحفظها، فهناك غيري يحفظها كذلك. أحضروا فلاناً العبد، وعندما يحضر يقول له المنصور: أتحفظ القصيدة

الفلانية، فيقول: نعم يا مولاي، فيقول له: أسمعنا إياها. فيسمعهم، ثم يقول: وهناك غيرنا يحفظ القصيدة كذلك. أحضروا فلانة، فيحضرونها، أتحفظين القصيدة الفلانية؟ فتقول: نعم، وترددها على أسماعهم، فيستغرب الشاعر ويعود خائباً مذهولاً. وهكذا يصنع مع جميع الشعراء. بيد أن الأصمعي أدرك الحيلة، فنظم قصيدة صعبة الحفظ، اختار ألفاظها من الحوشي والغريب، وتنكر بزي أعرابي وقاد ناقته خلفه ودخل قصر الخليفة حافياً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

- وعليك السلام يا أعرابي.

- أنا شاعر فحل من أعراب الموصل.

- أتعرف الشروط؟

- نعم، إن كانت من قولي أعطيتني وزن الذي كتبته عليها ذهباً، وإن كانت من منقولي لم تعطني شيئاً.

- قال: صدقت، قل.

فقال:

صـــوتُ صـــفيرُ البلبـــل   هـــيّج قلـــبِ الثمـــلِ

المـــاءُ والزهـــرُ معـــاً   مـــع زهـــرِ لحـــظِ المُقـــلِ

وأنـــتَ يـــا ســـيدلي   وســـيدي ومولـــلِ

فكـــم فكـــم تَيمُّلـــي   غُزيِّـــل عُقيقـــل

قطّفتَــــه مــــنْ وَجنَـــةٍ	مــن لـــثم ورد الخجـــلِ
وقلــــــت لا لا لــــــلا	وقــــد غـــدا مهـــرولِ
والخــــوذ مالـــتْ طربـــاً	مــن فعـــلِ هــذا الرجـــلِ
وولولـــــت وولولــــتْ	وَلــــيْ ولــــيْ يـــا وَيلَلــي
فقلــــــت لا تولـــــولي	وبينـــــي اللؤلــــــؤلي
قالـــت لـــه حيـــن كـــذا	انهـــض وَجُـــد بالنقـــبلِ
وفتيـــــةٌ ســــقونني	قهيـــــوةً كالعســـــلَل
شــــممتها في أنفـــــي	أزكــــى مــــن القرنفــــل
في وســـــط بســـتان حُلــــي	بـــــالزهرِ والســــرولل
والعــــودُ دنـــدن دنلـــي	والطبــــلُ طبطـــب طبلـــي
والســـــقف سقسقســــقلي	والــــرقص قــد طـــاب إلــي
شَـــو. شـــوو. وشاهشـــوا	في ورق ســــــــفرجل
وغــــردَ القمـــري يصـــيح	مــــن ملــــلٍ في ملـــلِ
فلـــــو تـــراني راكبـــاً	علـــــى حمــــار أهــزلِ
يمشــــي علــــى ثلاثـــةٍ	كمشــــية العرنجــــلِ
والنـــاس تـــرجمُ جَمَلـــي	في الســـــوق بالقَلْقَلَـــلِ
والكــــل كَـــع كَـــع كعِكَـــع	خلفـــي ومـــن حـــويللي

لكـــــن مشــــيت هاربـــــاً ــــــن خشـــــية العقنقـــــلِ

إلـــــى لقـــــاءِ ملـــــك معظّـــــــم مبجّـــــــلِ

يـــــأمر لـــــي بخلعَـــــة حمـــــــراءَ كالدَمَـــــــدملي

أجـــــرُّ فيهـــــا ماشـــــياً مبغـــــــداً للـــــــذيلي

أنـــــا الأديـــــب الألمعـــــي مـــــن حـــــي أرض الموصـــلِ

نَظَمـــــتُ قِطَعـــــاً زُخْرفـــــتْ يَعجـــــزُ عنهـــــا الأدبلـــــي

أقـــــول في مطلعهـــــا صـــــوتُ صـــــفير البلبـــــلِ

ولم يستطع الخليفة حفظها لصعوبتها ووعورة ألفاظها، فطلب العبد، فعجز، ثم الجارية فقالت: والله لم أسمع بها من قبل يا أمير المؤمنين. فقال الخليفة: إذن يا أعرابي هات الوُرَيقَة التي كتبت عليها قصيدتك. فقال: معذرة يا أمير المؤمنين لقد كتبتها على عمود رخام ورثته عن أبي، وهو معي على ظهر الناقة، ويحتاج إلى أربعة رجال ليحملوه، فانهار الخليفة، فلما أحضروه وجيء بالعمود والناس تنظر ووضع في الميزان، فأخذ كل ما في الخزنة، ولما هم بالخروج قال وزير الخليفة: أوقفه يا أمير المؤمنين. والله ما أظنه إلا الأصمعي. فأوقفوه، فقال: أمط اللثام عن وجهك يا أعرابي، فلما أماط اللثام وإذا به الأصمعي. قال له: أتفعل هذا مع أمير المؤمنين يا أصمعي؟ قال: نعم، إنك بذكائك يا أمير المؤمنين قد قطعت

أرزاق الشعراء. قال: أعد الخزنة. قال: بشرط أن تعطي الشعراء على قولهم أو منقولهم، فوافق على ذلك. ففرج الله عن الشعراء.

لا تفرقة بين الأخوين

كان لأحد تجار بغداد ولدان فتنا بغداد بحسنهما وأدبهما، فلما بلغ الأكبر أراد والده أن يحصنه كما كان يفعل التجار الورعون المحافظون على دينهم، فاشترى له جارية بألف دينار، وأخبره أن لا يعلم أخاه بذلك، ولكن حدث أن وصل الخبر إلى ابنه الأصغر عن طريق أحد معارفه، وقال له: (إن أباك خص أخاك بشيء دونك) فقال له: (بم خصه؟) قال: (بجارية اشتراها له) فقال الأصغر: (هو إليها أحوج، وأنا عنها أغنى، غير أني أشفق أن يتسع الخرق، وما علمت أن والدي فضل أحد أبنائه على الآخر منذ نشأنا، وأنا أجله عن المشافهة ولكن هات دواة وبياضاً، فكتب إليه:

ليس لي بعد إلهي	مشتكى إلا إليكا
وأخي في الفضل مثلي	وكلانا في يديكا
إنما ابناك كعينيـ	ـك فداو مقلتيكا
إن أذقت العين كحلاً	هاجت الأخرى عليكا

فابتاع الأب جارية أخرى لابنه الأصغر، وأنفذها إليه.

بين أسود وأبيض

حكي أن الحجاج بن يوسف الثقفي اشترى غلامين أحدهما أسود والثاني أبيض البشرة فقال لهما في بعض الأيام: أريد من كل واحد منكما أن يمدح نفسه ويذم رفيقه.

فقال الأسود:

ألـم تـر أن المسـك لا شـيء مثلـه ... وأن بيـاض اللفـت حمـل بـدرهم

وأن سـواد العـين لا شـك نورهـا ... وأن بيـاض العـين لا شـيء فـاعلم

فقال الأبيض:

ألـم تـر أن البـدر لا شـيء مثلـه ... وأن سـواد الفحـم حمـل بـدرهم

وأن رجـال الله بـيض وجـوههم ... ولا شـك أن السـواد أهـل جهـنم

ما لأبي حمزة لا يأتينا

كان لأبي حمزة الأعرابي زوجتان، فولدت إحداهما ابنة، فعز عليه ذلك، واجتنبها مدة وصار في بيت ضرتها إلى جنبها، فأحست به يوماً في بيت صاحبتها، فجعلت ترقص ابنتها الطفلة وتقول:

مـا لأبـي حمـزة لا يأتينـا ... يظـل في البيـت الـذي يلينـا

غضـبان ألا نلـد البنينـا ... تـالله مـا ذلـك في أيـدينا

بـل نحـن كـالأرض لزارعينـا   تنبـت مـا قـد زرعـوه فينـا
وإنمـا نأخـذ مـا أعطينـا

فعرف أبو حمزة سوء ما فعل، وراجع امرأته.

ما ترى فيما ترى؟

قال الأصمعي: أصابت الأعراب مجاعة، فمررت بأعرابي قاعد مع زوجته على قارعة الطريق وهو يقول:

يـا رب إني قاعـد كمـا تـرى   وزوجتـي قاعـدة كمـا تـرى
والـبطن منـي جـائع كمـا تـرى   فمـا تـرى يـا ربنـا فيمـا تـرى

الخليل بن أحمد والعروض

كان الخليل بن أحمد يقطع في علم العروض، فدخل عليه ولده في تلك الحالة التي لم يسبق له فيها مثيل. فخرج إلى الناس وقال: "إن أبي جن"، فدخل الناس عليه وهو يقطع العروض الذي اخترعه من بنات فكره، وأخبروه بما قال ابنه. فقال له:

لـو كنت تعلـم مـا أقـول عـذرتني   أو كنـت تعلـم مـا تقـول عـذلتكا
لكـن جهلـت مقـالتي فعـذلتني   وعلمـت أنـك جاهـل فعـذرتكا

بين الأحلام والأضغاث

يروى أن أبا دلامة دخل على المنصور فأنشده:

رأيتك في المنام كسوت جلدي ... ثيابا جمة وقضيت ديني

فصدق يا فدتك الناس رؤيا ... رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك، وقال له: لا تتحلم علي ثانية، فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه.

جائزة مؤجلة

قدم المؤمل الشاعر على المهدي بالري وهو إذ ذاك ولي عهد، فامتدحه بأبيات، فمنحه المهدي عشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور يعذله و يلومه، وطلب الشاعر، فقال له المنصور: أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع، أنشدني ما قلت فيه فأنشده قصيدته التي منها:

هو المهدي إلا أن فيه ... مشابه صورة القمر المنير

لقد سبق الملوك أبوه حتى ... بقوا ما بين كاب أو حسير

فإن بلغ الصغير مدىً كبيراً ... فقد خلق الصغير من الكبير

فقال المنصور: أحسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم يا ربيع، أعطه منها أربعة آلاف وخذ الباقي، ولما آلت الخلافة إلى المهدي حضر الشاعر ورفع له ظلامة بين رقاع المظالم، فلما قرأها المهدي ضحك، وأعاد له ما أخذ منه، وزاده أربعة آلاف درهم.

ذو أنف طويل

مر رجل ذو أنف طويل بحي من أحياء العرب فأخذوا يضحكون منه ويسخرون لطول أنفه العجيب، فقال لهم: ويحكم، والله إنني في قومي يسمونني الأفيطس[3].

فقال شاعرهم:

لك أنف يا ابن حرب ... أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلى ... وهو في البيت يطوف

وقيل أيضا في صاحب أنف طويل:

نوى بعض الأجانب مد جسر ... يقل العالمين الى بعيد

فيبلغ طوله ميلا ونصفا ... وتدعمه قوائم من حديد

بناؤه يقتضي وقتا طويلا ... ومالا ما عليه من مزيد

وهذا الجسر لم أر من لزوم ... له ما دام أنفك في الوجود

(٣) الأفيطس: تصغير أفطس وهو قصير الأنف.

في الهيجاء ما جربت نفسي

سئل أحد الشعراء عن شجاعته في الحروب، فأجاب:

أنا في الهيجاء ما جربت نفسي ... ولكن في الهزيمة كالغزال

وفجأة مر الصُّريصرُ من أمامي ... ففر والله ما واريته حالي

وهذه شيمة الشجعان مثلي ... يفر عدوهم دون نزال

بين ضرتين

تزوج أحدهم من اثنتين، وحسب أنه سيحيا حياة سعيدة معهما، ولكنه لقي عكس ما كان يأمل، فقال واصفا حاله معهما:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا ... فأنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضحى وتمسي ... تداول بين أخبث ذئبتين

رضا هذي يهيج سخط هذي ... فما أعرى من إحدى السخطتين

وألقى في المعيشة كل ضر ... كذاك الضر بين الضرتين

لهذي ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم في الليلتين

فإن أحببت أن تبقى كريماً ... من الخيرات مملوء اليدين

فعش عزبا فإن لم تستطعه ... فضربا في عراض الجحفلين

عيون المها بين الرصافة والجسر

قدم علي بن الجهم على المتوكل -وكان بدويًّا جافياً- فأنشده قصيدة قال فيها:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمناك دلوا من كبار الدلاء كثير الذنوب

فعرف المتوكل قوته، ورقّة مقصده وخشونة لفظه، وذلك لأنه وصف كما رأى، ولعدم المخالطة وملازمة البادية. فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة، فيها بستان يتخلله نسيم لطيف والجسر قريب منه، فأقام ستة أشهر على ذلك، ثم استدعاه الخليفة لينشد، فقال:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

خليلي ما أحلى الهوى وأمره أعرفني بالحلو منه وبالمرِّ!

كفى بالهوى شغلاً وبالشيب زاجراً لو أن الهوى مما ينهنه بالزجر

بما بيننا من حرمة هل علمتما أرق من الشكوى وأقسى من الهجر؟

وأفضح من عين المحب لسّره ولا سيما إن طلقت دمعة تجري

وإن أنست للأشياء لا أنسى قولها جارتها: ما أولع الحب بالحر

فقالت لها الأخرى: فما لصديقنا معنى وهل في قتله لك من عذر؟

صليه لعل الوصل يحييه وأعلمي بأن أسير الحب في أعظم الأسر

فقالت أذود الناس عنه وقلما ... يطيب الهوى إلا لمنهتك الستر

وأيقنتا أن قد سمعت فقالتا ... من الطارق المصغي إلينا وما ندري

فقلت فتى إن شئتما كتم الهوى ... وإلا فخلاع الأعنة والغدر

فقال المتوكل: أوقفوه، فأنا أخشى أن يذوب رقة ولطافة!

كثير عزة عند عبد الملك بن مروان

دخل كثير عزة على عبد الملك بن مروان، وكان كُثير قصير القامة نحيل الجسم،فقال له عبد الملك مستهزئا به: أأنت كثير عزة؟ قال: نعم. فقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: كلٌّ عند محله رحب الفناء، شامخ البناء، ثم أنشد قائلا:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد هصورُ

ويعجبكَ الطريرُ فتبتليه ... ويخلفُ ظنكَ الرجلُ الطريرُ

بغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأم الصقر مقلاة نزورُ[٣]

ضعاف الطير أطولها رقابا ... ولم تطل البزاة ولا الصقورُ

لقد عَظُمَ البعير بغيرِ لبٍ ... فلم يستغن بالعظم البعيرُ

---

(٣)الطرير: هو الشخص ذو المنظر والرواء والهيئة الحسنة. البغاث: الضعاف من الطير الذي لا يستطيع أن يصطاد. وأم الصقر مقلاة نزور يعني: هي التي تضع واحداً فقط، ثم لا تحمل بعد ذلك فهي نزور بمعنى قليل.

ينـوَّخ ثـم يضـرب بالهـراوى	فـلا غِيَـر لديـه ولا نكيـرُ
يصرّفـه الصبـي بكـل أرض	وينحـره علـى الـترب الصغيـرُ
فمـا عظـم الرجـال لهـم بفخـرٍ	ولكـن فخرهـم كـرم وخيـرُ
فـإن أكُ فـي شراركـم قليـلاً	فإنـي فـي خياركـم كثيـر

فقال عبد الملك: لله دره ما أفصح لسانه، وأضبط جنانه، والله إني لأظنه كما وصف نفسه.

الحنين إلى البادية

يحكى أن معاوية بن أبي سفيان تزوج ميسون بنت بحدل الكلبية ونقلها من بادية الأردن إلى الشام، وكانت كثيرة الحنين إلى أهلها، فأنصت معاوية يوما إليها وهي تنشد:

لبيـت تخفـق الأريـاح فيـه	أحـب إلـي مـن قصـر منيـف
ولـبس عبـاءة وتقـر عينـي	أحـب ألـي مـن لـبس الشفوف
وأصـوات الريـاح بكـل فـج	أحـب إلـي مـن نقـر الـدفوف
وكلـب ينـبح الطـراق دوني	أحـب إلـي مـن قـط أليـف
خشـونة عيشـتي في البـدو أشـهى	إلـى نفسـي مـن العـيش الطريـف
فمـا أبغـي سـوى وطنـي بـديلا	فحسـبي ذاك مـن وطـن شـريف

فلما سمع ابن أبي سفيان كلامها قال: ما رضيت بي ابنة البادية، ثم طلقها وردها إلى أهلها، وانجبت له ولده يزيد.

كأنك لم تبع وكأننا لم نشتر

من القصص الطريفة في هذا المقام ما يروى أنه قدم على علي رضي الله عنه أيام خلافته أعرابي يسأله حاجته والحياء يمنعه أن يذكرها له، فخط بعصاه على الرمل هذين البيتين:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم — تنبيك حالة منظري عن مخبري

إلا بقية ماء وجه صنته — عن أن يباع وقد أبحتك فاشترِ

فأمر له أمير المؤمنين بنصيبه من الغنيمة وقال:

وافيتنا فأتاك عاجل برنا — فاهنأ ولو أمهلتنا لم نقتر

فخذ القليل وكن كأنك لم تبع — ماء الحياء وكأننا لم نشتر

الصلاة أربع فأربع

مما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه جاءه يوما أعرابي قد أسلم، ويريد أن يتعلم الصلاة، فشرح له كيف يصلى وعدد الركعات في كل صلاة، فلم يحفظ العدد، فأعادها عليه، فلم يحفظ، فقال أحد الحاضرين: يا أمير المؤمنين، هذا رجل من البادية، ولا يفهم إلا لغة الشعر، فقال عمر: يا أخا العرب:

الصـــــلاة أربـــــع فـــــأربع

ثـــم ثـــلاث بعـــدهن أربـــع

والفجـــر ركعتـــان لا تضـــيع

ثم قال: أحفظت؟

قال: نعم، حفظت.

قال: إلحق بأهلك.

محب جائع

قيل أن أبا القماقم السّقاء عشق قينة [٣]، فبعث إليها يقول: حضر عندي إخوان لي فابعثي إلي ببعض من اللوزينج آكله على ذكرك. فبعثت إليه به، فلما كان من الغد بعث إليها: أرسلي لي بطبق من اللحم آكله على ذكرك... فقالت: جُعلت فداك، ذكروا أن منبع الحب من القلب، فإذا تناهى بلغ الكبد، وأنا أرى حبك لا يتجاوز معدتك! فقال: إنما فعلت هذا لأقوى على محبتك، ألم تسمعي قول الشاعر:

وإذا كـان في قلبـي طعـام ذكرتهـا ... وإن جعت لم تخطر ببالي ولا فكـري

ويـزداد حبـي إن شـبعت مجـدداً ... وإن جعت يوماً لم تكوني على ذكـري

(٣) قينة: أمة.

دار الخراب

قال أحد الشعراء يصف داره واسمه الجزار:

ودار خـــراب بهـــا قـــد نزلـــت ولكـــن نزلـــت الـــى الســـابعة

فـــلا فـــرق مـــا بـــين أن أكـــون بهـــا أو أكـــون في القارعـــة

تســـاورها هفـــوات النســـيم فتصـــغي بـــلا اذن ســـامعه

واخشـــى بهـــا أن أقـــيم الصـــلاة فتســـجد حيطانهـــا الراكعـــة

إذا مـــا قـــرأت إذا زلزلـــت خشـــيت أن تقـــرا الواقعـــة

الهارب من الضيف

نزل على الشاعر ابن أبي حفصة ضيف من اليمامة فأخلى الشاعر المنزل لضيفه، ثم هرب كي لا يقوم بواجب الضيافة لضيفه، فخرج الضيف إلى السوق، واشترى ما يحتاج إليه من طعام، وبعد أن عاد إلى البيت وكتب لابن أبي حفصة يقول:

يـــا أيهـــا الخـــارج مـــن بيتـــه وهاربـــاً مـــن شـــدة الخـــوف

ضـــيفك قـــد جـــاء بـــزاد لـــه فـــارجع وكـــن ضـيفاً على الضيف

من أطرف قصائد الغزل

مدرس الرياضيات

إني أحبك حب السين للصاد   فأنت للعمر تبسيط لأعداد
جمع الأحبة عندي خير مسألة   فكيف أجبر عندي كسرك العاد
في قسمة الله أرزاق لنا طرحت   ويضرب الله أمثالا لمزداد
جذر المحبة تربيع لعشرتنا   وجدول الهم عندي رائح غادِ

راعي الغنم

أهش الذئب عن عينيك بالعصا   يا خير من يمشي على الحشيش والحصى

صاحب مرآب[٣] للسيارات

لقد ملأ الهوى قلبي هواء   ونسم خاطري مسمار طرفك
تدور بي الهواجس دون جنط   على عجل أفتش حول حزمك
تحيرني عفاريت الليالي   وألقى الحل في تبديل بلفك

مدرس اللغة العربية

ولكم رفعت لأجلك المكسورا   وجزمت قولا في هواك جسورا
كيف التصرف من فعال جمعها   يثني صحيحا أو يعل صبورا

---

(٣) مرآب: تعريب كلمة كراج السيارات أو محل الميكانيكي مصلح السيارات.

حتى المنادى لست أفهم وصفه ما دمت أنصب من مناي قصورا

ساعاتي

خراشة أنت يا حلم السويعات دقيقة اللفظ تشفين الجراحات

إن كنت في السير يا عمري وصنقله فلتضبطي الوقت كم يغدو وكم يات

تأملي الدرب إما عدت ثانية فللعقارب صولات وجولات

مصور

حمضت صورتك التي أحببتها ورأيت وجهك مشرقا بفلاش

لما رأيت رؤوسها محروقة فورا نقلت لغرفة الإنعاش

تصنيف الشعراء

قال أحدهم في تصنيف الشعراء:

الشعراءُ في الزمان أربعَهْ

فشاعرٌ يجري ولا يُجرى مَعَهْ

وشاعرٌ يجولُ وسْطَ المَعْمَعَهْ

وشاعرٌ لا تشتهي أنْ تسمَعَهْ

وشاعرٌ لا تستحي أنْ تصفعَهْ

شكر مهنة الجزارة

قال أحد الشعراء الظرفاء:

كيف لا اشكر الجزارة ما عشـ ـتُ حفاظاً وارفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجّيـ ـني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

فأجابه أبو الحسين الجزّار بقوله:

حسن التأني مما يعين على رزق الفتى والحظوظ تختلف

والعبد مذ صار في جزارته يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن ظريف التضمين قوله على روي قصيدة امرئ القيس.

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال ودرّاعة لي قد عفا رسمها البالي

وما أنا مَن يبكي لأسماء إن نأت ولكنني أبكي على فقد أسمالي

لو أنّ امرأ القيس ابن حجر رأى الذي أكابده من فرط همّ وبلبال

لما مال نحو الخدر خدر عنيزة ولا بات إلا وهو عن حبّها سالي

ولا سيما والبرد وافي بريده وحالي بما اغتدت من عسره حالي

ديك هزيل

قال محمود غنيم في أحد أصدقائه حين دعاه إلى مأدبة في سفح الهرم، وذبح له ديكاً هزيلاً

يـا صـاح مالـك والكـرم البخـل طبعـك مـن قـدم

شـهدت ببخلـك ليلـةٌ قمـراء في سـفح الهـرم

تبـاً لـديكك يـا أخـي هضـم الحديـد ومـا انهضـم

ديـك هزيـل الجسـم تركلـه الجـرادة بالقـدم

في دولـة الأديـاك كـان مـن السـعاة أو الخـدم

خلنـاه في الأطبـاق رسـماً بالمـداد وبالقلـم

جلـد يحـيط بـأعظم لا لحـم فيـه ولا دسـم

حتى الكلاب تحترم الغني

قال العباس بن الأحنف بوصف المال و الغنى:

حتـى الكـلاب إذا رأت ذا ثـروة　　خضعت لديـه وحرّكـت أذنابهـا

وإذا رأت يومـا فقيـرًا عـابرًا　　نبحـت عليـه وكشـرت أنيابهـا

يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أيهـا المصلحون ضـاق بنـا العيـ　　ـشُ ولـم تحسنـوا عليـهِ القيامـا

عـزت السـلعة الذليلـة حتـى　　بات مسح الحـذاء خطبـاً جسامـا

وغـدا القـوت في يـد النـاس كاليـا　　قـوت حتـى نـوى الفقيـر الصياما

فـيظنُ الرغيـفَ في العيـدِ بـدراً　　ويظـنُ اللحـومَ أكـلاً حرامـا

صاحب الحظ السيء

قال أحد الشعراء يصف حظه السيئ:

إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه
فقلت لحفاة يوم ريح اجمعوه
فلما عجزوا عنه قلت يا قوم اتركوه
إن من يشقيه ربه كيف أنتم تسعدوه؟!

تعيش أنت وتبقى

اشترى الجزار حماراً وكانت سعادته به كبيرة، فأبى الحمار الشقي أن يسعد الجزار فمات، ولاحظ المحيطون به حزنه الشديد على حماره، وتأكد هذا الحزن أكثر بعد قراءتهم لهذا الرثاء، فواساه أحدهم ساخراً لما رآه ماشياً دون حماره، فقال الجزار ساخراً:

كم من جهول رآني — أمشي لأطلب رزقا
وقال لي صرت تمشي — وكل ماشٍ ملقى
فقلت: مات حماري — تعيش أنت وتبقى

تعزية في حمار

تلقى الجزار بعد موت حماره التعازي في فقيده الغالي وكان ممن عزاه (البوصيري) الذي قال في ذلك ساخراً:

فــلا تــأس يــا أيهــا الأديــب عليــه فللمــوت مــا يولــد
إذا أنــت عشــت لنــا بعــده كفانــا وجــودك مــا نفقــد

وواساه شاعر آخر بقوله:

مـات حمـار الأديـب فقلـت لهـم مضـى وقـد فـات فينـا مـا فاتـا
مـن مـات في عـزه اسـتراح ومـن خلّـف مثـل الأديـب مـا ماتـا

والغريب والطريف أيضاً أن هذا الحمار الذي أخذ كل هذه الشهرة بعد مماته، التي لو يدري بها لعجل بهذا الموت، كان الجزار يقول عنه وهو حي ساخراً:

هــذا حمــار في الحميــر حمــار في كــل خطــو كبــوة وعثــار
قنطــار تــبن في حشــاه شــعيره وشــعيره في ظهــره قنطــار

الجزار والشتاء

يأتي الشتاء على شاعرنا الظريف وهو لا يملك ما يدفع عنه جيوش برده، وأقصى ما يتمنى فيه هو ثوب – مجرد ثوب– يحميه من شدة البرد وغيره يلقاه بالفراء وغيره من الألبسة؛ ولذا يصرخ قائلاً:

أتلقــى الشــتا بجلــدي وغيــري يتلقــاه بــالفرا الســنجابي
وأود المشـاق والقطـن والصـوف وغيــري لــم يــرض بالعتــابي
ونهــار الشــتاء أطــول عنــدي مــن نهــار الصــيام في شــهر آب

لـو يـراني عنـد الغـدو عـدوي   لرثـى لـي ورق ممـا يـرى بـي
إذ يـرى سـائر المفاصـل منـي   راقصـات إذ صـفقت أنيـابي

في وصف المدير

يقول الشاعر إبراهيم السبيل يصف مديرا على سبيل المزاح:

خُلِقْـتُ مـديراً والإدارة في دمـي   أمثلهـا بالقلـب والـروح والفـم
وسـر نجـاحي في الإدارة أننـي   أسير على نهج صريح ومـبهم
أحكـم في كـل الأمـور وأرتضـي   مزاجـي ومـا أحـلاه مـن متحكم
أنـا مركـزي لا أطيـق تصـرف   لغيـري ولـم يعـرض عليَّ ويعلـم
ومـن كـان آليـا فـذاك مقـدم   لـدي وذو الإبـداع غيـر مقـدم
وكـل اقـتراح لـم أكـن مصـدرا لـه   يؤول إلى ركن من الدرج مظلم
ومن يك بصّاما يناسب شرعتي   ومن يرم الترفيع في الحال يبصم
وكـلّ خـدوم للـرئيس أعـزّه   ومن قدّم الخدمات للبيت يخدم
وكـل شـريك في المـزاج يروقني   وكل شريك في المصالح ملهمي
ويعجبنـي المـداح يمثـل دائمـا   أمـامي بغيـر المـدح لـم يـتكلم
وأنـزع للثرثـار عـن كـل غافـل   يبـوح بتقريـر إلـي مـنظّم
قيـاس أداء المـرء عنـدي ولاؤه   وتأييـد فعلـي أو قبـول تحكمـي
فتلـك مقـاييس برأيـي جميلـة   مبـادئ نهـج في الإدارة محكـم

على ضوئها يلقى الموظّف حظّه | على شكل تقرير لديه ململم
فيجزى بتشجيع ومنح علاوة | ويحظى بتمجيد العزيز المكرم
إلى كل أقراني أسوق مبادئي | بفضل مزاجي صرت خير معلم

وصف جلسة رومانسية

يحكى أن أحد الشعراء كان جالسا مع أصحابه يوما على صخرة وسط الماء بالقرب من الشاطئ، فطلبوا إليه أن يصف لهم شعراً هذه الجلسة الجميلة وهم في وسط الماء، فقال:

كأننا والماء من حولنا | قوم جلوس حولهم ماء!

فضحكوا لهذا الوصف، وعلق أحدهم بقوله: فسّر الماء بعد الجهد بالماء.

من الشعر العابث

قال الشاعر ابن سودون:

الأرض أرض والسماء سماء | والماء ماء و الهواء هواء
والماء قيل بأنه يروي الظما | واللحم والخبز للسمين غذاء
ويقال أن الناس تنطق مثلنا | أما الخراف فقولها مأماء
كل الرجال على العموم مذكر | أما النساء فكلهن نساء

الميم غير الجيم جاء مصحفا	وإذا كتبت الحاء فهي الحاء
مالي أرى الثُقَلاء تُكرهُ دائماً	لا شك عندي أنهم ثقلاء
الأرض أرض والسماء خلافها	والطير فيما بين ذاك يجول
وإذا تعاصفت الرياح بروضة	فالأرض تثبت و الغصون تميل
والماء يمشي فوق رمل قاعد	ويرى له مهما مشي سيلول
من نام في الماء بثوبه	تلقاه بُل وثوبه مبلول
اسمع أُخيَّ فوائداً صحت فعن	أهل التجارب كل ذا منقول

لغة الحمير

نقل عن أبي العِبر أنه كان عنده حمار فمات، فرآه في النوم ينشد شعراً يقول فيه أنه مات عشقاً، فسأله المتوكل ما الذي كان من شأنه؟ فقال: كان يا أمير المؤمنين أعقل من القضاة، ليس له هفوة ولا زلة! فاعتلّ على حين غفلة، فمات، فرأيته في النوم فقلت له، ألم أنتق لك الشعير وأبرد لك الماء، فما سبب موتك؟ فقال أتذكر إذ وقفت على باب الصيدلاني؟ قلت نعم، قال مرت إذ ذاك أتان (أنثى الحمار) فافتتنت بها ومت! فقلت وهل قلت شيئاً في ذلك؟ فقال نعم وأنشد:

هام قلبي بأتان	عند باب الصيدلاني
تيمتْني يوم رُحنا	بثناياها الحسان

وبخـــــــــــدّ ذي دلالٍ مثـــــل خــــد الشـــــيغران

بهـــا مـــتُّ ولـــو عشـــــــت إذاً طـــال هـــــواني

فقال له: يا أبا معاذ، وما الشيغران؟ قال: هذا كلام تقوله الحمير، وأنا لا أفهم لغة الحمير! فإذا رأيتم حماراً فاسألوه لعله يفسره لكم!

فضحك المتوكل ضحكاً شديداً، وأمر له بعطاء جزاء بما أبدع في هذا الخيال.

تعبير الرؤيا

دخل إعرابي على الخليفة العباسي المأمون وأنشأ يقول:

رأيـت في النـومِ أني مالـكٌ فرسـاً ولـي وصـيف وفي كفـي دنـانيرُ

فقـال قـومٌ لهـم علـمٌ ومعـرفةٌ رأيـت خيـراً وللأحـلامِ تفسـيرُ

أقصـص رؤيـاك في قصـر الأميـر تجد تحقيق ذاك وللفأل التباشيرُ

فقال المأمون: أضغاث أحلامٍ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.

الكيس الخالي

جاء رجل إلى المأمون وأنشد هذين البيتين:

حيـــاك رب النـــاس حيـــاك إذ بجمـــال الوجـــه رقـــاك

بغـــداد مـــن نـــورك أشـــرقت وأورق العـــود بجـــدواك

فرد عليه المأمون:

حيـــاك رب النــــاس حيــــاك ... إن الـــذي أملـــت قـــد أخطـــاك

أتيــت شخصــاً قــد خــلا كيســه ... ولـــو حـــوى شـــيئاً لأعطـــاك

كيف أضرب زينب!

تزوج القاضي شريح من زينب بنت حدير وكان يحبها حباً شديداً، زارته أمها ذات يوم في بيته وقالت له: أذنت لك في أن تؤدبها بكل ما تستطيع إن هي خرجت عن طوعك، ولا ترحمها في غلطةٍ صغيرةٍ كانت أم كبيرة ترتكبها، فضحك وأنشأ يقول:

رأيـتُ رجـالاً يضـربون نساءهـم ... فشُلَّت يميني يـوم أضـربُ زينبا

أأضـربها مـن غيـر ذنـب أتـت بـه ... إليَّ فما عـذري إذا كنت مذنبا؟!

فزينـبُ شـمسٌ والنسـاءُ كواكـبٌ ... إذا بـرزتْ لـم تُبـدِ منهـنَّ كوكبـا

وكـل محـب يمـنح الحـب إلفـه ... ويعـذره يومـاً إذا هـو قـد هفـا

فتـاةٌ تزيـن الحَليَ إن هـي حُلِّيـتْ ... كأنَّ المسـكَ بفيهـا خـالط مخلبا

غضوا أبصاركم عن المحارم

مرت امرأة حسناء على قوم من بني نمير يتسامرون، فقال منهم قائلٌ: أنظروا لهذه المرأة كم هي جميلة، لم أر مثلها في حياتي قط، فقالت لهم:

ويحكم يا بني نمير، لم تمتثلوا فيَّ واحدةً من اثنتين، لا قول الله عز وجل:
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ ولا قول جرير:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ ... فلا كعْباً بلغتَ ولا كِلابا

فخجلوا وانصرفوا.

تذكرت الآخرة

اشتد المرض على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في آخر أيامه، ووفد إليه الزائرون من كل صوب ليتفقدوا حاله ويخففوا عنه، فأخذته غشية طويلة ثم انتبه وهو يصيح ويصرخ ويستغيث، فجعلوا يهدئون من روعه: مالك يا ابن مروان؟ ماذا دهاك؟ فانتحب وأنشأ يقول:

تفكرتُ في حشري ويومِ قيامتي ... وإصباحِ خدي في المقابرِ ثاويا

فريداً وحيداً بعد عزٍ ومنعةٍ ... رهيناً بجرمي والتراب وساديا

تفكرتُ في طولِ الحسابِ وعرضه ... وذلِّ مقامي حين أُعطى كتابيا

ولكن رجائي فيك ربي وخالقي ... بأنك تعفو يا إلهي مساويا

فبكوا جميعاً ثم دعوا له بالمغفرة والرحمة وانصرفوا.

أيهما أشعر؟

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار، وقال لهم: ليقل كلٌّ منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس.

فبدأ الفرزدق وقال:

أنــا القطــرانُ والشــعراءُ جربــى ... وفي القطــرانِ للجربــىَ شــفاءُ

فقال الأخطل:

فــإن تــكُ زِقّ زاملــةٍ فــإني ... أنــا الطــاعونُ لــيس لــه دواءُ

فقال جرير:

أنــا المــوت الــذي آتي علــيكمُ ... فلــيس لهــاربٍ منّــي نجــاء

فقال عبد الملك: لعمري إن الموت يأتي على كل حي.

قد يدرك المتأني بعض حاجته

قال أحدهم: سافرت مرة إلى الشام عن طريق البر ومعي أعرابي استأجرت منه حماراً أركبه، ومضني طول السفر، وبطء الحمار، فأخذت أسلي نفسي بقول القطامي(1):

قـد يـدرك المتـأني بعـض حاجتـه ... وقد يكـون مـع المسـتعجل الزلـل

فقال الاعرابي: ما زاد قائل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم، وكان أولى به أن يزيد:

وربّمـا فـات قومًـا بعـضُ أمـرِهمُ ... مِن التّأنّي وكان الحزمُ لـو عجلـوا

فقلت: أناشدك الله أن تقنع حمارك بهذا الرأي لعله يسرع.

---

(1) هوالقطامي عمرو بن شييم.

وصف الغني والفقير

قال أبو العيناء في وصف الغني والفقير:

من كـان يملـك درهمين تعلمـت ... شـفتاه أنـواع الكـلام فقـالا
وتقـدم الفصـحاء فاسـتمعوا لـه ... ورأيتـه بـين الـورى مختـالا
لـولا دراهمـه التـي في كيسـه ... لرأيتـه شـر البريـة حـالا
إن الغنـي إذا تكلـم كاذبـاً ... قـالوا صـدقت ومـا نطقـت محـالا
وإذا الفقير أصاب قالوا لـم يصب ... وكـذبت يـا هـذا وقلـت ضـلالا
إن الـدراهم في المـواطن كلهـا ... تكسـو الرجـال مهابـة وجـلالا
فهـي اللسـان لمـن أراد فصـاحة ... وهـي السـلاح لمـن أراد قتـالا

بين الغني والفقير

يمشـي الفقيـر وكـل شـيء ضـده ... والنـاس تغلـق دونـه أبوابهـا
وتـراه ممقوتـا ولـيس بمـذنب ... يـرى العـداوة لا يـرى أسـبابها
حتـى الكـلاب إذا رأت ذا ثـروة ... خضـعت لديـه وحركـت أذنابهـا
وإذا رأت يومـاً فقيـراً عـابراً ... نبحـت عليـه وكشـرت أنيابهـا

نفطويه

قال أحدهم يهجو نفطويه النحوي المعروف:

أحرقــه الله بنصـف اسـمه وصـير البـاقي صـراخا عليـه

من حكم زهير ابن أبي سلمى

ومن يجعل المعروف في غير أهله يكـن حمـده ذمـا عليـه وينـدم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادتـه أو نقصـه في الـتكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلـم يبـق إلا صـورة اللحـم والـدم

وإن سـفاه الشـيخ لا حلـم بعـده وإن الفتـى بعـد السـفاهة يحلـم

وأعلـم مـا في اليـوم والأمـس قبلـه ولكنـني عـن علـم مـا في غـد عـم

غرور المعري

يُحكى أن الأديب والفيلسوف العباسي أبا العلاء المعري قال في لحظة غرور:

وإني وإن كنـت الأخيـر زمانـه لآت بمـا لـم تسـتطعه الأوائـل

فاستوقفه صبيٌ وقال له: إن الأقدمين جاؤوا بثمانية وعشرين حرفاً للغة العربية، فزدها حرفاً واحداً، فذهل المعري ولم يستطع الإجابة.

الشافعي وعاشق

روى ياقوت الحموي فقال: بلغني أن رجلا جاء الشافعي برقعة فيها:

سـل المفتـي المكـي من آل هاشـم　　إذا اشتـد وجد بالفتى ماذا يصـنع؟

فكتب الشافعي تحته:

يـداوي هـواه ثـم يكتـم وجــده　　ويصبـر فـي كـل الأمور ويخضـع

فأخذها صاحبها وذهب بها، ثم جاءه وقد كتب تحت بيته هذا البيت:

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى　　وفـي كـل يـوم غصــة يتجــرع

فكتب الشافعي:

فإن هو لـم يصبـر علـى مـا أصابـه　　فليـس لـه شيء سوى الموت أنفع

الشاعر والبخيل

يروى أن شاعراً دخل على رجل بخيل، فامتقع وجه البخيل وظهر عليه القلق والاضطراب، وظن أن الشاعر سيأكل من طعامه في ذلك اليوم وإلا فإنه سيهجوه. غير أن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل فترفق بحاله ولم يطعم من طعامه، ومضى عنه وهو يقول:

تغيـــر إذ دخلـــت عليـــه حتـــى　　فطنـت فقلـت في عـرض المقـال

علـــي اليـــوم نـــذر مـــن صـيام　　فأشـــرق وجهـــه مثـــل الهـــلال

الخطأ في رؤية هلال العيد

يروى أن ابن العميد علم أن قاضياً أفطر خطأً في أول رمضان. وصام خطأً أيضاً في أول أيام عيد الفطر، فقال فيه:

يـــا قاضـــياً بـــات أعمـــى عـــن الهـــلال الســـعيد
أفطـــــرت في رمضـــــان وصـــمت في يـــوم عيـــد

مهارة عالية وامتلاك ناصية اللغة

قال الحريري:

بنـــي استقـــم فالعـــود تنمـــي عروقـــه
قويمـــا ويغشـــاه إذا مـــا التـــوى التـــوى

ولا تطـــع الحـــرص المـــذل وكـــن فتـــى
إذا التهبـــت أحشـــاؤه بالطـــوى طـــوى

وعـــاص الهـــوى المـــردي فكـــم مـــن محلـــق
إلـــى الـــنجم لمـــا أطـــاع الهـــوى هـــوى

وأسعـــف ذوي القربـــى فيقبـــح أن يـــرى
علـــى مـــن إلـــى الحـــر اللبـــاب انضـــوى ضـــوى

وحافـــظ علـــى مـــن لا يخـــون إذا نبـــا
زمـــان ومـــن يرعـــى إذا مـــا النـــوى نـــوى

وإن تقتـــدر فاصفـــح فـــلا خيـــر فـــي امـــرئ
إذا اعتلقـــت أظفـــاره بالشـــوى شـــوى

وإيــاك والشكــوى فلــم تــر ذا نهــى

شـكا بـل أخـو الجهـل الـذي مـا ارعـوى عـوى

التصحيف في اللغة

التصحيف في اللغة، كتابتها أو قراءتها على غير وجهها الصحيح، لاشتباه في الحروف أو تغيير أو تبديل فيها. وفيما يلي، تصحيف حوَّل الهجـاء مدحـا، فاقرأها في المرتين، ترَ الفرق:

مـن رام أن يلقـى تبـاريح الكـربْ — من نفسـهِ فليأتِ أجلاف العَـرَبْ

يرى الجمال والجلال والخشب — والشَّعر والأوبـار كيفمـا انقلـب

أسـرق أهـل الأرض عـن أم وأب — وأسمج النـاس وأخـزى مـن نهـب

لا تعـرف الأقـدار فـيهم والرتـب — ولا يبـالون بـأحرار النسـب

لكن يغارون على حفظ النَـشـب[1]

وعند التصحيف تصبح أبيات الهجاء هذه مديحا كما يلي:

مـن رام أن يلقـى تبـاريح الكـربْ — من نفسـهِ فليأتِ أحلاف العَـرَبْ

يرى الجمال والجلال والحسب — والشَّعر والأوتـار كيفمـا انقلـب

أشـرف أهـل الأرض عـن أم وأب — وأسمح النـاس وأجرى مـن يهـب

لا تعـرف الأقـذار فـيهم والريـب — ولا يبـالون بـإحراز النشـب

---

(١) النشب: المال.

لكن يغارون على حفظ النَسب[1]

الوالي وقاضي مدينة قم

زار والي مدينة قم في بلاد فارس قاضي المدينة فأراد الوالي أن يمتدح القاضي فقال مخاطباً القاضي:

أيهـــا القاضـــي بقـــم ....

يريد أن يكمل سجعاً لكن الصمت منعه، فلم يستطع أن يكمل مدحاً فجاءت معه كما يلي:

أيهـــا القاضـــي بقُـــم قـــد عزلنـــاك فقُـــم

فكان أهون عليه أن يعزل القاضي من أن يقال عنه إنه لم يستطع أن يتكلم كلاماً مسجوعاً.

في البخل والبخلاء

قال أبو نواس:

أبـــو هنـــد نزلـــت عليـــه يومـــا فغـــداني برائحـــة الطعـــام

وقـــدم بيننـــا لحمـــا ســـمينا أكلنـــاه علـــى طبـــق الكـــلام

---

(١) هذه القطعة من "المقامة التغلبية" لليازجي، وهذه معاني بعض الكلمات الواردة فيها: تباريح: شدائد. أجلاف: غلاظ. أحلاف: أحزاب. الجلال: جمع جل للفرس ونحوه. الإحراز: الحفظ. النشب: الماء.

فكـان كمـن سـقى الظمـآن إلاً وكنـت كمـن تغـدى بـالكلام[1]

يقتر على نفسه

ابن الرومي يصف بخيلاً اسمه عيسى:

يقـتر عيسـى علـى نفسـه ولـيس ببـاق ولا خالـد

فلـو يسـتطيع لتقتيـره تـنفس مـن منخـر واحـد

أحمد شوقي وحافظ إبراهيم

يذكر أن شوقي وحافظ إبراهيم كانا في أحد جلسات السمر فأحبا أن يتبارزا في الشعر.

فقال حافظ:

يقولـون إن الشـوق نـارٌ وحرقـةٌ فمـا بـال شـوقي أصبـح بـارداً

فرد شوقي المتوقد الذهن والبديهة:

استـودعت إنسـانا وكلابـا أمانـةً فضيعها الإنسـانُ والكلـبُ حـافظُ

العين بالعين

وقفت امرأة قبيحة على دكان عطار، فلما نظر إليها قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾. فقالت له المرأة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾.

---

(١) معنى إل: الضوء، والسنا الساطع.

الرد الجميل

وجد الحجاج على منبره مكتوباً: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [سورة الزمر آية ٨]. فكتب تحته: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة آل عمران].

البحر لا يبتلع الثقلاء

سقط الثقيل من السفينة في الدجى

فبكى عليه رفاقه و ترحموا

حتى إذا طلع الصباح أتت به

نحو السفينة موجه تتقدم

قالت خذوه كما أتاني سالما

لم ابتلعه لأنه لا يهضم

النساء رياحين أم شياطين

مر رجل بنسوة فقال:

إن النساء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من كيد الشياطين

فأجابته واحدة منهن:

إن النســاء ريــاحين خلقــن لكــم   وكلكــم يشــتهي شــم الريــاحين

المعلم بشير والطالب النجيب

قصة طريفة حدثت أثناء فترة الامتحانات لأحد معلمي اللغة العربية واسمه بشير، فقد قام الأستاذ بشير بعد انتهاء امتحان مادة البلاغة بتصحيح أوراق الإجابة، وكعادته ما إن يمسك الورقة حتى يبدأ إجابة السؤال الأول ثم الثاني وهكذا، وفي بعض الأحيان يلاحظ أن بعض الطلاب يترك سؤالاً أو سؤالين دون إجابة، وهو أمر معتاد، إلا أن الذي أثار استغرابه وأبدى دهشته ورقة إجابة لأحد الطلاب تركها خالية، ولم يجب فيها على أي سؤال، ووضع بدل الإجابة القصيدة التالية:

أبشيرٌ قلْ لي ما العملْ واليأسُ قد غَلَبَ الأملْ؟

وفزعتُ مِنْ صوتِ المراقبِ إنْ تنحْنحَ أو سَعَلْ

ويجـولُ بين صفوفنا ويصولُ صـولات البطـلْ

أبشيـرٌ مهــلاً يا أخـي مـا كُــلُّ مــسألةٍ تُــحَلْ

فمِنَ البــلاغةِ نـافــعٌ ومِــنَ البــلاغــةِ مــا قتَـلَ

قــدْ كـنـتُ أبــلدَ طــالــبٍ وأنـا وربِّـي لـَمْ أزَلْ

إذا أتتـكَ إجـابـتي فيها الســؤال بدونِ حَــلْ

دعها وصحِّح غيرها والصِفر ضعْهُ على عَجَلْ

فما كان من الأستاذ بشير إلا منحه درجة النجاح في مادة البلاغة؛ لأن الهدف الذي يسعى لتحقيقه في تدريس مادة البلاغة متوفر في هذا الطالب، الذي استطاع نظم هذه القصيدة الطريفة والبديعة.

اجتماع الليل والنهار من المستحيلات

يحكى أن شاعراً أقدم على طلب يد امرأه يحبها، ولم يعرف ما يخبئ له القدر منها، ذلك أنها كانت من أجمل نساء القرية فرفضت طلبه، فألح عليها أن يعرف السبب. فقالت له بيتاً من الشعر:

يا خليلي وأنت خير خليل ... أرأيت راهباً بلا دليل؟

أنت ليل وكل حسناء شمسٌ ... واجتماعك بها من المستحيل

فعاد خائبا فرآه صديقه الشاعر فعلم منه مصيبته وهون عليه ببيت من الشعر قائلا له:

هي الشمس مسكنها في السماء ... فعز الفؤاد عزاءً جميلاً

فلن تستطيع اليها الصعود ... ولن تستطيع إليك النزولا

نذروا الصيام لشفاء الأمير

من الطرائف الرائعة أيضا: مرض أمير قوم يوما فنذر جميع القوم أن يصوموا في يوم برئه. فلما شفى هذا الأمير دعا جميع القوم الذين نذروا

للصوم إلا رجلاً واحداً، فعاتبه وسأله عن السبب، وكان الثاني شاعراً، فقال له بيتن من الشعر موضحاً فيهما سبب فطره، وأنه لم ينذر مثلهم للصوم قائلاً:

نـذر النـاس يـوم برئـك صـوماً　　غيـر أنـي نـذرت وحـدي فطـرا

جـــازم أن يـــوم برئـــك عيـــداً　　لـم يجـز صـومه وإن كـان نـذرا

فعفا عنه وأدخله في حاشيته.

المليحة في الخمار الأسود

يروى أن تاجراً عراقياً قدم إلى مدينة الرسول الله ﷺ، بعددٌ من الخُمُر، فباعها كلها إلا السود، فلم يجد لها طالباً، فكسدت عليه وضاق صدره، فقيل له: ما ينفقها لك إلا مسكين الدارمي، وهو من مجيدي الشعر الموصوفين بالظرف والخلاعة، فقصده فوجده قد تزهد وانقطع في المسجد، فأتاه وقص عليه القصة.

فقال له: وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال؟.

فقال له التاجر: أنا رجل غريب وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل، وتضرّع إليه.

فقال له الدارمي: "ما تجعل لي على أن أحتال لك حيلة قد تبيعها كلها على حكمك؟"

فأجابه التاجر العراقي: "ما شئتَ". فخرج الدارمي من المسجد، وعمد إلى ثياب نسكه فألقاها عنه، وأعاد لباسه الأول، وقال شعراً ورفعه إلى صديق له من المغنيين، فغنى به وكان الشعر:

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شّمر للصلاة ثيابه
حتّى خطرت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه
لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة، وقالوا: قد رجع الدارمي وتعشق صاحبة الخمار الأسود، فلم تبق مليحة بالمدينة إلا واشترت خماراً أسوداً، وباع التاجر ما كان معه، فجعل إخوان الدارمي من النساك يلقون الدارمي، فيقولون له: ماذا صنعت؟. فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين. فلما أنفذ العراقي ما كان معه رجع الدارمي إلى نسكه ولبس ثيابه.

ضاع الدر على خالصة وأضاء

روى عن أحد الشعراء أنه ذهب إلى قصر أميرٍ ليمتدحه بالشعر، وعند الأمير جاريةٌ اسمها خالصه، وعليها من الحلي والجواهر ما لا يوصف،

فصار الشاعر يمتدح الأمير والأمير منشغلٌ مع جاريته خالصه، فلما خرج الشاعر كتب على باب القصر:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع درٌ على خالصة

فقرأه بعض الحاشية وأخبروا الأمير بذلك، فغضب وأمر بإحضار الشاعر، فلما وصل الشاعر إلى الباب محا الجزء السفلي والأكبر من حرفي العين في كلمتي ضاع وضاع؛ لتصبح همزه (ء) فتغير المعنى تماماً، فسأل الأميرُ الشاعرَ عما كتب على الباب؟

فقال: كتبت:

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء درٌ على خالصة

فأعجبه الأمير هذا المدح وأكرمه وأنعم عليه، فقال أحد الخدم: لله در هذا البيت،، قُلعت عيناه فأبصر!!

وهل أنا إلا من غزية!

قال الأفوه الأودي:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلى ضحى الغد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غير مهتد

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي

قال الشاعر شمس الدين بن دانيال الموصلي يصف حاله مع الفقر:

أَصبّحتُ أَفقَرَ مَن يَروحُ وَيغتدي ... مـا في يَـدي مـن فـاقتي إلاّ يَـدي

في مَنـزِلٍ لـم يحَـوِ غَيـريَ قاعـداً ... فمتـى رَقَـدتُ رَقَـدتُ غيـرَ مُمَـدَّد

لَمْ يبقَ فيهِ سِوى رسومِ حَصيرةٍ ... ومخـدَّةٍ كانَـتْ لأُمِّ المهتَـدي

تُلقـى علـى طُرَّاحـةٍ في حَشْـوها ... قمـلٌ شـبيهُ السمسـمِ المُتَبَـدِّدِ

والفـارُ يَـرْكضُ كـالخيولِ تَسـابُقاً ... مـن كُـلِّ جَـرداءِ الأَديـمِ وأجـرَدِ

يأكُلنَ أَخشابَ السّقوفِ كمثـلِ فـا ... راتِ النِّجـارةِ إذْ تُحَـكُّ بِمِبْـرَدِ

هـذا ولـي ثـوبٌ تَـراهُ مُرَقّعـاً ... مـنْ كُـلِّ لَـونٍ مثـل ريشِ الهُدْهـدِ

لـولا الشّـقاوة مـا وُلِـدْتُ وَلَيتنـي ... إذْ كـانَ حظّـي هكـذا لـم أولَـد

ولكيـفَ أرضـى بالحيـاة وَهمّتـي ... تسمو وَحَظّي في الحضيضِ الأَوهدِ

صاعد الربعي ينبوع الابتكار

روى ابن بسام في كتاب الذخيرة: أن أبا الفضل صاعداً اللغوي دخل على المنصور بن أبي عامر المعافري كفيل المؤيد بن الحكم بن الناصر الأموي والمتغلب على دولته، فأهدى إلى المنصور وردة منطبقة في غير أوانها، فقال لصاعد: قل فيها شيئاً، فارتجل:

أتتـــك أبـــا عـــامر وردة يـــذكرك المســـك أنفاســـها
كعـــذراء أبصـــرها مبصـــر فغطـــت بأكمامهـــا راســـها

فأفرط المنصور في استحسانها، فحسده ابن العريف أحد الندماء، وقال: إنهما ليسا له، وقد أنشدنيها بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه. فقال المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب، وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر -كان أحسن أهل وقته بديهة- فوصف له ما جرى، فقال هذه الأبيات ودس فيها بيتي صاعد:

عشـــوت إلـــى قصـــر عباســـة وقـــد جـــدّل النـــوم حراســـها
فقالـــت: أســـارٍ علـــى هجعـــةٍ فقلـــت: نعـــم، فرمـــت كاســـها
ومـــدت يـــديها إلـــى وردةٍ يحـــاكي لـــك المســـك أنفاســـها
كعـــذراء أبصـــرها مبصـــر فغطـــت بأكمامهـــا راســـها
فوليـــت عنهـــا علـــى عفـــةٍ ومـــا خنـــت ناســـي ولا ناســـها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مشرقي، وتحيل بمداد أشقر، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه على صاعد، وقال للحاضرين: غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان لم يقم في مكان لي فيه سلطان. واستدعاه في الصباح بعدما أعد مجلساً خاصاً كل ما فيه جديد على صاعد، قد أعد فيه طبقاً عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار، عليها لعب من ياسمين في شكل الجواري، وتحتها بركة ماء قد ألقي فيها

لؤلؤاً مثل الحصباء، وفيها حية تسبح، فقال لصاعد: بلغنا أنك تكذب في شعرك، وقد وقفنا على حقيقة ذلك، وهذا يوم إما أن تسعد فيه عندنا وإما أن تشقى، وهذا طبق ما أظنه حضر بين يدي ملك قبلي، فصفه حالا، فأنشد صاعد على البديهة هذه الأبيات:

أبا عامر هل غير جدواك واكف وهل غير من عاداك في الأرض خائف!

يسوق إليك الدهر كل غريبةٍ وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائع نورٍ صاغها هامر الحيا عليها فمنها عبقر ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهي الوصائف

وأعجب منها أنهن نواظر إلى بركة ضمت إليها الظرائف

حصاها اللآلئ سابح في عبابها من الرقش مسموم اللعابين راجف

ترى ما تشاء العين في جنباتها من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه.

ذو لحية كبيرة

كان للِّحية نصيب كبير من الشعر، لقد أحبها العرب والمسلمون واحترموا أربابها، وعنوا بتمشيطها وترجيلها وخضبها، واعتبروها مظهراً من مظاهر الوقار، وشعاراً من شعارات الرجال المتمسكين بدينهم، ولأنهم

أحبوها هذا الحب كرهوا من يستغلونها، ويوارون جهلهم وسوء خلقهم خلفها، ومالت قرائحهم فياضة في هذا الشأن. ومن أطرف القصائد ما قاله زهير:

وأحمـــقٍ ذي لحيـــة　　كَبيـــرَةٍ مُنْتَشِـــرَهْ

طلبـــتُ فيهـــا وجهـــهُ　　بشِـــدَّةٍ فلَـــمْ أرَهْ

مَعروفَـــةٌ لَكِنَّـــهُ　　أصـــبَحَ فيهـــا نَكِـــرَهْ

يُقْسَـــمُ عُشـــرُ عُشـــرِها　　يكفـــي رجالاً عشـــرهْ

بيت شِعر يتولد منه أربعون ألف بيت

قال العلامة الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: قال بعض الفضلاء بيتا من الشعر يشتمل على أربعين ألف بيت من الشعر وثلاثمائة وعشرين بيتا، وهو زين الدين المقري:

لقلبـي حبيـب مليـح ظريـف　　بـديع جميـل رشـيق لطيـف

وبيان ذلك أن هذا البيت ثمانية أجزاء، يمكن أن ينطق بكل جزء من أجزائه مع الجزء الآخر، فتنتقل كل كلمة ثمانية انتقالات؛ فالجزآن الأولان "لقلبي حبيب" يتصور منهما صورتان بالتقديم والتأخير، ثم خذ الجزء الثالث فيحدث منه مع الأولين ست صور، لأن له ثلاثة أحوال: تقديمه عليهما، وتأخيره، وتوسطه، ولهما حالان، فاضرب أحواله في

الحالين يكن ستة؛ وهكذا حتى الثامن، ثم خذ الثامن تجد أحواله ثمانية، فاضربها في خمسة آلاف وأربعين، تكن أربعين ألفاً وثلاثمائة وعشرين بيتا؛ فامتحنها تجدها كذلك.

ومثله لي قلته في القدس:

محب صبور غريب فقيرة	وحيد ضعيف كتوم حمول

فالبيت من بحر (المتقارب)

فعولن فعولن فعولن فعولن	فعولن فعولن فعولن فعولن

وكل كلمة فيه على وزن (فعولن) فأي تغيير في مكانها لا يؤثر على بنية البيت.

القافية النونية

أيا ذا القلب لا تحزن	فذاك الحب Infection
فلن تجدي عقاقير	ولن تشفيك Injection
فكم من عاقل فطن	مضى بالحب Direction
ستنكره وتنساه	ولن يبقى له Mention
فلا تنظم له شعراً	ولا تكتب له Section
ولا يحزنك من باعك	فقد أخطأت Selection
ولا تبدي له أسفاً	ولا تبدي له action

فــــإن الحـــــب منزلــــــةٌ	لـــبعض النـــاس exception
فـــبعض النـــاس إن هجـــروا	فــــلا حــــزنٌ ولا tension
وبعـــض النـــاس إن هجـــروا	يظـــل ويبقـــى connection
فوصــــل الـــــروح إقبـــالٌ	ومــــا أحـــــلاه reaction
بـــــدعوات ومـــــن قلــــب	لهــــــا أثــــــر وaffection
فــإن لـــم يبـــق لـــي شـــيء	فــــلا حــــب ولا Passion
فـــلا أســـف علـــى دنـــيا	لـــك وعليـــك conversion

مغفل

قال أحد الشعراء في وصف مغفل:

أقـول لـه عمـراً فيسـمعه بكـراً ويكتبـه خالـداً ويقـرؤه زيـداً

أعرابي وجرير في مجلس عبد الملك

تروي لنا كتب الأدب كالأغاني وغيره أن الخليفة عبد الملك بن مروان صنع طعاما ودعا إليه الناس فأكلوا، وفي القوم أعرابي من بني عذرة أَنِسَ إليه الخليفة، فسأله،ألك علم بالشعر؟ قال: سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين.

قال: أي بيت قالته العرب أمدح؟

قال: قول جرير:

ألسـتم خيـر مـن ركـب المطايـا وأنـــدى العـــالمين بطـــون راح

وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها.

ثم قال: فأي بيت قالته العرب أفخر؟

قال: قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

فتحرك لها جرير.

ثم قال له: فأي بيت أهجى؟

قال: قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فاستشرف لها جرير.

قال: فأي بيت أغزل؟

قال: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حورٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فاهتز جرير وطرب.

ثم قال له: فأي بيت قالته العرب أحسن تشبيها؟

قال: قول جرير:

سرى نحوهم ليل كأن نجومه ... قناديل فيهن الذبال المفتل

فقال جرير: جائزتي للعذري يا أمير المؤمنين.

فقال له عبد الملك: وله مثلها، ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئا. وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة. فخرج العذري وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب.

وفي رواية ذكرها ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة:

فقال له عبد الملك: أحسنت، فهل تعرف جريراً؛ قال: لا والله، وإني إلى رؤيته لمشتاق.

قال: فهذا جرير، وهذا الأخطل، وهذا الفرزدق.

فأنشأ الأعرابي يقول:

فحيّا الإله أبا حزرةٍ ... وأرغم أنفك يا أخطل

وجد الفرزدق أتعس به ... ودق خياشيمه الجندل

فأنشأ الفرزدق يقول: البسيط:

بل أرغم الله أنفاً أنت حامله ... يا ذا الخنا ومقال الزور والخطل

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

مطارحة شعرية بين الرشيد والمفضل الضبي

قال هارون الرشيد للمُفَضّل الضَّبِّي: أنشدنا بيتاً أوله أعرابي في شَملته، هَبَّ من نَومته، وآخره مَدنيّ رقيق، غُذِّي بماء العَقيق.

قال المُفضل: هَوَّلتَ عليَّ يا أمير المؤمنين، فليت شعري، بأيّ مَهر تُفتضّ عَروس هذا الخدْر؟

قال هارون: هو بيتُ جَميل حيث يقول:

ألا أيهــا النّــوام ويحكُــم هُبُّــوا أُسائلكم هل يَقتل الرجلَ الحبُّ

فقال له المفضل: فأخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أوله أكثمُ بن صَيفيّ في إصابة الرأي، وآخره بُقراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء؟

قال له هارون: ما هو؟ قال: هو بيتُ الحسن بن هانئ حيث يقول:

دع عنكَ لَومي فإنّ اللومَ إغـراء وداوني بـالّتي كانـت هـي الـدواء

قال: صدقت.

صريع الغواني

خرج رسول عائشة بنت المَهديّ، وكانت شاعرةً، إلى الشعراء وفيهم صريع الغواني، فقال: تُقرئكم سيدتي السلامَ وتقول لكم: من أجاز هذا البيتَ فله مائة دينار.

فقالوا: هاته.

فأنشدهم:

أنيلــي نَــوَالاً وجُــودي لنَــا فقــد بلغــتْ نَفســيَ التَرْقــوه

فقالِ صَريع:

وإني كالـــــدلْو في حُـــبكم   هَوِيـــتُ إذا انقطعـــتْ عَرْقـــوه

قال الحسن: صدقتَ.

ثم أقبل إليه رجلٌ آخر، فقال: يا أبا سَعيد، ما تقول في الرجلِ يشك في الشَّخص يبدو له ، فيقول: والله هذا فلان، ثم لا يكون هو، ما ترى في يمينه؟

فقال الفرزدق: وقد قلتَ أنا في مثل هذا.

قال: الحسن، وما قلت؟

قال: قلت:

ولســتَ بمــأخوذ بقَــولِ تقولُــه   إذا لــم تُعِنْــه عاقــداتُ العــزائِم

قال الحسن: صدقتَ.

فأخذ المئة دِينار.

بين الرصافي والزهاوي

الشاعران العراقيان معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، دعاهما الملك فيصل الأول لمائدة عشاء تقوم على الديك الرومي المحشو بالرز واللوز، طريقة العراقيين في طبخ الدواجن. فيما كانا يأكلان، أخذ الزهاوي ينبش الرز من تحت الديك ويأكل حتى سقط الطير إلى جانبه فأنشد وقال:

عــرف الفضــل أهلــه فتقــدما   ....

بادر الرصافي إلى تكملة البيت فقال:

....   كثــر النــبش تحتــه فتهــدما

الشاعر أبو دلامة والقاضي

خاصم الشاعر أبو دلامة رجلا إلى عافية القاضي فلما دخل قال:

لقـد خاصـمتني دهـاة الرجـال وخاصـمتهم سـنةً وافيـة

فمـا أدحـض الله لـي حجـةً ومـا خيّـب الله لـي قافيـة

فمـن كنـت مـن جـوره خائفًـا فلسـت أخافـك يـا عافيـة

فقال له عافية: لأشكونك إلى أمير المؤمنين.

قال أبو دلامة: ولِمَ؟

قال: لأنك هجوتني.

قال: فوالله ليعزلنك.

قال: ولم؟

قال: لأنك لا تعرف الهجاء من المديح.

قال: فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة.

كل امرئ يأكل زاده!

خرج المهدي للصيد وكان برفقته وزيره علي بن سليمان والشاعر أبو دلامة.. وعندما صوبوا سهامهم نحو قطيع غزلان أصاب سهم المهدي ظبيا فأرداه، بينما أصاب سهم وزيره خطأ أحد كلاب الصيد، فابتسم المهدي والتفت إلى أبي دلامة الذي فهم الطلب فقال:

صــــوب المهـــدي غــــزالاً شـــك بالسهــــم فــــؤاده
وعلـــي بـــن ســـليمان رمـــى كلبـــاً فصـــاده
فهنيـــــــئا لهمـــــا كـــل امـــرئ يأكـــل زاده!

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه، وقال: صدق والله أبو دلامة، وأمر له بجائزة. ولقب علي بن سليمان بصائد الكلب.

أبو دلامة

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسماعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم. فقال له المهدي: والله لئن لم تهج واحداً ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك، فنظر إلى القوم وتحير في أمره، وجعل ينظر إلى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه. قال أبو دلامة: فازددت حيرة، وما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي، فقلت:

ألا أبلـــغ إليـــك أبـــا دلامـــة
فلســـتَ مـــن الكـــرام ولا كرامـــة
جمعـــتَ دمامـــة وجمعـــت لؤمـــا
كـــذاك اللـــؤم تـتبعـــه الدمامـــه
إذا لـــبس العمامـــة قلـــت قـــرداً
وخنزيـــراً إذا نـــزع العمامـــة

إن الهم منفرج

يـا صـاحب الهـم إن الهـم منفـرج   أبشـــر بخيـــر فـــإن الفـــارج الله

اليــأس يقطــع أحيانــاً بصـــاحبه   لا تيأســـــنّ فــــإن الكــــافي الله

الله يحــدث بعــد العســـر ميســـرة   لا تجـــزعنَّ فـــإن الصـــانع الله

إذا ابتليــت فثــق بــالله وأرض بــه   إن الــذي يكشـف البلـوى هـو الله

والله مالــك غيــر الله مــن أحــد   فحســبك الله وفي كــلٍ لــك الله

الفصل الرابع

الطرائف النحوية والأدبية

الفصل الرابع
الطرائف النحوية والأدبية

قِ.. قيا.. قوا

روى المسعودي: أن أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي المتوفى سنة ٣٠٥ هـ " وكان فصيحاً معرباً لا يتكلف الإعراب، بل صار له كالطبع لدوام استعماله إياه من عنفوان حداثته، خرج مع بعض أصحابه متفكهين إلى نهر من أنهار البصرة، وقد غيروا ظواهر زيهم كيلا يعرفهم الناس، وكان ذلك أيام المبادئ، وهي الأيام التي يثمر فيها التمر والرطب، فيسكبونه في القواصر (أوعية التمر) تمراً؛ وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال من يعمل في التمر من الأكرة (الزُّرّاع) وغيرهم، فلما أكلوا قال بعضهم لأبي خليفة غير مُكِنٍّ له خوفاً أن يعرفه من حضر من العمال في النخل: أخبرني (أطال الله بقاءك) عن قول الله عز وجل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾. هذه الواو ما موقعها من الإعراب؟ قال أبو خليفة: موقعها رفع، وقول (قوا) هو أمر للجماعة من الرجال. قال له: كيف تقول للواحد من الرجال و للاثنين؟ قال: يقال للواحد من الرجال: قِ، وللاثنين: قيا، وللجماعة: قوا. قال: كيف تقول للواحدة من النساء،

وللاثنتين، وللجماعة منهن؟ قال أبو خليفة: يقال للواحدة: قي، وللاثنتين: قيا، وللجماعة: قين. قال: فأسألك أن تعجل بالعجلة: كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة وللواحدة من النساء والاثنتين والجماعة منهن؟ قال أبو خليفة (وهو ينطق) عجلان: قِ، قيا، قوا، قي، قيا، قين.

وكان بالقرب منهم جماعة من الأكرة، فلما سمعوا ذلك استعظموه، وقالوا: يا زنادقة، أنتم تقرؤون القرآن بحرف الدجاج؟ وغدوا عليهم فصفعوهم؛ فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم إلا بعد كد طويل.

وتروى هذه النادرة على وجه آخر، ولكن رواية المسعودي أملح؛ وكلتا الروايتين إلى مآل واحد؛ وفي رواية أخرى يقول الرجل العاصي: "إنهم زنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديكة".

المسألة الزنبورية

يذكر ابن خلكان قصة مناظرة حدثت في مجلس الرشيد بين سيبويه والكسائي، التي زعم الكسائي فيها أن العرب تقول: كنت أظن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فإذا هو إياها (أي مثلها) فقال سيبويه: بل الصحيح: فإذا هو هي، فتشاجرا طويلا، واتفقا على مراجعة عربي خالص، لا يشوب

كلامه شيء من كلام أهل الحضر، فاستدعى الأمين (ابن الرشيد) عربياً وسأله، فقال كما قال سيبويه، فقال له: نريد أن تقول كما قال الكسائي، ووعده بجائزة، فقال العربي: إن لساني لا يطاوعني، فقرروا أن شخصا يقول: رأي سيبويه كذا، ورأي الكسائي كذا فالصواب مع من فيهما؟ فيقول العربي: مع الكسائي فقال العربي: هذا يمكن. وعقد المجلس وسئل العربي فأجاب: مع الكسائي، وهو كلام العرب، فعلم سيبويه أنهم تمالؤوا عليه، وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد حزيناً، قالوا: ولم تطل به الحياة بعد ذلك كثيراً حتى مات كمداً.

ذكِّرْني أدعُ لك

- طلب أحدهم من إمام نحوي أن يدعو له قائلاً: يا شيخ ادعي لي!
- فقال الشيخ: ذكرني أدع لك.
- فقال ها إنني أذكرك!
- قال الشيخ: لم تذكرني، بل جعلتني أنثى بقولك: ادعي لي. والصواب أن تخاطبني بصيغة المذكر (ادعُ).

الولد الثرثار

كان لأحد الأدباء ابن أحمق، لكنه كثير الكلام، فقال له أبوه: يا بني لو اختصرت كلامك لكنت تأتي بالصواب. فأتاه ذات يوم، فقال له: من أين أتيت يا بني؟

- قال: من سوق.
- فقال الأب: لا تختصر هنا، زد الألف واللام.
- فقال الابن: من سوقال.
- قال الأب: قدم الألف واللام.
- فقال الابن: من ألف لام سوق.
- فقال الأب: يا ابن الفاعلة، والله ما أردت إلا التطويل!!

جمعت العربية في ثلاث

قال عبد الله النميري: كنت يوما مع المأمون، وكان بالكوفة فأشرف على ماء نهر الفرات فإذا هو بجارية عربية، وبيدها قربة ملأتها ماء وحملتها على كتفيها، وصعدت من حافة النهر، فانحل وكاؤها - أي رباط عنق القربة - فصاحت برفيع صوتها: يا أبت، أدرك فاهاً، قد غلبني فوهاً، ولا طاقة لي بفيها. قال: فتعجب المأمون من فصاحتها وقال: يا جارية، من أي العرب أنت؟ فقالت: أنا من بني كلاب، من قوم كرام غير لئام، يقرون الضيف، ويضربون بالسيف.

افرنقعوا عني

كان النحوي عمر بن عيسى مارًا في أحد شوارع بغداد فهاج به المرض، فسقط عن دابته مغشيا عليه، فتجمع عليه بعض الناس يرشون عليه الماء

محاولين إيقاظه من غشيته.. فلما أفاق برُم بهم، وقال: ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكُئِكم على ذي جِنة، افرنقعوا عني!.

فقال بعضهم: دعوه فإن جنيته تتكلم الهندية.

لحن الأمير فلحنت

يحكى أن عبد الملك بن مروان قال للشعبي: كم عطاءَك؟

قال: ألفين.

قال الخليفة: لقد لحنت[1]!

قال: لمَّا ترك أمير المؤمنين الإعراب، كرهت أن أعرب كلامي عليه.

(فحينما أخطأ الخليفة بقوله: (عطاءك) بنصبها وكان عليه أن يرفعها فيقول: (عطاؤك). خطّأ الشعبي نفسه بقوله: (ألفين) وكان عليه أن يقول: (ألفان) من أجل أن يلفت نظر أمير المؤمنين لخطئه دون أن يحرجه).

أبو سالح

مرض النظر بن شميل التميمي، وكان ممن عاده رجل يكنى (أبا صالح) فقال: مسح الله ما بك.

فقال النظر: لا تقل مسح، بالسين، ولكن قل: مصح، بالصاد. (أي أذهبه الله وفرقه) أما سمعت قول الشاعر:

---

(١) اللحن في اللغة: الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب في النحو.

وإذا مـــا الخمـــر فيهـــا أزبـــدت   أف الإزبـــاد مـــا فيهـــا ومصـــح

فقال الرجل: ولكن السين قد تبدل من الصاد، كالصراط والسراط، وصقر وسقر.

وكان رد النظر ماضياً: فأنت إذاً " أبو سالح "[1]

(ولك أن تسأل عن معنى سالح كي تفهم الطرفة).

إبدال الصاد سيناً

قال الخطابي فِي كتابه (تفسير اللغة التي فِي مختصر المزني) فِي باب الشفعة: بلغني عن إِبْرَاهِيم بن السرى الزجاج النحوي، أنه كان يذهب إلى أن الصاد تبدل سينا مع الحروف كلها؛ لقرب مخرجهما، فحضر يوما عند علي بن عيسى، فتذاكرا هذه المسألة، واختلفا فيها، وثبت الزجاج على مقالته، فلم يأت على ذلك إلا قليل من المدة، فاحتاج الزجاج إلى كتاب إلى بعض عماله، فجاء إلى علي بن عيسى الوزير ينتجز الكتاب، فلما كتب علي بن عيسى صدر الكتاب، وانتهى إلى ذكره، كتب: وإبراهيم بن السري من (أخس) إخواني.

فَقَالَ الرجل: أيها الوزير، الله الله فِي أمري، فَقَالَ له علي بن عيسى: إنما أردت (أخص)، وهذه لغتك فأنت أبصر، فإن رجعت وإلا أنفذت الكتاب بما فيه، فَقَالَ: قد رجعت أيها الوزير، فأصلح الحرف وطوى الكتاب.

---

(١) سلح عليه: تغوط وبال، والسُلاح كل ما يخرج من البطن من فضلات.

كم مضى من عمرك؟

قال رجل لهشام بن عمرو القرطبي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر. قال: لم أرد هذا؟ قال: فما أردت؟ قال: كم تعد من السن؟ قال: اثنان وثلاثون سنّاً، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل. قال: لم أرد هذا؟ قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنين؟ قال: ما لي منها شيء كلها لله عز وجل. قال: فما سنك؟ قال: عظم. قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين طبعا أب وأم. قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليّ شيء لقتلني. قال: أقصد كم عمرك؟ قال: الأعمار بيد الله. قال: فكيف أقول؟ قال: قل كم مضى من عمرك.

منصوب بفعل مضمر

قال أحد النحاة: رأيت رجلا ضريراً يسأل الناس يقول: ضعيفاً، مسكيناً، فقيراً...

فقلت له: يا هذا... علام نصبت (ضعيفاً مسكيناً فقيراً؟!)

فقال: بإضمار ارحموا ....

قال النحوي: فأخرجت كل ما معي من نقود وأعطيته إياه فرحاً بما قال.

درهمان

حكى أبو بكر التاريخي في كتابه أخبار النحويين: أن رجلاً قال لسمَّاك بالبصرة: بكم هذه السمكة؟

فقال السماك: بدرهمان.

فضحك الرجل!

فقال السماك: أنت أحمق، سمعت سيبويه يقول: ثمنها درهمان .!!

ماذا فعل أبوك بحماره

حكى العسكري في كتاب التصحيف أنه قيل لبعضهم: ما فَعَلَ أبوك بحمارِهِ؟

فقال: باعِـهِ.

فقيل له: لِمَ جررت "باعَه"؟

قال: كما جررت أنت حمارَه!

قال الرجل: أنا جررته بالباء الزائدة "بـ حمارِهِ"

فقال: سبحان الله يا أخي، باؤكِ تجر وبائي لا تجر؟!!

(يظن أن الباء في باعه زائدة).

سبق ملك الموت

كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف فيها على الموت، فاجتمع أولاده عليه وقالوا له: ندعو فلاناً أخانا قال: لا، إن جاء قتلني، فقالوا نحن نوصيه ألا يتكلم ،فدعوه فلما دخل عليه قال: يا

أبت قل: لا إله إلا الله تدخل الجنة وتفوز من النار، يا أبت والله ما شغلني عنك إلا فلان، فإنه دعاني بالأمس فأهرس أعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج، فصاح أبوه: أغمضوني فقد سبق ملك الموت إلى قبض روحي.

اكسري حرف القاف

أصر أحد النحاة على أن يتحدث أولاده باللغة العربية الفصيحة. فطلب ذات يوم من إحدى بناته أن تحضر له قنينة حبر. فأحضرتها وقالت: هاك القنينة يا أبي (بفتح القاف)

فقال لها: اكسريها (يقصد اكسري حرف القاف)

فما كان من البنت إلا أن رمت القنينة على الحائط بقوة، فتناثر الحبر ملوثا الجدار وما جاوره من فرش.

شغلتنا الأموال والأهلون

روى ابن الجوزي قال: عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: كان عندنا رجلٌ لحّان، فلقيَ رجلاً مثله، فقال: من أين جئت؟ فقال: من عند أهلونا، فتعجّب منه، وحسده، وقال: أنا أعلمُ من أين أخذتَها، أخذتَها من قوله تعالى: ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾.!!

زقفيلم

مما تقصه علينا كتب الأدب من أن هناك شخصا اسمه أبو علقمة النحوي.. وكان يكثر التقعر (التشدق) في اللغة، ويتكلم بالألفاظ الغريبة، فمن الذي أدبه حتى ينزل إلى مستويات الناس في التفاهم؟. أدبه خادم له، أتعبه تقعر (أبي علقمة)، وكان لا يفهم عنه كثيرا من الألفاظ، فماذا كان منه؟ كان منه أن أبا علقمة استيقظ ليلة ثم نادى الغلام فقال: يا غلام، أصعقت العتاريف؟ فلم يفهم الغلام مراد أبي علقمة، ولكنه أراد أن يلقن أبا علقمة درساً يمنعه من هذا التقعر، ولا سيما بالنسبة لخادم لا يعرف شيئاً، فلما قال أبو علقمة: أصعقت العتاريف؟ قال الخادم: زقفيلم. فتعجب أبو علقمة.. ولأول مرة يتعجب أبو علقمة من لفظ لغوي!! فقال له: يا غلام.. وما زقفيلم هذه؟ فسُرّ الغلام لأنه أعجز أبا علقمة.. فقال له: وما صعقت العتاريف؟ قال له: أنا أردت يا بني أصاحت الديكة؟ قال: وأنا أردت لم تصح.

نحوي ورجل يلحن

قال رجل لسعيد بن عبد الملك الكاتب: أتوصي بشيئاً؟

قال: نعم أوصيك بتقوى الله، وحذف الألف من شيئاً.

صاحب الكنية أولى بها

قصد رجل (كنيته أبو هشام) الحجاج بن يوسف فأنشده:

أبـــا هشـــام ببابـــك قـــد شـــم ريـــح كبابـــك

فقال: ويحك! لم نصبت أبا هشام؟!

قال: الكنية كنيتي، إن شئتُ رفعتُها وإن شئتُ نصبتها!

(أي...)

عن الحسين بن السميدع الأنطاكي، قال: كان عندنا بأنطاكية عامل من حلب، وكان له كاتب أحمق. فغرق في البحر (شلنديتان) من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو. فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب يخبره:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى، أن شلنديتين (أعني مركبين) قد صفقا من جانب البحر (أي: غرقا) من شدة أمواجه فهلك من فيهما (أي: تلفوا).

قال: فكتب إليه أمير حلـب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ورد كتابك (أي: وصل) وفهمناه (ي: قرأناه) أدب كاتبك (أي: اصفعه) واستبدل به (أي: اعزله) فإنه مائق (أي: أحمق) والسلام (أي: انقضى الكتاب) .

الحال منصوبة دائماً

سأل نحوي تلميذه - وكان التلميذ يومها مغموماً -: كيف الحال؟

فأجاب التلميذ: إن كانت الحال التي علمتنا فمنصوبة، أما حالي فمكسورة.

وفي الغد سأله: يا تلميذ، ألم تنتصب حالك بعد؟

فأجاب: هي اليوم مرفوعةٌ. - أي ذهب عنه الغم.

فقال النحوي: لم تعد بهذا حالاً.

فأجاب التلميذ: بل هي حال جاءت جملة فعلية فعلها مضارع.

فدهش النحوي وقال له: أنت اليوم أنحى مني.

نكرة أم معرفة

جاء رجل إلى أحد النحويين فسأله: «الظبي معرفة أم نكرة؟»

فقال: إذا كان مشوياً على المائدة فهو معرفة! وإن كان يسرح في الصحراء، فهو نكرة.

فقال له الرجل: أحسنت، ما في الدنيا أعرف منك بالنحو.!

طوس أو طيس

عن أبي القاسم الحسن قال: كتب بعض الناس: كتبت من طيس (يريد طوس)

فقيل له في ذلك.

فقال: لأن (من) تخفض ما بعدها.

فقيل: إنما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً له خمسمئة قرية.

لا . لو . لي

قال ابن الجوزي: لقي نحويٌّ رجلاً، وأراد الرجل أن يسأله عن أخيه، وخاف أن يلحن. فقال: أخاك، أخوك، أخيك هنا؟!

فقال النحويُّ: لا، لو، لي.

النحو وفق مراتب الناس

قال ابن الجوزي: سمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبد الباقي البزار يقول: قال رجل لرجل: قد عرفت النحو، إلا أني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان، وأبا فلان، وأبي فلان؟!

فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو.. إنما يقولون: أبا فلان لمن عظم قدره، وأبو فلان.. للمتوسطين، وأبي فلان.. للرذلة.

النحوي وبائع الباذنجان

وقال ابن الجوزي أيضًا: وقف نحويٌّ على رجل يبيع الباذنجان، فقال: كم لي من هذا الباذنجان بقيراط؟!

فقال: خمسين.

فقال النحوي: قل خمسون!. ثم قال: لي أكثر.

فقال: ستين.

قال: قل ستون! ثم قال: لي أكثر.

فقال: أراك تدور على الثمانون، والله ذلك لن يكون!.

مولع بالرفع

عن أبي زيد الأنصاري قال: كنت ببغداد فأردت الانحدار إلى البصرة، فقلت لابن أخٍ لي: اكتَر لنا.. فجعل ينادي: يا معشر الملاحون.. يا معشر الملاحون..

فقلت: ويحك!! ما تقول؟!

فقال: أنا مولع بالرفع!!

كلام لم يخلق الله له أهلاً

عن أبي طاهر قال: دخل أبو صفوان الحمَّام، وفيه رجل مع ابنه، فأراد أن يعرف ما عنده من البيان، فقال: يا بني ابدأ بيداك ورجلاك، ثم التفت إلى أبي صفوان فقال: يا أبا صفوان، هذا كلام قد ذهب أهله، فقال: هذا كلام لم يخلق الله له أهلاً قط.!!

كلما كلمتك خالفتني؟!

عن عبدالله بن صالح العجلي قال: أخبرني أبو زيد النحوي قال: قال رجل للحسن: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟!

فقال الحسن: ترك أباه وأخاه.

فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟!

فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه؟!

فقال الرجل للحسن: أراني كلما كلمتك خالفتني!!

دعوا زيدًا وشأنه

يُروى أن رجلاً دُعي إلى حضور درس من دروس النحو، فلما حضر لاحَظَ أنهم "أي النحاة" يقولون في أمثلتهم: "جاء زيدٌ"، "ضرب زيدٌ عمرًا"، "حدَّث زيدٌ عمرًا حديثًا".. إلخ. فشعر بضيق من ذلك، وأنشأ يقول- على سبيل الدعابة-

لا إلى الـنَّحو جئتكم لا ولا فيـه أرغبْ

دعُـوا زيْـدًا وشَـأنه أينـما شَـاء يذهـبْ

أنا مَالي وما لامرئ أبدَ الـدَّهر يُـضْربْ

كسب المال أشغله عن تعلم النحو

قرع رجل على الحسن البصري الباب، وقال: يا أبو سعيد!

فلم يجبه، فقال: يا أبي سعيد.

فقال الحسن: قل الثالثة وادخل.

قال الرجل للحسن: يا أبي سعيد!

فقال الحسن: أكَسبُ الدوانيق[1] شغلك عن أن تقول: يا أبا سعيد؟!

تكون قد ظلمت أحدهما!

اجتمع أبو يوسف والكسائي يوما عند الرشيد، وكان أبو يوسف يرى أن علم الفقه أولى من علم النحو بالبحث والدراسة، وأن علم النحو لا يستحق بذل الوقت في طلبه. فراح ينتقص من علم النحو أمام الكسائي.

فقال له الكسائي: أيها القاضي.. لو جاءك رجلان، فقال أحدهما: أنا قاتل أبيك، وقال الآخر: إني قاتلٌ أباك. فأيهما تأخذ؟

---

(١) الدوانيق: جمع دانق، وهو جزء من الدرهم.

فقال أبو يوسف: آخذ الرجلين.

فقال الرشيد: بل تأخذ الأول لأنه قتل، أما الآخر فإنه لم يقتل.

فعجب أبو يوسف، فأفهمه الكسائي أن اسم الفاعل إذا أضيف إلى معموله (قاتلُ أبيك) دل على الماضي؛ فهو قتل الغلام. أما إذا نُوِّن فنصب معموله على أنه مفعول به (قاتلٌ أباك) فإنه يفيد المستقبل؛ أي أنه سيقتل.

لا تلحن

ذهب نحوي يزور صديقه المريض، فطرق بابه، فطلع عليه ابنه الصغير، فقال النحوي: كيف تجد أباك يا بني اليوم؟

قال الغلام: والله يا عم لقد ورمت رجليه.

قال النحوي: لا تلحن[1]، قل: رجلاه. ثم ماذا؟

قال الغلام: ثم وصل الورم إلى ركبتاه.

قال النحوي: لا تلحن. قل ركبتيه. ثم ماذا؟

فاغتاظ الغلام وقال منفعلاً: ثم علم أنك ستزوره وتزعجه بالنحو والبلاغة فمات غماً.

---

(١) اللحن في اللغة: الخطأ في الإعراب.

العِلَّة في الكلام

دخل الخليل بن أحمد الفراهيدي على مريض وعنده أخ له، فسمعه يقول للمريض: افتح فاك وحرك شفتاك، إن أبو محمد جالساً.

فقال الخليل: أرى أن أكثر علة أخيك من كلامك!

زد الألف

قال رجل لآخر: ما الذي اشتريت؟

قال: عسل.

قال: هلا زدت في عسلك ألف!

فرد عليه: وأنت هلا زدت في ألفك ألفاً!.

عزَّ فحكم فقطع

قال الأصمعي: كنت أقرأ: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" وكان بجانبي أعرابي فقال: كلام مَن هذا؟!

فقلت: كلام الله.

قال: أعِد.

فأعدت؛ فقال: ليس هذا كلام الله!!

فانتبهتُ فقرأت: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

فقال: أصبت، الآن أصبح كلام الله.

فقلت: أتقرأ القرآن؟

قال: لا.

قلت: فمن أين علمت؟؟

فقال: يا هذا، عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع!

فصاحة جارية

حكى العلامة القرطبي أن الأصمعي مرّ على جارية وهي تنشد:

أستغفر الله لذنبي كله قتلت إنسانا بغير حله

مثل الغزال ناعماً في دله انتصف الليل ولم أصله

فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك!

فقالت: ويحك!! أو يُعَدُّ هذا فصاحة مع قول الله عز وجل:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

فقد جمع سبحانه في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين!!

الفقه والنحو

من المناظرات الفقهية التي وقعت في مجلس الرشيد، أن محمداً بن الحسن صاحب أبي حنيفة وصف الكسائي بأنه لا يحسن الفقه، وإنما يحسن شيئاً من كلام العرب،، وحُكي أن محمداً قال للكسائي وكان ابن خالته: لم لا تشتغل بالفقه مع هذا الخاطر، فقال: من أحكم علماً واحداً فذلك يهديه إلى سائر العلوم، فقال محمد: إني ألقي عليك شيئاً من مسائل الفقه، فخرِّجْ جوابه من النحو. فقال: هات، فقال: ماتقول في من سها في سجود السهو، هل يسجد مرة أخرى؟ ففكر ساعة ثم قال: لا سهو عليه. فقال محمد: من أي باب من النحو خرَّجت هذا الجواب؟ قال: أن النحاة تقول: المصغر لا يصغر. فتعجب من فطنته.

(فمن شك في سجود السهو عمل بالتحري ولم يسجد للسهو مرة أخرى) ذلك أن تكرار سجود السهو في صلاة واحدة غير مشروع، ولأنه لو سجد بهذا السهو ربما يسهو فيه ثانياً وثالثاً فيؤدي إلى ما لا نهاية له). والله أعلم.

حروف المعجم في بدن الإنسان

يُحكي أن عبدالملك بن مروان جلس يومًا وعنده جماعة من خواصّه وأهل مسامرته، فقال: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه؟ وله عليّ ما

يتمناه. "يقصد بها الحروف أ ب ت ث... من بدن الإنسان" فقام إليه سويد بن غفلة فقال: أنا لها يا أميرالمؤمنين.

قال: هات.

فقال: نعم يا أميرالمؤمنين، أنف، بطن، ترقوة، ثغر، جمجمة، حلق، خدّ، دماغ، ذراع، رقبة، زند، ساق، شفة، صدر، ضلع، طحال، ظهر، عين، غبب، فم، قفا، كفّ، لسان، منكب، ناب، هامة، وجه، يد. وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أميرالمؤمنين.

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال: يا أمير المؤمنين: أنا أقولها من جسد الإنسان مرتين.

فضحك عبد الملك وقال لسويد: أسمعت ماقال؟

قال سويد: أصلح الله الأمير أنا أقولها ثلاثاً.

فقال له: هات ولك ما تتمناه.

فقام سويد وذكرها: أنف، أسنان، أذن، بطن، بنصر، بزة. ترقوة، تمرة، تينة، ثغر، ثنايا، ثدي. جمجمة، جنب، جبهة، حلق، حنك، حاجب. خد، خنصر، خاصرة، دبر، دماغ، درادير. ذقن، ذراع، ذكر. رقبة، رأس، ركبة. زند، زردمة (ذكر الرجل ولا يكنى). ساق، سرة، سبابة. شفة، شارب، شفر. صدر، صدع، صلعة. ضلع، ضفيرة، ضرس، طحال، طرة، طرف. ظهر، ظفر، ظلم، عين، عنق، عاتق. غبب، غلصمة، غنة. فم، فك، فؤاد.

قلب، قفا، قدم. كف، كتف، كعب. لسان، لحية، لوح. منخر، مرفق، منكب. نغنوغ، ناب، نن. هامة، هيئة، هيف. وجه، وجنة، ورك. يمين، يسار، يافوخ.

فعندها ضحك عبدالملك وقال: والله ما تزيدنا عليها شيئًا، أعطوه ما يتمناه، ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الإحسان إليه [1].

غناء جارية ولحنها بين يدي الواثق

اتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي:

أظلـــوم إن مصـــابكم رجـــلاً   أهـــدى الســـلام تحيـــةً ظلـــمُ

---

(١) معاني بعض الكلمات الواردة في الحكاية:

- درادير: جمع دردور والدُّرْدُرُ: مَنْبِتُ الأسنان عامة.
- الزَّرْدَمَةُ والغَلْصَمَةُ: موضِعُالابْتِلاعِ
- نغنوغ: تصغير النُّغْنُغُ بالضم، النَغانِغُ: لَحَماتٌ تكون في الحلْق عند اللَّهاةِ،واحدتها نُغْنُغٌ بالضم.
- بزة: بالكسر هيئة.
- طرة: الهيئة الحسنة.
- تِّينَةُ (بالكسر): الدُّبُرُ.
- غبب: الجِلْدُ المتدلي تحت الحَنَكْ.
- هيف: رقَّة الخصر وضُمور البطن.

فاختلف من بالحضرة في إعراب رجلا، فمنهم من نصبه وجعله اسم إن، ومنهم من رفعه على أنه خبرها، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب، فأمر الواثق بإشخاصه.

قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت: من مازن يا أمير المؤمنين، قال: أي الموازن؟ قلت: من مازن ربيع، فكلمني بكلام قومي وقال: باسمك (لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت في أول الأسماء) فكرهت أن أجيبه على لغة قومي؛ لئلا أواجه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين. ففطن لما قصدته وأعجبه مني ذلك، ثم قال: ما تقول في قول الشاعر:

أظلـــوم إن مصـــابكم رجـــلا   أهـــدى الســـلام تحيـــة ظلـــم

أترفع رجلا أم تنصبه؟ فقلت: الوجه النصب يا أمير المؤمنين. قال: ولم ذلك؟ فقلت: إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم، وهو بمنزلة قولك: إن ضربك زيداً ظلم، فالرجل مفعول مصابكم، ومنصوب به والدليل عليه، أن الكلام متعلق إلى أن تقول (ظلم) فيتم، فاستحسنه الواثق وأمر له ألف دينار.

ثم .. حيثما

اقترح أحد العابثين تطوير اللغة العربية، وإسقاط حرف (الثاء) استغناء عنه بحرف (السين)، فبدلاً من قولنا (ثم) نقول (سُمَّ)، وبدلاً من (حيثما) نقول: (حيسُما)... وهكذا.

فرد عليه أحد الحاضرين: كسَّر الله أمسالك!!

(أبدل الثاء سيناً).

دُغَــة

كان الشاعر عرار معلماً للغة العربية في مدينة إربد في الأردن، وكان دائماً يحث طلابه اقتناء مراجع اللغة، ولكنهم، بسبب حالة الفقر التي كانت سائدة في زمانه، أي في النصف الأول من القرن العشرين، لا يستطيعون شراءها لارتفاع سعرها.

فكتب على السبورة: من لم يحضر مراجع اللغة فهو كدغة[1].

فسأله التلاميذ: يا أستاذ، وما معنى دغة؟

فقال: راجعوا كتب اللغة.

تصغير واصل

سألوا الخليل بن أحمد: لم قالوا في تصغير (واصل) أُوَيصل، ولم يقولوا (وُوَيصل)؟

قال الخليل: كرهوا أن يشبه كلامُهم نباحَ الكلاب!

---

(١) دغة: الأحمق.

هارون لا ينصرف

سكر هارون النديم عند المعتضد سكراً مشيناً، فنهض الجلساء كلهم سواه، فقال له الخادم الموكل بالندماء: انصرف. فقال: أمير المؤمنين أمرني بالمبيت ها هنا. فقال: يا أمير المؤمنين، هارون ينصرف؟ قال: لا ينصرف. فلما أصبح رآه المعتضد، فقال: من هذا؟ قيل هارون بن علي النديم. فقال للخادم الموكل بالندماء: متى تقدم للجلساء المبيت هنا؟ فقال: أنت أعزك الله قلت هارون لا ينصرف، قال: إنا لله.. إنما أردت النحو.

أحمد ممنوع من الصرف

وقف رجل اسمه أحمد يتسول عند باب بيت أحد البخلاء، فقال البخيل لخادمه: مره بالانصراف، فسمعه أحمد وقال: لا أستطيع فأحمد اسم ممنوع من الصرف، فقال البخيل أعط سيبويه كسرة خبز!

الأحمق

عن المبرد قال: قال الجاحظ: أنشدني بعض الحمقى:

إن داء الحـــب ســـقم ... لـــيس يهنيــه القـــرار

ونجـــا مـــن كـــان لايعشـــق ... مـــن تلـــك المخـــازي

فقلت: إن القافية الأولى راء والثانية زاي!

فقال: لا تنقط شيئا.

فقلت: إن الأولى مرفوعة والثانية مكسورة!

فقال: يا سبحان الله، نقول له لا تنقط فيشكل.

نجوم الليل جميلة

أبو الاسود الدؤلي الأديب المعروف، سألته ابنته يوماً: ما أجملُ السماء يا أبي؟

فقال: النجوم.

قالت: أقصد أن السماء جميلة!

قال: إذن قولي: ما أجملَ السماءَ.

فالأسلوب في عبارة البنت استفهامي وليس تعجباً (لاحظ الضمة على اللام في كلمة أجمل).

الواو في الموضع الحسن

قال المبرِّد: سأل المأمونُ يحيى بن المبارك عن شيءٍ، فقال: لا، وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. فقال: لله دَرُّك، ما وُضِعَتْ واوٌ قطُّ وضعًا أحسن منها في هذا الموضع. ووصله وحمله.

من خَتَنُكَ؟

دخل رجل على عبد الملك بن مروان وبجواره الأصمعي، فقال الرجل لعبد الملك مشتكياً: إن ختني ظلمني[1]. قال عبد الملك: ومن ختنك؟ أي يسأله عن الرجل الذي ظلمه ويلحن عبد الملك فينصب ختن وهي مرفوعة، وكان عليه أن يقول: من ختنُك؟ فلم يفهم الرجل وصرف السؤال إلى الختان فعجب، ولكن أجاب: ختنني الختان الذي يختن الناس! فلم يفهم عبد الملك والتفت إلى الأصمعي، فقال: ويلك بم أجابني؟

قال الأصمعي: يا أمير المؤمنين لقد لحنت، وهذا الرجل لا يعرف اللحن كان عليك أن تقول: من ختنُك؟ فلما قلت: من ختنك ظنك إنما تسأل عن: من الذي ختنه؟

قال عبد الملك: لله عليّ ألا ألقى أحداً من الرعية حتى أحسن العربية.

يلحنون ويربحون

ومر أبو علقمة بأعدال (شوالات القمح) قد كتب عليها: لأبو فلان، فقال لأصحابه: سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!!

---

(١) الختن بفتح الخاء والفاء هو قريب الرجل من جهة زوجته.

فاء الفيء

روي أن رجلا فارسياً وجد قوماً من العرب جالسين فسلم عليهم وجلس معهم فسألوه: من أي قبائل العرب أنت؟ فضحك وقال: أنا من فارس وأجيد اللغة العربية خيراً منكم، فقال أحدهم: اذهب إلى فلان بن فلان رجل من الأعراب وكلمه، فإن لم يعرف أنك من العجم فقد نجحت وغلبتنا كما زعمت. فذهب الفارسي إلى بيت الأعرابي وطرق الباب، فإذا بابنة الأعرابي وراء الباب تقول: من بالباب؟ فرد الفارسي: أنا رجل من العرب وأريد أباك، فقالت: أبي فاء إلى الفيافي، فإن فاء الفيء أفا. وتعني أن أباها ذهب إلى الصحراء فإذا حل الظلام عاد. فقال لها: إلى أين ذهب؟ فردت عليه: أبي فاء إلى الفيافي، فإن فاء الفيء أفا. فأخذ الفارسي يراجع الفتاة؛ لأنه لم يفهم قولها، ويسأل وهي تجيب من وراء الباب. حتى سألتها أمها: من بالباب يا ابنتي: فردت: أعجمي وراء الباب يا أمي!!

أمر له بِصِلة

كان أحد الطلاب يقرأ لزملائه قصة والٍ أعجب بشعر أحد الشعراء، فقال: فَسُرَّ الوالي بشعره وأمر له بِصِلة، وإنما أراد بِصِلة. وقرأها الطالب: هكذا (بَصَلة)!

أنـجى صديقه من الهلاك

غضب المأمون على طاهر بن عبدالله، فأراد طاهرٌ أن يقصده، فورد كتابٌ له من صديقٍ له ليس فيه إلا السلام، وفي حاشيته يا موسى، فجعل يتأمَّله ولا يعلم معنى ذلك، وكانت له جارية فطنةٌ، فقالت: إنه يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾[القصص: ٢٠]. فتثبط عن قصد المأمون.

الأصدقاء الثلاثة

سار ثلاثة أصدقاء معاً، وكان اثنان منهم طويلا القامة بينما كان الثالث قصيراً، وبينما هم في أحد الممرات والقصير في الوسط بين الطويلين، قال أحد الطويلين ممازحا القصير: أنت كالنون في (لنا). فرد القصير على الفور: إذن لولا أنا لكنتما (لا)!

بين الجاحظ وجارية هندية

روى الجاحظ: أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب فخرجت إليّ جارية من الهند، فقلت: قولي لسيدك الجاحظ بالباب، فقالت: أقول: "الجاحد بالباب"؟ -على لغتها- فقلت: لا، قولي له: الحدقي بالباب! فقالت أقول: الحلقي بالباب؟! فقلت: لا تقولي شيئاً. ورجعت!.

نكتة سودانية

تحدث عراقي إلى صديقه السوداني فقال له: أنتم أهل السودان تستبدلون في حديثكم حرف القاف بحرف الغين، وحرف الغين بحرف القاف.

فرد عليه منفعلاً: أستقفرُ الله، من غالَ هذا؟!

ذهب نصف عمرك

كان أحد النحويين راكباً في سفينة فسأل أحد البحارة: هل تعرف النحو؟

فقال له البحار: لا. فقال النحوي: قد ذَهب نصف عمرك.

وبعد عدة أيام هبت عاصفة وكانت السفينة ستغرق فجاء البحار إلى النحوي وسأله: هل تعرف السباحة؟ قال النحوي: لا. فقال له البحار: قد ذَهب كل عمرك.

فهرس المحتويات